الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر- باتنة1-

كلية اللغة والأدب العربي والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

جهود عبد السلام المسدي اللسانية

- دراسة في المنهج والتأصيل -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه (ل.م.د) في اللسانيات

تخصص : اللسانيات واللغة العربية

إعداد الطالبة:
سعاد لعريبي

تحت إشراف:
أ.د جودي مرداسي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عزالدين صحرواي	أستاذ التعليم العالي	باتنة 01	رئيسا
جودي مرداسي	أستاذ التعليم العالي	باتنة 01	مشرفاومقررا
ابتسام بن خراف	أستاذة محاضرة أ	باتنة 01	عضوا مناقشا
ربيعة برباق	أستاذة التعليم العالي	تبسة	عضوا مناقشا
سليمان بوراس	أستاذ محاضر أ	المسيلة	عضوا مناقشا
رشيد فلكاوي	أستاذ محاضر أ	المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:1440-1441هـ/2019-2020م

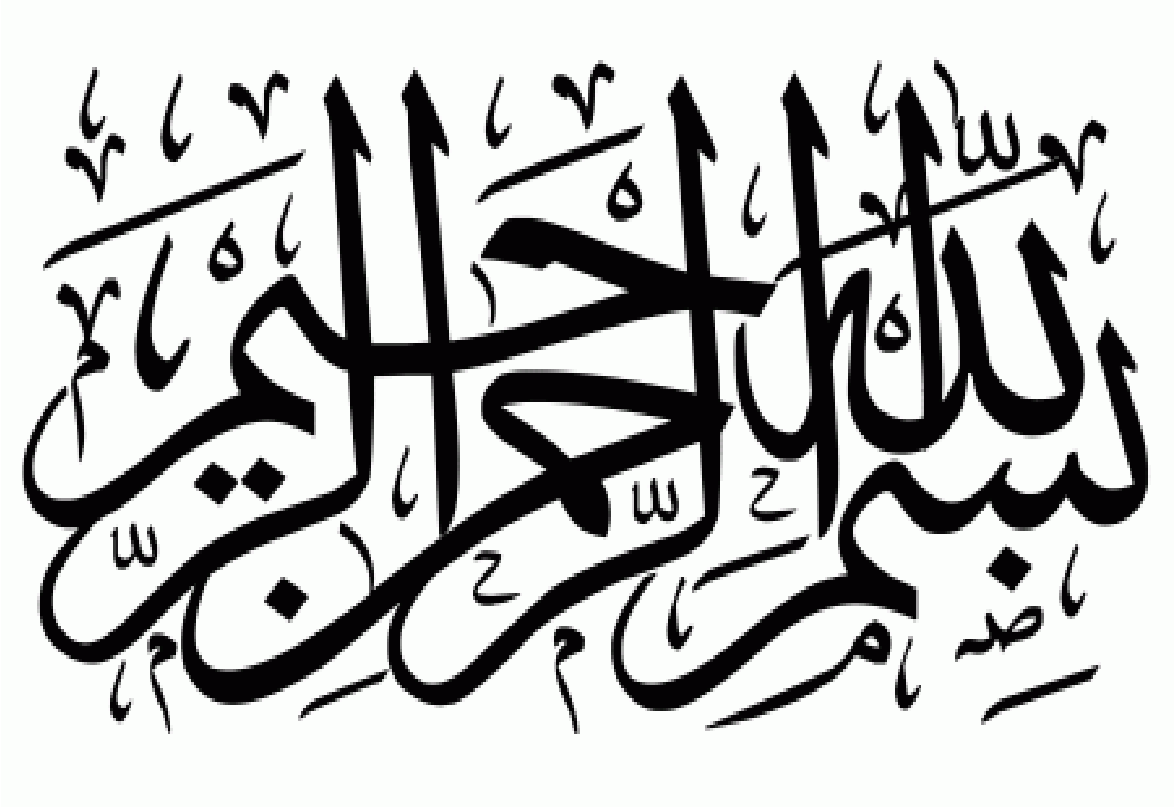
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:"قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۖ "

البقرة :32

مقـــدمـــة

لقد عرف الدرس اللغوي رواجا كبيرا في أوساط الدارسين العرب، حصيلة احتكاك أصحابها برواد المدارس الغربية في أوروبا وأمريكا، بفعل التدفق الذي ميز البعثات العلمية والثقافية في النصف الأول من القرن العشرين، وبما أنجزه الفكر اللساني الغربي من نظريات كان لها صدى مهما في الفكر اللساني العربي الحديث، فأثر ذلك على توجهاتهم الفكرية ومباحثهم المعرفية حين تناول القضايا اللغوية، ولئن أعطت هذه العملية تأثيرا إيجابيا على مستوى تطور الدرس اللغوي العربي، إلا أنه شكل صراعا فكريا وثقافيا، لازالت تبعاته تظهر إلى يومنا هذا، فقد انقسم المشهد اللغوي العربي بين مؤيد ومعارض، وأصبحت الساحة اللغوية معتركا خصبا للمناهج والرؤى والأفكار، وأخذ التفكير اللساني العربي الحديث منحى صعبا، أسهم في التنميط للحركة الفكرية اللسانية العربية الحديثة، يبث صور الاختلاف والائتلاف في ميادين اللغة العربية المختلفة، بحسب ما تمليه التوجهات النظرية والمنهجية ـ لكل توجه لساني ـ فهذا محافظ للتراث عائد إلى الماضي باعتباره هوية الأمة وأصالتها الواجب الحفاظ عليه لما له من صلة وطيدة بالقرآن الكريم الذي إليه المرجع في الدين واللغة كله، وذاك يعمل على تمثل الحاضر منبهر بالمناهج والرؤى الغربية مقتفيا أثرها هدفه الوحيد بناء نظرية لغوية عربية بمقاييس غربية، والآخر اتجه إلى ما يمكن تسميته بالاتجاه التوفيقي لا إفراط ولا تفريط، يحافظ على التراث العربي الأصيل، ويحاول إعادة قراءته (كتراث **الخليل وابن جني وسيبويه والجرجاني)** بمفاتيح القراءة المعاصرة وفي ظل المناهج اللسانية الحديثة، ويدرك ما بين العلم الوافد والتراث اللغوي العربي من وجوه الاشتراك ووجوه المباينة، غير أنه واقف عند حدود الرصد والتقويم يسلك بذلك مسلكا توفيقيا بين القبيلين، مسلم في الآن نفسه بنقاط الخلاف التي تتأبى على التقوية أو تستعصي على التفسير.

وفي خضم هذا الواقع ظهرت البحوث اللسانية، وسعى روادها إلى النظر في القضايا اللغوية المختلفة في صورتها المعاصرة، ومقابلتها بصورتها التي وضعها اللغويون القدامى، من خلال مصنفاتهم التي عدها البعض مما لا يمكن دحضه أو مناقشته.

لقد انطلق هؤلاء من إحساس قوي بأن كثيرا من الأنظار التي وجدوها في فكر المحدثين العرب توافق جوانب كثيرة منه ما أمدنا به التراث العربي، مصرحا به حينا وصادر عنه في كثير من الأحيان.

ضمن هذا التوجه، ظهرت منجزات عبد السلام المسدي، الذي استطاع رد الاعتبار للدراسات اللغوية العربية القديمة باعتبارها ركاما معرفيا وسديما علميا منثورا في تاريخ الفكر العربي القديم فقد استطاع بفكره الثاقب أن ينفذ إلى أعماقه، ويستنطق نصوصها بعين الحداثة والمعاصرة وأثبت أن للعرب باعا طويلا في التفكير اللغوي، والمتأمل في فكره اللساني يلفي ذلك في كتابيه (التفكير اللساني في الحضارة العربية) و (العربية والإعراب)،فقد قام بتأصيل مختلف القضايا اللغوية بالعودة إلى التراث قراءة واستيعابا وبعثا، والمنجز اللغوي الغربي (اللسانيات) اطلاعا وفهما مؤمنا إيمانا جازما بأن إحياء التراث وإغناءه عن طريق المقولات اللسانية المعاصرة ومتصوراتها الإجرائية كثيرا ما يصحبه إخصاب للمعرفة اللغوية الحديثة نفسها، عن طريق ابتعاث المخزون التراثي الأصيل، وذلك كلما وجد القارئ المقتدر على تحقيق التوازن في المعادلة الصعبة بين التراث والحداثة .

وتأسيسا على هذا جاءت فكرة موضوع الأطروحة موسومة بـ:

جهود عبد السلام المسدي اللسانية

ـ دراسة في المنهج والتأصيل .

فقد حاول المسدي عرض أهم ما أنجزه الفكر اللساني الغربي من نظريات كان لها صدى مهم ومؤثر في العالم أجمع، ومن ثم محاولة النظر إلى هذا المنجز نظرة تأصيلية بين الأصول العربية القُدْمى لهذه الأفكار والنظريات ما أمكنه إلى ذلك مستندا إلى حقائق تاريخية مدعمة بالنصوص، أمدته بها التركة اللغوية التي تمثل الجهود الفكرية التي وضعها علماء العرب القدامى.

وقد تم اختيار هذين الكتابين مجالا للبحث التطبيقي في ميدان التأصيل، لما تضمناه من قضايا لغوية تقرب وجهات النظر بين الدرس اللغوي العربي القديم، والنظريات اللسانية الغربية الحديثة بدعوى التلاقي الفكري أو السبق العربي.

وفي الواقع فقد تضافرت أسباب موضوعية وذاتية دفعتنا إلى البحث في التأصيل لمختلف القضايا اللسانية في التراث اللغوي العربي وحفزتنا لدراسة هذين الكتابين نوجزها فيما يلي:

- قلة الدراسات التي تناولت تأصيل التراث اللغوي العربي بعامة، وكتب عبد السلام المسدي بصفة خاصة.
- الانفتاح على اتجاهات البحث اللساني المعاصر، عن طريق التأصيل لتراثنا اللغوي العربي والتعرف على أهم منطلقاته وأهدافه.
- الرغبة في دراسة علم من أعلام الفكر اللساني العربي للتعريف بجهوده اللسانية في خدمة لغة الضاد.
- استكشاف ملامح منهج علمي في الدرس اللساني العربي الحديث، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويقوم على القراءة الواعية للتراث اللغوي العربي القديم ونقده وتثمينه مع الاستفادة من المناهج اللسانية الحديثة.
- توسيع دائرة البحث الإبستيمولوجي في حقل الدراسات اللسانية العربية .
- ميلنا إلى التخصص في اللسانيات واللغة العربية، ومتابعة مستجداتها الراهنة وآفاقها البحثية والإفادة منها .
- رغبتنا في الاطلاع على أمات كتب التراث اللغوي العربي لمعرفة مختلف العلوم والأصول والمناهج التي أقاموا عليها درسهم اللغوي العربي، ومدى مواءمتها والبحث اللساني المعاصر.

ومما يجدر التنويه إليه أن هذين الكتابين اللذين أصدرهما المفكر العربي المعاصر **عبد السلام المسدي** يعدان من أفضل مؤلفاته ،فقد حاول من خلالهما أن يقرب وجهات النظر بين النظرية اللغوية العربية والنظريات اللسانية الغربية الحديثة، بدعوى التلاقي الفكري أو السبق المعرفي نتلمس من خلالهما **البحث في إشكالية** جوهرية أساسية هي:

- ما هو المنهج الذي اعتمده المسدي في تأصيله لمختلف القضايا اللغوية في ضوء كتابيه (التفكير اللساني في الحضارة العربية) و(العربية والإعراب)، وفيم تكمن جهوده اللسانية؟

وتندرج ضمنها هذه الأسئلة الفرعية:

- كيف كانت نظرة المسدي للموروث اللغوي العربي، وللدرس اللساني المعاصر؟
- ما موقفه من التراث والحداثة؟
- فيم تكمن المرجعية المعرفية للفكر اللساني عند المسدي؟
- ما السمة التي طبعت كتابات عبد السلام المسدي ؟
- ما المنهج الذي توخاه المسدي في بحثه اللساني ؟
- هل يتقارب عبد السلام المسدي أثناء تأصيله للقضايا اللغوية مع علماء التراث العربي ؟
- ماهي الاتجاهات الرئيسية التي سلكها اللسانيون العرب المعاصرون في التفكير والتنظير؟
- ما الغاية المتوخاة من عملية القراءة المجردة في نظر عبد السلام المسدي؟

وقد استوفيت عملي هذا في أربعة فصول موزعة على مباحث لكل فصل، تسبقها مقدمة وتقفوها خاتمة.

أما المقدمة فقد تطرقنا فيها عن أهمية التأصيل، ومشكلة البحث وتساؤلاته، وخطة البحث ومنهجه، وأسباب اختيار الموضوع الذاتية والموضوعية، وأهم المراجع المعتمدة، والصعوبات التي واجهت الباحث.

أما الفصل الأول فقد وسمته بـ "**الإطار المعرفي للسانيات العربية الحديثة بين تليد التراث ومعاصرة الدرس اللساني**"، وهو تأسيس مرجعي للموضوع، يتجلى من خلاله تقديم الدرس اللغوي بمختلف قضاياه، وتحديد مصطلحاته، وتبيان المناهج المعتمدة في الدراسات اللغوية العربية عامة والنحوية خاصة.

كما تناولنا مبحثا خاصا بالدرس اللساني المعاصر بتبيان خصائصه ومناهجه ومدارسه .

كما تطرقنا إلى الحديث عن الدرس اللساني العربي المعاصر بتبيان الحدود التأريخية للسانيات العربية الحديثة، فالبداية الحقة للسانيات العربية الحديثة كانت بعودة المبعوثين العرب من البلدان الغربية بأفكار جديدة ومناهج حديثة حاولوا تطبيقها على لغة الضاد. و أبرزنا أثر تعدد المرجعيات في تنوع اتجاهات اللسانيات العربية، لنعدد في النهاية المناهج اللسانية العربية الحديثة التي تبناها اللسانيون العرب المعاصرون .

أما الفصل الثاني فكان معنونا بـ" **المرجعية المعرفية للفكر اللساني عند عبد السلام المسدي ومباحثه اللسانية**"، فالمنطلق في تحديد مرجعية المسدي اللسانية إلى ما قاله هو عن نفسه بضرورة الجمع بين تليد التراث ومعاصرة الدرس اللساني، بين ما هو غربي وما هو عربي، بين ماهو تراثي وما هو حديث، وفق منهج تبناه جمع من اللسانيين العرب، وهذا المنهج يعرف بمنهج إعادة قراءة التراث أو المنهج الإحيائي .كما تطرقنا أيضا إلى منهجه في التأليف الذي طبع بخاصية التكرار في الموضوعات التي تبعث مللا في نفسية القارئ، وخصائص منهجه في البحث اللساني؛ كانفتاحه على العلوم والمناهج اللسانية الحديثة كالمنهج البنيوي والوصفي والتاريخي، لنختمه بالمباحث اللسانية التي عدها منطلقات أساسية في تحديد مرجعيته الفكرية.

أما الفصل الثالث فكان موسوما بـ" **الجهود التأصيلية للمسدي في ضوء كتابه التفكير اللساني في الحضارة العربية**"، فقد كانت القضايا التي تم تأصيلها في هذا الكتاب وفق منهج إعادة قراءة التراث كالآتي:

إعتباطية الحدث اللساني، المواضعة والعقد، اكتساب المواضعة، الكلام والزمن، الكلام والشمول.

إن هذه الأفكار التي طرحها رائد البنيوية الحديثة **دي سوسير** لم تكن جديدة على الفكر العربي فقد كان الفكر اللساني البنيوي معروفا عند العرب، وكان معظم ما طرحه **سوسير** متناثرا في الفكر اللساني العربي القديم هنا وهناك، وهذا ما تم تأصيله في هذا الكتاب وفق منهج إعادة قراءة التراث.

أما الفصل الرابع فكان موسوما بـ "**الجهود النحوية للمسدي في ضوء كتابه العربية والإعراب**" فلقد حاول المسدي أن يقرب وجهات النظر بين النظرية التوليدية التحويلية والفكر اللغوي العربي، مجسدا ذلك في الأسس التي انطلق منها، والمعايير التي اعتمدها، فأثبت ذلك سبق الفكر العربي في إنارة الفكر اللساني الغربي، وهو ما اعترف به **تشومسكي** في أكثر من مناسبة، ومن المباحث التي أصل لها في التراث اللغوي العربي :النحو التوليدي والنحو العربي النظرية التوليدية واللغات الاشتقاقية، الإفصاح والوظيفة الانتباهية، الإفصاح والقرائن النحوية العربية والمغالاة في الاجتهاد، إنكار الإعراب وانتكاس المنهج...الخ

وقد أعقب ذلك كله خاتمة فيه إيجاز أهم النتائج المستقاة من هذه الدراسة.

إن طبيعة الأسئلة المطروحة في الإشكالية تستدعي منهجا يتلاءم و الأهداف التي يرمي إليها البحث، ولأن موضوع البحث متمثلا في التأصيل في الدرس اللغوي، ارتأى البحث اعتماد المنهج الوصفي، وتفعيله وآليات المنهج التأصيلي؛ إذ اعتمد المنهج الوصفي عند وصف التركة اللغوية في التراث اللغوي العربي، وما تحتويه الحاضنة اللغوية العربية التراثية في تحقيق تصور معرفي منهجي يضمن اللغة العربية القدرة على المحاورة البناءة، وفُعِلت آليات المنهج التأصيلي لأنه أنجع أداة تظهر وتجسد مبدأ البحث عن الملاءمة بين ما تمليه التطورات اللغوية الحديثة وبين ما تكتسبه الأصالة اللغوية العربية بدعوى التلاقي الفكري أو السبق العربي.

ويأتي اعتماد المنهجين المذكورين سابقا ابتغاء تحقيق **مقاصد و أهداف** يرومها البحث وهي:

- تسليط الضوء على كتابي (التفكير اللساني في الحضارة العربية)و(العربية والإعراب) لبعث الفكر اللغوي العربي القديم في قالب علمي متأصل يتماشى والتطور الحديث.
- إعادة قراءة التراث العربي القديم وكشف خصائصه وثوابته وأصوله والاعتراف بالسبق العربي لكثير من القضايا اللغوية.
- تجلية المنهج العلمي المعتمد في تأصيل مختلف القضايا اللغوية.
- التأسيس للنظرية العربية اللسانية الحديثة انطلاقا من منابعها ومشاربها وتماشيا والبحث اللساني المعاصر.
- الكشف عن مظاهر الأصالة في الدرس اللغوي العربي القديم.
- الإيمان بمقدرات اللغة العربية وبما تملكه من تنوعات معرفية تؤهلها بلا شك لتساير النمو اللغوي العالمي السريع.

أما عن مصادر البحث، فبعد القرآن الكريم والمدونتين **(التفكير اللساني في الحضارة العربية)**و **(العربية والإعراب)**،استندت الأطروحة على عدد معتبر من المصادر نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

"مناهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث" لـ **علي زوين**، و"التفكير اللغوي بين القديم والجديد" **لكمال بشر**، و"اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة" لـ **حافظ إسماعيلي علوي** "أصول تراثية في علم اللغة" لـ **كريم زكي حسام الدين** ،"دلائل الإعجاز" **لعبد القاهر الجرجاني** و"النحو العربي والدرس الحديث" **لعبده الراجحي**، و"الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري" **لمحمد حسين آل ياسين**، و"أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث" **لحسام البهنساوي**. هذا وقد استفادت الأطروحة من بعض الدراسات الأكاديمية؛ كرسالة الدكتوراه لقبايلي عبدالغني الموسومة بـ"**أثر اللسانيات الغربية على اللسانيات العربية**

(التفسيرية عينة) ، ورسالة الدكتوراه لـ مسعود طواهرية بعنوان "**جهود محمد الخضر حسين اللغوية ـ دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث**" ـ

ومن الصعوبات التي واجهها البحث:

- سمة التكرار التي طبعت كتابات المسدي، والأسلوب الفلسفي الذي اعتمده في كتاباته .
- غياب مقالات المسدي التي تخدم طبيعة الموضوع ،فالمقالات التي تم نشرها في مجلات علمية مختلفة ما هي إلا مباحث من كتبه، وصيغت بعناوين مختلفة مع الاحتفاظ بالمحتوى المعرفي.

ومع اعترافي بأن جهدي قد قصر عن رغبتي المخلصة في اقتحام صرح التراث العربي بما فيه من سعة الموضوع وترامي الأطراف، فإن هذه الدراسة المقدمة بين أيديكم ما هي إلا محاولة جادة سعيت فيها إلى لفت الانتباه إلى المفاهيم والقضايا التي طرحتها النظريات اللسانية الغربية الحديثة ومحاولة إيجاد الأصول لها في التراث اللغوي العربي في ضوء كتابي (التفكير اللساني في الحضارة العربية)و(العربية والإعراب)، تأكيدا لقيمة ذلك التراث وتقليصا للهوة التي يرى بعضهم أنها تفصلنا عن العلوم اللسانية الحديثة وحسبي أني لم أحاول في كل ذلك إكراه التراث اللغوي العربي على أن أقحمه فيما ليس فيه.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بخالص شكري وعظيم امتناني إلى الأستاذ المشرف **جودي مرداسي** فما كان هذا العمل إلا واحدا من ثمار غرسه فله مني كل التقدير والاحترام والامتنان والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا البحث وتقويم هناته.

وأنهي هذه السطور بالرجاء من الله عز وجل أن ينال عملي هذا رضاه وأن يلقى رضا أهل العلم واستحسانهم إياه، وحسبي أني بذلت فيه قصارى جهدي ولم أمن عليه بصحة أو وقت كنت أود فيه أن ينزلني المنزلة التي قال عنها الإمام عبد القاهر الجرجاني :" فإنما استحققت الأجرة على

الغوص وإخراج الدر، لا لأن الدر كان بك ،واكتسى شرفه من جهتك ،ولكن لما كان الوصول إليه صعبا وطلبه عسيرا ،ثم رزقت ذلك وجب أن يجزل لك ويكبر صنيعك".

والله ولي التوفيق

الفصل الأول

الإطار المعرفي للسانيات العربية الحديثة

بين تليد التراث ومعاصرة الدرس اللساني

المبحث الأول: الدرس اللغوي عند العرب ـ قضايا أولية ـ تحديد المصطلح ـ مناهج الدراسة.

1/ علوم اللغة تعريفاتها ومجالاتها

توطئة

لقد ارتبطت الدراسات اللغوية العربية بالقرآن الكريم الذي إليه المرجع في الدين واللغة ولمقاومة اللحن الذي شاع على الألسن بعد دخول الأعاجم في دين الله أفواجا، حيث انكبوا على تعلمه لفهمه وتطبيق تعاليمه، فكان من الطبيعي أن يظهر اللحن أقوى مما كان عليه من قبل، وأن يفشو فشوا جليا وأن ينتشر انتشارا واسعا، يقول **ابن خلدون(ت808هـ):** "لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة ـ عند أهل النحو ـ بالإعراب ...ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالتطهم، حتى تأدئ الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثيرا من كلام العرب في غير موضوعه عندهم، ميلا مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين "[1]

وإزاء هذه الظاهرة الخطيرة التي تهدد سلامة اللغة العربية، وبالتالي تهدد صحة فهم النصوص الشرعية، قام علماء أجلاء بالتصدي لها للذود عن نصاعة العربية وقداسة الإسلام فظهرت نتيجة لذلك عدة محاولات كان غرضها الأساسي خدمة النص القرآني، ومن ذلك محاولة "**ابن عباس(ت 68هـ)** ـ رضي الله عنه ـ جمع الكلمات العربية في القرآن الكريم وشرحها فضلا عن محاولة **أبي الأسود الدولي(ت69هـ)** في ضبط لغة المصحف "[2].فلم يكن هم علماء العربية القدامى دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وإنما كان هدفهم الوحيد دراسة اللغة العربية وحدها بما لها من صلة وطيدة بالقرآن الكريم فهما وأداء ومعنى، فقد نشطت الحركة اللغوية عند العرب في مجالات

[1]– عبد الرحمان ابن خلدون ،**مقدمة** ،دار العودة ،بيروت ،1988،ص:455.

[2]– ينظر:عبد العال سالم مكرم ،**الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي** ،مؤسسة الوحدة للنشر ،الكويت، 1999،ص:22.

اللغة كافة لخدمة النص القرآني، وانطلق كبار أئمة اللغة لجمع المادة اللغوية "تركوا المدينة ولازموا العرب في بواديهم يسمعون ما يتكلم به العرب ويرصدون مخارج الأصوات من فيه ويصفون كيفية نطقه فيسجلون ذلك كله في رسائل وكتب "[1].

ولقد كان تتبع الظاهرة اللغوية والنظر فيها وتلمس دقائقها قد بدأ أولا بالاستماع إلى العرب الفصحاء، ممن سكن بوادي الجزيرة العربية والرواية عنهم، وقد كان التأليف في البداية يسير على نحو عشوائي اختلاط وتداخل الدراسات النحوية بالدراسات اللغوية وغير اللغوية "وكان هذا بسب طبيعة العمل العلمي الذي توفر عليه العلماء الذين خرجوا لجمع المادة اللغوية من أفواه الناطقين بها، وعملوا على وضع القواعد والأصول "[2].وقد بين **عبد اللطيف البغدادي** هذه الصلة بين العلوم بقوله:"اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب، ولا يتعداه أما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه "؛[3] فالمراد من هذا الكلام أن اللغوي يهتم بجمع المادة اللغوية بالانتقال إلى البادية، وأخذها من ينابيعها الأصلية، ونقل اللغة عنهم كمادة خام، فاعتمدوا في ذلك النقل الذي استعمل كمصطلح مرادفا للسماع، وبعد ذلك تأتي مهمة النحوي المتمثلة في مراجعة وتهذيب كل ذلك المنقول والمسموع من العرب وإخضاعه للتصنيف والتبويب والتقنين معتمدا في ذلك العقل والمراد به القياس .

إن هذا الاختلاط بين العلوم نجده يسير مع الدرس اللغوي منذ البداية، وهو بذلك يمثل المرحلة الأولى من مراحل التأليف الذي لا يقوم على خطة ولا على تخصص "فكانت تجمع الألفاظ كيفما اتفق، العالم يرحل إلى البادية، يسمع كلمة في المطر وكلمة في اسم السيف وأخرى في الزرع والنبات وغيره، فيدون حسب ما سمعه من غير ترتيب إلا الترتيب السماعي "[4].

---

[1]–عبد الرحمان العبيدي ،**مباحث في علم اللغة واللسانيات** ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،2002 ،ص:197.

[2]–كريم زكي حسام الدين ،**أصول تراثية في علم اللغة** ،ط2،مكتبة الأنجلو مصرية ،1985،ص:18.

[3]–أحمد أمين ،**ضحى الإسلام** ،ط10 ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1974 :2/ 289.

[4]– ينظر :محمد حسين آل ياسين ،**الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث** ،ط1،دار مكتبة الحياة ،بيروت 1980 ص:101.

وبعد مرور الزمن أخذ البحث اللغوي عند العرب ينحل من عشوائيته شيئا فشيئا، بعد أن اتجهوا في مراحل متقدمة من البحث إلى تبويب المادة اللغوية وتصنيفها وتقسيمها فكان من نتاج ذلك "وجود النحو العربي وقواعد اللسان والأساليب البيانية، والصور البلاغية وأساسيات فصاحة التراكيب، والألفاظ، وتنقية المفردات العربية مما داخلها من الأعجمي والعربي "[1]، حيث اتسمت هذه الدراسة فيما بعد بالشمول صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا ومن أهم الملامح الفكرية للدراسات اللغوية عند العرب :

أ /الأصوات:

لقد قدم اللغويون العرب القدامى دراسات جديرة بالتقدير والإعجاب في دراسة الأصوات العربية للدرجة التي جعلت المستشرق الألماني "**برجستراسر**"يصرح بقوله :"لم يسبق الغربيون في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند والعرب، وأول من وضع أصوات هذا العلم من العرب **الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ)** "[2]، فلقد تميزت هذه الدراسات الصوتية عند العرب بسمات وخصائص جعلتها تحتل مكانة مرموقة، "فلقد أحاطت هذه الدراسات بأصوات اللغة العربية الفصحى ولهجاتها المختلفة وصفا عضويا دقيقا على المستوى النطقي والسمعي فتحدثوا عن مخارج الأصوات ومدارجها، كما تحدثوا عن صفاتها المتنوعة التي تصاحب الأصوات عند نطقها، ويتجلى ذلك فيما صنعه الخليل في كتابه العين "[3]؛ فلقد درس الأصوات اللغوية وصنفها تصنيفا علميا يقوم على أسس عضوية فيسيولوجية، والكثير من الدارسين يشيرون إلى احتمال تأثر الخليل في ترتيب مخارج الأصوات من الحلق إلى الشفاه بما ورد عن الهنود من ترتيب أصوات لغتهم من العمق إلى الفم، ولكن ليست لنا أدلة كافية تؤكد مثل هذا التأثير .

---

[1]–عبد الرحمان لعبيدي ،**مباحث في علم اللغة واللسانيات** ،ص:197.

[2]– برجشتراسر ،**التطور النحوي للغة العربية** ،تعليق :رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،مصر ،1982،ص:11.

[3]–حسام البهنساوي ،**التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث** ،ط1،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،1425هـ .2004م،ص:6.

وعناية الخليل ظاهرة للباحثين حتى ذهب بعضهم إلى أن يقول "أما علماء اللغة العرب ،فقد بدأت محاولاتهم بعمل **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، فلم أجد نحويا من النحاة الأولين أحس بضرورة الدراسة لفهم أسرار العربية غير **الخليل بن أحمد الفراهيدي** "[1]، الأمر الذي جعله يخرج إلى البشرية أول معجم عربي وسم بالعين جامعا لمفردات اللغة العربية، واختار ترتيب المواد على أساس مخارج الحروف في الحلق .

ولابن سينا(ت 427هـ) أثر كبير في الدراسات الصوتية من خلال رسالته الموسومة بـ(أسباب حدوث الحروف)،عالج فيها طرفا من الدراسة الصوتية علاجا يختلف عن علماء العربية،مركزا على الجانب التشريحي.

ولعل قيمة الفكر اللغوي بشكل عام والصوتي بشكل خاص نجدها تتبدى بصورة واضحة عند **ابن جني (392هـ)**في كتابه (سر صناعة الإعراب)، هذا الأخير الذي تضمن مباحث متنوعة تناولت الصوت من الناحية العضوية والوظيفية، وتظهر عبقريته عند وصفه لجهاز النطق عند الإنسان، واتسمت ملامح الدرس الصوتي عنده بإضافات جديدة في الدرس الصوتي العربي منها :

"إدراكه لمعنى جهاز النطق ووظيفته وطبيعته، فلقد شبه مجرى الهواء في الحلق والفم عند إنتاج الصوت بوتر العود أو الناي"[2]؛ متلمسا في هذا التشبيه وسيلة توضيحية لبيان كيفية صدور الصوت .

"تفريق بين الصوامت والحركات ،وذلك حسب ممر الهواء عند النطق وهو ما سماه اتساع مخرج الحرف وعدم انقطاعه في الحركة"[3].

إدراكه لطبيعة العلاقة بين الألف والواو والياء وبين الفتحة والضمة والكسرة وأن الفرق بينهما لا يعدو كونه فرقا في الطول أو في كمية الصوت، ثم يشير إلى أن الألف والواو والياء تختلف أطوالها باختلاف سياقاتها فأبحاث **ابن جني** الصوتية تقدم أصولا لعلم الأصوات العام على

---

[1]–علي زوين ،**منهج البحث بين التراث وعلم اللغة الحديث** ،ط1 ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد،1986 ص:62.

[2]– ينظر :ابن جني ،**سر صناعة الإعراب،ط1** ،دراسة وتحقيق :حسن هنداوي ،الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،1959 :8/1.

[3]– المرجع نفسه ،ص:08.

الطريقة العربية ففي الكتاب مباحث صرفة، في مخارج الأصوات، وصفاتها ومباحث فونولوجية من حيث اختصاص أصوات العربية، فهذه الإشارات التي أوردناه تدل على العمق العلمي في مجال الدراسات الصوتية عند العرب القدامى، وذلك بشهادة الباحثين اللسانيين الأوروبيين أمثال **جورج مونان ،وبر وكلمان** .

ب/ الصرف والنحو في التراث العربي

اهتم علماء العربية القدامى بالكثير من القضايا اللغوية ،وفي مقدمتها اهتمامهم بعلمي الصرف والنحو"ولا تخفى عن أحد قيمة التراث الذي خلفوه خاصة في هذين المجالين، وحقق في الربط بينهما، فلقد فهم القدماء درس الصرف فهما صحيحا حين جعلوه مع النحو مجالا واحدا، أو حين أشار بعضهم على ضرورة دراسته قبل النحو"[1].

إن فهم الدرس النحوي يقتضي درس الصرف لذا فالصرف يشكل مقدمة ضرورية لعلم النحو ونجد ما يؤيد هذا الفهم فيما ذكره **ابن جني** في المنصف "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف"[2]؛ لأن الوظيفة النحوية للكلمة تعتمد في الإحاطة بها على معرفة البنية الصرفية لها .ففي مجال الدراسات النحوية تعود أسباب نشأة النحو العربي إلى فشو اللحن على ألسن العرب وغير العرب الذين انكبوا على تعلم الدين الحنيف، فكان هذا العامل السبب الرئيسي الذي دفع علماء العربية، والقائمين على أمر المجتمع العرب المسلم إلى وضع مبادئ علم العربية الأولى التي آلت بتوالي الزمن إلى صرح شامخ تضافرت على بنائه وإقامة دعائمه عدد من الجهود الجادة والصادقة "ويعتبر **سيبويه(ت180هـ)** إمام النحاة بلا منازع، وقد جمع في مؤلفه

[1]– ينظر :عبده الراجحي ،**التطبيق الصرفي** ،دط ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت ،ص:05.

[2]- ينظر :المرجع السابق،عبده الراجحي ،**التطبيق الصرفي** ،ص:05.

المعروف بـ (الكتاب) مباحث النحو والصرف، وجعل لكل مكانا منه لا يشركه الآخر فيه أو يكاد، وبدأ بالنحو وثنى بالصرف "[1].

وكان العرب يعظمون النحو والنحاة حتى ذهب بهم الأمر إلى تسمية كتاب **سيبويه** بـ(الكتاب)أو وصفه بقرآن النحو، لأن النحو قبل سيبويه "لم تكن له صورة العلم ذي الأبواب والفصول والقواعد العامة، وإنما كانت مسائل متفرقة لا تجمعها قاعدة ولا يضبطها باب جامع بل كانت مختلطة بغيرها من مسائل اللغة والأدب، لتفسير القرآن، وفهم أشعار العرب، فاستطاع كتاب(سيبويه) أن يجمع القواعد ويرتبها، ويعقد أبوابا يجمع فيها أشقاءها من المسائل النحوية فاعتبر بذلك أول كتاب لتدوين النحو العربي وصل إلينا بهذه الصورة الكاملة "[2]، ويعود الفضل لهذا العالم النحوي لوضعه الإطار الشامل للنحو العربي على الرغم من تناول الكتاب لموضوعات أخرى يندرج بعضها في إطار علم الصرف والبعض الآخر في الأصوات ...الخ.

ومع انتشار الإسلام في العراق أصبحت البصرة والكوفة مركزين من مراكز المسلمين فأنشأت في هاتين المدينتين مدرستان سميتا بمدرسة البصرة والكوفة، وكان بينهما خلاف في القضايا النحوية، فمدرسة البصرة اتخذت اتجاها فكريا فلسفيا اعتمد فيها على العقل والقياس، أما مدرسة الكوفة، فكان يغلب عليها طابع النقل والوصف، والأخذ بالأشياء كما وجدت، ومع مرور الزمن ظهرت مدارس أخرى كالبغدادية والأندلسية والمصرية، وكل فريق منها يستنبط أحكامه وقواعده من اللغة التي تحيط به.

وبعد كتاب **سيبويه(ت180هـ)** الذي جمع بين علمي النحو والصرف، جاءت مرحلة استقلال الدراسات الصرفية، حيث أجمع العلماء على أن واضع علم الصرف "**معاذ بن مسلم الهراء** بتشديد الراء وقيل سيدنا علي كرم الله وجهه "[3]، ثم أخذت قواعد هذا العلم تنمو وتتطور، حيث

---

[1]- أحمد مختار عمر ،**البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر** ،ط6،عالم الكتب ،القاهرة 1988،ص:123.

[2]– عبد القادر حسين ،**أثر النحاة في البحث البلاغي** ،دط،دار غريب للطباعة والنشر ،القاهرة،مصر،ص:68.

[3]– أحمد الحملاوي، **شذى العرف في فن الصرف** ،قراءة وتعليق :سليمان إبراهيم البلكيمي ،دار الفضيلة للنشر والتوزيع ،القاهرة مصر ،2008 ،ص:19.

كتبت مصنفات مستقلة من ذلك كتاب التصريف(**للمازني ت245هـ)** الذي يعد من الكتب الأولى لهذا العلم، ثم كتاب التكملة في التصريف **لأبي علي الفارسي**، ومن أهم الكتب المنصف **لابن جني** فهو شرح على كتاب التصريف للمازني، وقد حدد علماء العربية مجال الصرف بالاسم المتمكن المعرب والفعل المتصرف، يقول **أبو حيان النحوي**:"ومتعلق التصريف من أنواع الكلمة والاسم المعرب والفعل المتصرف ،فلا مدخل له في الحروف ولا في الأسماء المبنية ،ولا الأفعال الجامدة نحو ليس وعسى"[1] .

ج/الدلالة في التراث

اهتم علماء العربية القدامى بمفردات اللغة ومعانيها، وتوسعوا في بحثها ودراستها، وخاصة ما يتعلق بالدلالة، وسبل الكشف عنها من خلال السياقات اللغوية، ولقد اختلفت نظرة الباحثين إلى الدلالة في تراثنا العربي باختلاف المادة والمنهج وغاية البحث الدلالي، ومن أشهر المباحث الدلالية :البحث في العلاقات الدلالية، مثل ظواهر الترادف والمشترك اللفظي والأضداد ولعل أشهر الكتب التي غلب عليها الطابع الدلالي، الخصائص **لابن جني** والمزهر في علوم اللغة **للسيوطي(ت911هـ)**...الخ،ويعد المعنى الموضوع الأساسي لعلم الدلالة، ولا أحد ينكر قيمة المعنى بالنسبة إلى اللغة حتى قيل "إنه بغير المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة، وعرف بعضهم اللغة بأنها :معنى موضوع في صوت "[2]؛فاللغة عبارة عن أصوات واستبدال صوت مكان صوت آخر يؤدي إلى تغيير المعنى .

فلقد كان البحث في دلالة الكلمات ما لفت نظر اللغويين العرب ،وأثار اهتمامهم "وتعد الأعمال اللغوية عند العرب من مباحث علم الدلالة، مثل تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم، ومثل الحديث عن مجاز القرآن ومثل التأليف في الوجوه والنظائر في القرآن، ومثل إنتاج المعاجم الموضوعية ...وحتى ضبط المصحف بالشكل يعد في حقيقته عملا دلاليا، لأن تغيير الضبط

[1]– السيوطي جلال الدين ،**همع الهوامع**،ط1 ،تح:عبد العال سالم مكرم ،دار البحوث العلمية ،1980: 76/2.

[2]– حاتم صالح الضامن، علم اللغة ،ص:72.

يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة، وبالتالي إلى تغيير المعنى"[1]، فالكلمة أو اللفظ يعد أصغر وحدة دلالية معينة، وهذا هو المعنى، فالكلمة لا تؤدي معنى معين إلا إذا وظفت في سياق معين لأن التغيير في المبنى يؤدي إلى التغيير في المعنى.

ومن اهتمامات اللغويين بعلم الدلالة عند العرب محاولة **ابن جني**، فقد عرض لهذا الجانب بالمعنى وعوامل تحققه في أكثر من موضع "منه ما قرر فيه أن المعاني قد لا يوصل إليها إلا بالظروف التي أحاطت بها، ومن ثم لا ينبغي أن يكتفي اللغوي بالسماع، بل ينبغي أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة "[2]؛ فالمعنى محكوم بما تحمله الكلمات من معاني ودلالات بالإضافة إلى ما يحمله المقام، وذلك أن الدلالات النفسية تتولد من الحضور والمشاهدة ومعرفة الحال فبمجرد رؤية الشخص لوجهه، نفهم مقصوده ومراده أثناء كلامه.

كما تطرق **ابن جني** أيضا إلى قضية المفاضلة بين اللفظ والمعنى ورأى أن الألفاظ خدم المعاني بقوله:"فكأن العرب تحلي ألفاظها وتدبجها وتشيها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها إلى إدراك مطالبها "[3].كما تعرض إلى الصلة القائمة بين الألفاظ ومعانيها والعلاقة الموجودة بينهما ،وهذا ما نجده في أربعة أبواب منها:

1. "باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"[4]حين ربط بين كلمتي (المسك)و (الصوار)فيقول:"إن كلا منهما يجذب حاسة من يشمه، أي أن المسك حاسة الشم ويجتذبها ويتخذ ابن جني دليلا على قوله من كلمة المسك بالفتح ومعناها الجلد؛ أن الجلد يمسك ما تحته من جسم"[5].
2. أما الباب الثاني فقد سماه (بالاشتقاق الأكبر) الذي بين فيه بأن الكلمة مهما خضعت للتقليبات فهي تشتمل على معنى عام مشترك، ويضرب مثلا بمادة (ق وس)."والقوة هي شدة القلب واجتماعه ...ومنها الوقس لابتداء الجرب..."[6].

---

[1] - أحمد مختار عمر، **علم الدلالة** ،ط5،عالم الكتب ،القاهرة ،1998،ص:20.

[2]– ينظر: عبده الراجحي، **فقه اللغة في الكتب العربية** ، دط،دار المعرفة الجامعية ، بيروت،لبنان ،1998،ص:167.

[3]–ابن جني، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار ، ط1،دار التوفيقية للطباعة ،2015 : 1/ 299.

[4]– ينظر :المرجع نفسه :121/2.

[5]– ينظر: المرجع نفسه،ص: 125. 126.

[6]– المرجع نفسه :145/2.146.

3 أما الباب الثالث فقد سماه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) يذهب إلى أنه مجرد الاشتراك في الحروف الثالثة الأولى أدى إلى الاشتراك في الدلالة، كما في كلمتي دمث"ودمثر؛ فالأولى من دمث المكان كفرح سهل ولان ومنه دماثة الخلق أي سهولته والثانية معناها السهل من الأرض والجمل الكبير اللحم "[1].

4 و سمى الباب الرابع (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)؛ أي وضع الألفاظ على صورة مناسبة لمعانيها، "فهو يشير بذلك إلى تقارب المعاني نتيجة تقارب جرس الأصوات"[2].ويفترض هنا أن صيغة (الفعللة) تفيد التكرار، مثل صرصر الجندب، أي كرر في تصويته، وأن صيغة الفعلى تفيد السرعة مثل الجمزى[3].

إن نظرة عجلى إلى محاولة **ابن فارس** في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) نلفيه أنه قد جعل المعنى والتفسير والتأويل من المقاصد المتقاربة، ولذلك عقد بابا في كتابه بعنوان "باب معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء، قال:ومرجعها إلى ثلاثة :وهي المعنى والتفسير والتأويل وهي إن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة "[4]، فالمعنى والتفسير والتأويل اصطلاحات ثلاثة مترادفة عند **ابن فارس**، وهذا يقتضي أن المعنى عنده تفسير للشيء أو تأويل له.

أما فيما يخص المعنى عند البلاغيين، فإنه يمثل قمة الدراسات البلاغية في التراث العربي لأنه أصل الكلام وفحواه، وأول من أدلى بدلوه في هذه القضية **الجاحظ(ت 255هـ)**، حيث بين أن أكثر شيء يخدم الدلالة والمعنى المطابقة بين المتكلم والسامع، وبين مقتضى الحال، وما يفرضه من جملة الظروف والملابسات التي يجري فيها الخطاب، و**الجاحظ** في حديثه عن الدلالات

---

[1]–ينظر :المرجع نفسه:157/2. وإبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، ط5،مكتبة الأنجلو مصري،1984 ،ص:65.

[2]–المرجع السابق :ابن جني، **الخصائص**:164/2 .ومحمد عبد الكريم الرديني، **فصول في علم اللغة**، ط1، عالم الكتب بيروت لبنان 2002،ص:239.

[3]– ينظر المرجع نفسه :164/2.وإبراهيم أنيس ،**دلالة الألفاظ** ،ص:66.

[4]– ينظر:ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، ط1 ،تح:عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ،بيروت ،لبنان 1414هـ،1993م ص:198.

وأنواعها نلفيه يقول في هذا السمت "جميع أصناف الدلالات من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد ثم الخط، ثم الحال، التي تسمى النصبة "[1] ؛ فاللفظ هو الكلام المنطوق ،والإشارة هي الحركة باليد أو العين ،والعقد هو ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين.

ولربما كان أفضل ما جاء به **عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)**"هو أنه حسم في تفاضل الألفاظ والمعاني لصالح رؤية موازنة لمعادلة طرفاها اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون واستكناه دلالة الألفاظ من داخلها لا من التأويل الخارجي، وتحليل الدال والمدلول في قيمتها الدلالية، وإدراك أثر المكون التركيبي في نظريته في النظم "[2]، فالجرجاني هنا يؤكد ضرورة المطابقة بين اللفظ والمعنى داخل التركيب، من خلال عملية النظم، وللعلاقات التركيبية بين الكلمات في الجملة مجالات للدراسة هي:دراسة البنية النحوية للجملة خارج السياق الكلامي ودراسة البنية المعنوية للجملة ضمن السياق الكلامي والحال .

إن هذه الجهود المبذولة في مجال الدراسات اللغوية عند العرب قد انطلقت بدافع ديني من حرص المسلمين عل حفظ القرآن الكريم من اللحن والخطأ؛لأنه المرجع في الدين واللغة، فلقد ظهرت مختلف الدراسات الخاصة بتفسير معانيه وتوضيحها ثم تطورت هذه الدراسات اللغوية عند العرب بتلك المستويات المختلفة وأخذت منحى مختلفا "وصارت اللغة تطلب لذاتها ،يؤلف فيها الكتب المستقلة ،فكان القرآن الكريم فاتحا للعلوم العربية للدخول في ميدان التأليف ولتحقيق ذلك وضع بين أيدي الباحثين أكثر من منهج يسلكونه لخدمة هذه اللغة وعلى نحو لا يكاد ينفصل عن الغرض الديني من قريب أو من بعيد"[3].

---

[1]- الجاحظ ، **البيان والتبيين** ، تح :عبد السلام محمد هارون ، دط ، دار الجيل ،بيروت ،1992 :1/ 138.

[2]–خضر أكبر حسين كصي، **أصالة البحث الدلالي عند العرب من حيث النشأة والتطور والتأليف** ، مجلة جامعة تكريت للعلوم المجلد19، العدد12،كانون الأول ،2012،ص:28.

[3]–هدى صلاح رشيد، **تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب**، ط1، دار الأمان الرباط،1436هـ 2015م ص:23.

2 الدرس اللغوي وتحديد المصطلح:

إن التشابك أو التداخل الذي صاحب الدراسات النحوية واللغوية عند العلماء والمصنفين في هذه الدراسات هو اختلاط يرد إلى وحدة المصدر واتحاد النشأة ، إلا أننا رغم ذلك نجد كتب الطبقات والتراجم تميز اللغوي عن النحوي " وتطلق مصطلح (اللغة) في مقابل النحو على دراسة المفردات اللغوية جمعا وتأليف، فاللغوي هو الذي يشتغل بمفردات اللغة **فالأصمعي(ت216هـ)** لغوي لأنه جمع ألفاظ اللغة من البادية وبوبها في رسائل لغوية ذات موضوعات دلالية، و**الخليل** لغوي لأنه أول من جمع الألفاظ في معجم ذي ترتيب معين وكذلك **ابن دريد(ت321هـ)** لغوي بمعجمه جمهرة اللغة ، **والأزهري(ت 463هـ)** لغوي بمعجمه تهذيب اللغة "[1] .ونلاحظ هذا دائما عند من يترجم للغويين الأوائل .

ويقابلنا مصطلح ثان هو مصطلح علم اللغة "يستخدم في التراث العربي بمعنى دراسة الألفاظ ومدلولاتها وتصنيفها في معجمات وكتب"[2] .فقد أشار **أبو حيان النحوي (ت754هـ)** إلى هذا المصطلح في معرض كلامه عن العلوم التي يجب أن يتقنها المفسر وأولها علم اللغة الذي هو دراسة مدلول مفردات الكلم.

ويتفق **ابن خلدون(ت 808هـ)** معه في هذا المصطلح وتعريفه فيقول :" إن علم اللغة هو بيان الموضوعات اللغوية "[3]؛ ويعني **ابن خلدون** بهذا دراسة الدلالات التي وضعت لها هذه الألفاظ.

ونلفي مصطلحا ثالثا هو علم اللسان " ونلاحظ أن **ابن سيده(ت458هـ)** قد ألف معجمه المخصص تطبيقا لهذا المفهوم لعلم اللسان الذي حدده في نوعين من الدرس:مفردات اللغة ودلالاتها ،والقوانين التي تحكم هذه المفردات"[4].

---

[1]– كريم زكي حسام الدين ، **أصول تراثية في علم اللغة** ،ص:28.

[2]– محمد محمد داود ، **العربية وعلم اللغة الحديث** ، دار غريب ، القاهرة ،2001،ص:84.

[3]– ابن خلدون، **مقدمة** ، دار الشعب ، القاهرة ،1980 ،ص:515.

[4]–كريم زكي حسام الدين، **أصول تراثية في علم اللغة** ،ص:29.

إن ابن سيده لم يكن في الحقيقة من استعمل هذا المصطلح ،فقد استعمله قبله **الفارابي(ت339هـ)** في كتابه (إحصاء العلوم) حيث جعله " يشتمل على علوم خاصة وعلوم أخرى عامة، كما أدخل في هذا العلم جوانب تعليمية تطبيقية تنتمي الآن إلى فرع مستقل في اللسانيات الحديثة يطلق عليه اللسانيات التطبيقية "[1] .فعلم اللسان عند **ابن سيده** في الجملة ضربان:[2]

الأول: حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما ،وعلم يدل ما يدل عليه شيء منها .

الثاني :علم قوانين تلك الألفاظ.

وهذا جلي أن **ابن سيده** قد اطلع على كتاب الفارابي وتأثر بمفهومه عن علوم اللغة.

وقد استعمل **ابن خلدون** المصطلح نفسه ولكن بصفة الجمع قائلا " إن معرفة علم اللسان ضرورية لأهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وقد حدد ابن خلدون علوم اللسان في أربعة علوم وهي : النحو واللغة والبيان والأدب "[3].وهذا المصطلح يستعمله المحدثون في المغرب العربي الآن إلى جانب مصطلح اللسانيات.

أما المصطلح الرابع فهو مصطلح فقه اللغة، فقد ارتبط في التراث العربي "بمعرفة الألفاظ العربية ودلالاتها على نحو ما جاء عند **ابن فارس(ت395هـ)** في كتابه الصاحبي في فقه اللغة وعند **الثعالبي(ت430هـ)** في كتابه فقه اللغة وسر العربية "[4]." ولم يكتب لهذا المصطلح الذيوع والانتشار إلا في أوائل الثلاثينيات عندما جاءت جماعة من المستشرقين إلى كلية الآداب جامعة القاهرة للتدريس بقسم اللغة العربية، وأطلقوا هذا المصطلح على العلم الذي يدرس اللغة وكلماتها

[1]– نعمان بوقرة، **اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة** ، ط1،عالم الكتب الحديث ،إربد ،2009،ص:206.

[2]–كريم زكي حسام الدين، **أصول تراثية في علم اللغة** ،ص:30.

[3]–ابن خلدون ،**مقدمة** ، ص:714.

[4]– محمد محمد داود ، **العربية وعلم اللغة الحديث** ،ص:84.

وقوانينها، وقد يدخل في هذا دراسة الأدب ونصوصه القديمة بصفة خاصة وهو ما يقابل في الإنجليزية philologyوالفرنسية philologie"[1].

وقد استخدم هذا المصطلح كثير من الباحثين في الجامعات المصرية، يقول (**الدكتورعلي عبد الواحد وافي**) في هذا السياق: " أما بحوث علم اللغة نفسه فقد درس المؤلفون من العرب بعضها تحت أسماء مختلفة أشهرها اسم فقه اللغة وهذه التسمية هي خير ما يوضع لهذه البحوث، فإن فقه الشيء هو كل ما يتصل بفلسفته وفهمه والوقوف على ما يسير عليه من قوانين، فقد قال صاحب المصباح (الفقه فهم الشيء) وقال **ابن فارس** (كل علم لشيء فهو فقه)،وقد كنا نود أن نسمي كتابنا هذا باسم فقه اللغة لولا أن هذا الاسم قد خصص مدلوله في الاستعمال المألوف، فأصبح لا يفهم منه إلا البحوث المتعلقة بفقه اللغة العربية وحدها"[2] .

ولقد ذاع هذا المصطلح المعروف بمصطلح الفيلولوجي philology عند الأروبيين ويعني عندهم دراسة النصوص القديمة وتحقيقها والتعليق عليها، و دراسة ما يتصل بها لغة وأدبا وثقافة، ولقد ارتبط هذا المصطلح منذ القرن الثامن عشر بالدراسات التاريخية التي عرفت فيما بعد باسم فقه اللغة المقارن Comparative philology .

3 مناهج البحث في دراسة اللغة عند العرب القدامى

لقد انتهج علماء العرب القدامى في دراستهم للظواهر اللغوية منهجا خاصا ومتميزا قائما على إعمال العقل ودقة الملاحظة، ولذلك يرى الباحثون أن النظرية اللغوية في التراث العربي قائمة على منهجين اثنين :

[1]– كريم زكي حسام الدين ،**أصول تراثية في علم اللغة** ،ص:31.

[2]– ينظر :**علي عبد الواحد وافي**، علم اللغة ،ط7،دار النهضة ،1973،ص:15..

أـ المنهج الوصفي :

إن المتتبع لمسار الدراسات اللغوية عند العرب القدامى يدرك لا محالة أن هناك تحول أملاه ارتباط الإنسان العربي المسلم بالقرآن الكريم، فالحكم على طبيعة المنهج العربي لا يكون صادقا إلا بالرجوع إلى بداية الاهتمام باللغة، ولهذا فلقد كانت الخطوة الأولى حماية النص القرآني من اللحن"فكلف زياد ابن أبيه **أبا الأسود الدؤلي (ت69هـ)** بضبط القرآن الكريم فضبط حركاته بنقاط توضع فوق الحرف أو تحته أو بين يديه، ثم كلف الحجاج وهذا التكليف يعد الخطوة الثانية **ـنصر بن عاصم الليثي (ت89هـ)**"[1]:فقد قام هذا الأخير بإصلاح الرسم للتمييز في قراءة المصحف بين الحروف المشابهة كالحاء والخاء والباء والتاء فأعجم هذه الحروف .

"ثم خطا **الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)**الخطوة الثالثة، إذ طور رموز **أبي الأسود الدؤلي(ت 69هـ)**، فضبط الحركات برموز أخرى غير النقاط ليميز رموز الضبط من رموز الإعجام فرمز للفتحة بألف صغيرة تعلو الحرف المفتوح، والضمة بواو صغيرة تعلو الحرف المضموم وللكسرة بياء صغيرة تذيل الحرف المكسور "[2]، ولقد أطلق عليها (ابن جني) أبعاض حروف المد، فالفتحة بعض الألف، والضمة بعض الواو، والكسرة بعض الياء.

إن الخطوة التي خطاها **أبو الأسود الدؤلي**، أدت إلى تساؤلات الناس عن سبب الرفع أو النصب أو الجر، في كل كلمة ضبطها، فكانت الإجابة أن بناة أفكاره قادته إلى وضع علم النحو .

إن ما يجب الإشارة إليه أن هناك اختلاف فيما إذا كان **أبو الأسود الدؤلي** قد وضع قواعد اللغة العربية أم نبه فقط"وإلى جانب هذا ذهب غير قليل من الباحثين العرب والمستشرقين إلى أن **أبا الأسود الدؤلي** لم يضع القواعد ،بل جاء عمله منبها للأذهان إلى وضع تلك القواعد ،حيث إن الناس عندما وجدوا لفظة ترفع بحسب النقط تساءلوا عن سبب رفعها أو تنصب تساءلوا عن سبب نصبها وهكذا في الحالات الأخرى، فجرهم هذا إلى معرفة ما يرفع من الألفاظ وما ينصب ويجر

[1]- ينظر:غازي مختار الطليمات، **في علم اللغة** ،ط2 ، دار طلاس للدراسات والنشر والترجمة ،2000،ص:96.97.

[2]– أبو عمر الداني، **المحكم في نقط المصحف** ،تح:عزة حسن ،دمشق،1960،ص:76.

ويجزم والتمييز بين ذلك ،ثم إلى وضع القواعد في هذه المسائل وعلى رأي هؤلاء إن القواعد وضعت متأخرة عن عهد **أبي الأسود الدؤلي** ،ولكن أكثر الرواة المتقدمين لا يقرون مثل هذا لأن ليس هناك ما يؤيده من سند تاريخي سوى الاجتهاد والحدس والتخمين"[1].

إن التفكير في وضع هذا العلم (علم النحو) ليس عملا فرديا، وإنما كان جماعيا فقد اندفع الرواة وكلهم قارئ أو حافظ أو نحوي ـإلى البادية يجمعون الألفاظ من أفواه الناطقين بها ويستقونه صافيا من منابعه الأصلية ومن هؤلاء **(عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي) (ت117هـ)،عيسى بن عمرو الثقفي (ت149هـ)،وأبو عمر بن العلاء المعري (ت154هـ)**...فكانوا يذهبون بالصحف والأقلام والحبر إلى نجد والحجاز، ويعودون بفصيح الشعر مخطوطا في السطور أو محفوظا في الصدور.

لقد كان منهج العرب القدامى أثناء جمعهم للمادة اللغوية استقرائيا وصفيا يعتمد تتبع الظاهرة اللغوية بالملاحظة والوصف، ثم الاستنباط والتحليل والتعليل ـوكان تتبع الظاهرة اللغوية والنظر فيها وتلمس دقائقها قد بدأ أولا بالاستماع إلى العرب الفصحاء ممن سكن بوادي الجزيرة العربية والرواية عنهم، وكان علماء البصرة هم السباقون في ذلك، وهذا ما أثبته الباحثون المعاصرون وأقروا بأن منهج الاستقراء هو نفسه المنهج المعتمد من قبل النحاة القدامى في جمعهم للمادة اللغوية عن طريق السماع، وفي هذا السياق يقول **تمام حسان:**"كانت دراسة اللغة تدور في مبدإ الأمر على تلقي النصوص من أفواه الرواة ومشافهة الأعراب، وفصحاء الحاضرة فكان ثمة مجال للاستقراء واستنباط القاعدة من تقصي سلوك المفردات والأمثلة، ومن ثم نتبين أن الدراسات العربية الأولى تتصف بالوصف وتنأى إلى حد كبير عن المعيار"[2]؛فتلقي النصوص من أفواه الناطقين بها، والنقل عنهم ما مهد لاستقراء اللغة واستنباط القواعد، فاتسمت بذلك الدراسات العربية بالوصف إلى حد كبير عن المعيار .

---

[1]– محمد حسين آل ياسين، **الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث** ،ص:58.

[2]– تمام حسان، **اللغة بين المعيارية والوصفية** ، ط1 ، دار المعرفة ،الإسكندرية ،1989،ص:35.

وفي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، نقل علماء اللغة العرب بحوثهم اللغوية من مرحلة الجمع والتصنيف إلى مرحلة الصنع والتأليف، ومن الاعتماد على السماع وحده إلى مزيج السماع بالقياس (القياس العقلي)، وحسبنا ههنا أن نشير إلى كتابين يمثلان أرقى ما وصل إليه البحث اللغوي في تلك المرحلة :أحدهما في اللغة، وهو معجم العين **للخليل بن أحمد الفراهيدي**، والثاني في النحو وهو الكتاب **لسيبويه** الذي أقام قواعده على الاستعمال اللغوي" [1] حيث اعتمد على جمع المادة عن طريق الأخذ المباشر ،واشترط الفصاحة والثقة.

ومن المبادئ الأساسية للمنهج الوصفي، تناول الظاهرة على أساس شكلي"إن النحاة الأوائل كانوا يتناولون الظواهر اللغوية على أساس شكلي وهو مبدأ من مبادئ النحو الوصفي"[2]، فالنحو العربي في بداياته اعتمد على استقراء المادة اللغوية من منابعها الأصلية (السماع المشافهة)،ثم استنبطت منها مختلف القواعد، وتتبدى سمات هذا المنهج في:الزمان والمكان، أما تحديد الزمان :فهو محدد البداية والنهاية من خلال كتابي **الخليل وسيبويه**، أما البداية فالقرن الذي سبق الإسلام، والنهاية سنة 150هـ، فكل كلام مات قائله بعد هذه السنة مرفوض لا يحتج به أما المكان فلقد رأى البصريون من أمثال **سيبويه والخليل** الأخذ عن القبائل التي تسكن أواسط الجزيرة العربية، بحجة أن التي تسكن أطرافها قد فسدت لهجاتها بمخالطة الأمم الأعجمية المجاورة وفي هذا السياق يقول **الفارابي (ت350هـ)**:"الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم أقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي، من بين قبائل العرب هم :قيس وتميم ،وأسد ،فإن هؤلاء أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم "[3]،فالأساس الأول الذي اختلفت فيه المدرستان البصرة والكوفة هو تحديد القبائل التي تؤخذ عنها اللغة فالذي اشترطه البصريون لم يشترطه الكوفيون،

---

[1]- عبده الراجحي، **النحو العربي والدرس الحديث** "**بحث المنهج**"،دط،دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1979،ص:55.

[2]–علي زوين، **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث** ،ط1،ص:16.

[3]-- ينظر :محمد حسين آل ياسين، **الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث** ،ص:32.

بل أجازوا الأخذ عن سائر القبائل العربية ما سكن منها أواسط الجزيرة أو أطرافها وذهبوا أن الإجماع قائم على أن كل قبائل العرب تتكلم العربية،وأنه لم يثبت فساد ألسنتها بمخالطتهم الأمم الأعجمية الأخرى، هذا بالإضافة إلى الكثير من القضايا التي اختلفت فيها المدرستان جمعت في كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين)**لابن الأنباري**.

ب ـ المنهج المعياري :

إذا كان المنهج الوصفي استقرائيا إحصائيا، يعتمد المادة اللغوية، ثم استنباط الأحكام من الكلام فإن المنهج المعياري يعتمد القاعدة أساسا وينأى عن الوصف "فالعيار في اللغة القياس والمعيار المقياس من عايرت الشيء بالشيء :إذا قسته به تمتحنه وتعرف صحته، والعيار أو المعيار هو ما جعل مقياسا للدراهم والدنانير ليعرف ما فيها من الفضة والذهب فلك أن تعد المنهج المعياري في دراسة اللغة استنادا إلى هذا الأساس، اصطلاحا حديثا لما يعرف بمدرسة القياس ويسميه الغربيون prescriptive systéme ، ويسمون اللغة الفصيحة التي تجعل معيارا لغيرها من اللهجات stantard language"[1]، فاللغة المعيارية جذورها الأصلية لهجة من اللهجات القومية وقد قيض الله لها أسباب الازدهار فأضحت لغة رسمية للأمة، وأصبحت دراستها محور المنهج المعياري، والنقطة المركزية في هذا كله القرآن الكريم الذي إليه المرجع في الدين واللغة.

ويعد هذا المنهج هو المعتمد في الدراسات اللغوية العربية عامة والنحوية خاصة، واعتبرت المقاييس التي اعتمد عليها والقواعد فيصلا في الصحة والخطأ.

ولما كانت الطريقة المعيارية هي الأنسب للمراحل الأولى من تعليم اللغة القومية وقواعدها فإن الهدف المراد المحافظة على اللغة المعينة، والتمكن من قواعدها وربط الأمة بلسان واحد ولا يكون ذلك إلا بتعليم الناشئة مجموعة من القواعد حتى يسيروا عليها، ولذلك نجدهم اتجهوا بالنحو وجهة تعليمية، حرصا منهم على حفظ الكتاب الكريم من اللحن، وهذا ما أكد عليه **تمام حسان**

[1]–ينظر علي زوين، **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**، ط1،ص:23.

من خلال قوله "إن التي نشأ من أجلها وهي ضبط اللغة ،وإيجاد التي تعصم اللاحنين من الخطأ، فرضت على هذا النحو أن يتسم في جملته بسمة النحو التعليمي لا النحو العلمي أو بعبارة أخرى أن يكون في عمومه نحوا معياريا لا نحوا وصفيا"[1]؛ **فتمام حسان** يرى أن عوامل نشأة النحو المرتبطة بالنص القرآني جعلته ينحو منحى تعليميا يفرض على المعلم والمتعلم معيارا يحكمان إليه في تمييز الصواب من الخطأ، أضف إلى هذا تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي الذي اهتم بالصورة أكثر من عنايته بالمادة، فقسم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف ثم تعريف الاسم بأنه مادل على ذات، والفعل ما دل على حدث وزمن والحرف ما لايدل على شيء بنفسه، كل هذا يشير إشارة واضحة إلى سيطرة الفكر المنطقي على التفكير اللغوي "ودرس اللغة ينبغي أن يركز على المادة لا على الصورة، وتأثير المنطق على النحو يبعده عن الدرس اللغوي كما هو "[2].

ولما كان المعيار القديم الذي احتكم إليه علماء البصرة والكوفة هو البيئة الأعرابية قد اختفى فإن المرجع الوحيد الذي بقي بين أيدي هؤلاء العلماء ما ورثوه من قواعد ، ولذلك أخذت المناهج تنبو عن السماع وتقترب من القياس الذي يعد الركيزة الأساسية التي اعتمدها النحاة في وضع القواعد "ويعد الأساس الذي يقوم عليه وضع القواعد النحوية والصرفية واطرادها"[3]،باعتباره العنصر المحرك للنحو المعياري .

لقد تحدث **الزجاجي** عن القياس واعتبره الأصل المبني على البرهان والحجة ، لا الاستقراء المبني على وصف ما تكلمت به العرب ،فاللغة عند أصحاب المنهج المعياري هي"ما يجب أن يتكلمه الناس وليست ما يتكلم الناس بالفعل "[4]، وهذا هو الفارق الأساسي بين المنهج المعياري والمنهج الوصفي، فقد انقلبت البداية إلى نهاية؛ إذ انقلبت النتائج التي توصل إليها المهتمون بالمنهج الوصفي إلى ركائز وأسس يعتمد عليها متبنوا المنهج المعياري، واعتبروا التعليل "سمة من سمات

[1]–تمام حسان ،**العربية معناها ومبناها** ،ط2،الهيئة العامة للكتاب ،القاهرة ،1979،ص:13.

[2]–عبده الراجحي ،**النحو العربي والدرس الحديث (بحث المنهج)**،دط،ص:61.

[3]– شوقي ضيف ،**المدارس النحوية** ،ط2،دارالمعارف ،مصر ،القاهرة ،ص:78.

[4]–كمال بشر، **التفكير اللغوي بين القديم والجديد** ،دط،،دار غريب للطباعة ،والنشر ، القاهرة ،2005،ص:319.

المعيارية، وهذا التعليل من تصورات الباحث ليس غيره، ولم يتصوره الناطقون بهذه الظواهر حين نطقوا بها"[1]، ولقد كثرت التعليلات عند سيبويه "فهو لا يعلل فقط لما كثر على ألسنتهم واستنبطت على أساسه القواعد، بل يعلل أيضا لما يخرج عن تلك القواعد المطردة وكأنما لا يوجد أسلوب، و لا توجد قاعدة أو علة "[2]، واتسمت تعليلاته باليسر، وقد أسهب في الحديث عن العلل النحوية للزجاجي وابن جني وغيرهما .

ويمكن أن يستدل ببعض المظاهر على المنهج المعياري في الدراسات اللغوية القديمة على هذا النحو:

- الأخذ من بعض القبائل وترك قبائل أخرى ،وأكثر القبائل الذين أخذ عنهم :قيس ،تميم أسد هذيل ،بعض كنانة وبعض الطائيين
- تقسيم الكلام من حيث الاستعمال إلى مطرد وشاذ، قال أبو علي الفارسي:"هذا باب معرفة ما كان شاذا من كلامهم، اعلم أن الشاذ على ثلاثة أضرب: شاذ عن الاستعمال مطرد في القياس،ومطرد في الاستعمال شاذ عن القياس ،وشاذ عنهما"[3].
- استعمال بعض القضايا في الشعر مخالفة للقواعد التي أقرها النحاة كالضروريات الشعرية المعروفة.

نخلص مما عرضنا من مناهج العرب الأقدمين إلى أنهم سلكوا في دراسة النحو واللغة منهجين: منهجا وصفيا واقعيا (أخذ المادة من أفواه الناطقين بها،أي السماع)، ومنهجا معياريا منطقيا(القياس)؛ فالأول هو منهج يبحث عن الحقيقة لذاتها؛ في حين أن الثاني يعنى بتوجيه عناية الناس إلى ما يجب اتباعه في قواعد اللغة، وإلزام الدارسين بها وهو منهج تعليمي وهو وسيلة من وسائل تعليم اللغة وقواعدها للأجيال المختلفة.

---

[1]– تمام حسان، **اللغة بين المعيارية والوصفية** ،ط1،ص:58.59.

[2] –شوقي ضيف، **المدارس النحوية** ، ،ص:.82.

[3]–علي زوين، **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسات)**، ط1،ص:30.

المبحث الثاني: الدرس اللساني المعاصر خصائصه ،ومناهجه، ومدارسه

شهد العالم منذ مطلع القرن العشرين نشاطا فكريا في مختلف ميادينه العلمية والإنسانية، وقد كان للعلوم الإنسانية نصيب كبير من ذلك النشاط، ففي هذا القرن سطع فيه مجد اللسانيات مع **(فرديناند دي سوسير)(F.saussure)** المؤسس الفعلي لهذا العلم بفضل محاضراته التي لم يعش ليشهد نشرها واشتهارها وإقبال العلماء عليها وأثرها على الفكر اللساني.

لقد أضحى هذا العلم ضربا جديدا وعلما حديثا يشق طريقه بين زحمة العلوم الإنسانية حتى كاد أن يكون طليعتها، وما ذاك إلا أن موضوعه اللغة، وهي ظاهرة فكرة تتصل بالبشر اتصالا وثيقا، وترتبط بحياة الفرد والجماعة ارتباطا إلزاميا ؛فعجل ذلك من ظهور الأبحاث اللغوية على اختلاف درجاتها وصفاتها وعلى مختلف المراحل الزمنية التي تساير حياة الناس حيث تكونت فيما بعد تيارات فكرية لغوية أفضت مناهج بحث تجلت من خلالها منابع اللغة، خاصة ما ظهر في الأبحاث اللغوية الأوروبية من أعمال امتد أثرها إلى شتى أنحاء العالم بدءا بالدراسات اللغوية التاريخية وظهور المنهج التاريخي وأتبعه المنهج المقارن والدراسات المقارنة لتليها لاحقا الدراسات الوصفية والمنهج الوصفي، ثم برز المنهج البنيوي والدراسات البنيوية التي تزامنت مع ظهور العالم السويسري **(فرديناند دي سوسير 1857-1913)** ، فلقد اتسم الدرس اللساني الغربي بعدة مميزات اختلفت باختلاف المراحل الزمنية ،وتنوعت بتنوع الأعمال اللغوية.

1 **فالمنهج التاريخي والدراسات التاريخية** توقفت على ما يلي:

"الكشف عن الاتجاهات المختلفة للتغير اللغوي وأنظمتها من خلال الوصول إلى العوامل التاريخية التي ساعدت على التغير "[1]، فاللسانيات التاريخية تطرح نموذجا دراسيا جديدا في الدراسات اللغوية يظهر عليها طابع التأثر بنظرية داروين "في التطور التي شكلت منهجا في دراسة العلوم الطبيعية، حيث نظر اللغويون إلى اللغات واللهجات على أنها كائنات يمكن تصنيفها بحسب

[1]–علي زوين، **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث** ،ص:37.

أنواعها، فقسموا اللغات . على ذلك ـ إلى أسر؛ كأسرة اللغات الهندية الأوروبية واللغات السامية ،ولغات الأورال كما هي الحال في التاريخ الطبيعي"[1]، وبما أن المنهج التاريخي متأثر بهذه النظرية فقاعدته الدراسية الأولى دراسة تطور اللغات عن طريق تحديد"جمع عينات لغوية من الأسرة الواحدة، ويسجل التطورات المثالية للكلمة الواحدة عبر مختلف العصور"[2].

كما أن الدراسات التاريخية لم تميز بين الدراسات اللغوية التاريخية والدراسات الآنية "كان هناك خلط منهجي في البحث اللغوي بين دراسة اللغة دراسة تاريخية ودراسة آنية "[3]؛ ومعنى هذا أن المنهج التاريخي مؤمن بالحركة لا الثبات "وأنه يضع اللغة في موضعها من الحياة التي تتفاعل عناصرها وتؤثر في اللغة :في أصواتها ودلالاتها وصيغها وتراكيبها، فلا ينجو من التأثر نحو ولا صرف ولا تعتصم منه عامية ولا فصيحة "[4]، فأصحاب الدراسات التاريخية باتوا يؤمنون بتطور اللغات والظواهر اللغوية وهذا ما فسره (أوغست بوت)، فاللغة في نظره دائمة التغير والتحول .ومن خصائص اللسانيات التاريخية اعتمادها على مناهج إجرائية معينة:

أ- المنهج المقارن:

إن الأساس الذي يقوم عليه المنهج المقارن هو" أنه يقوم على الدراسة النحوية والصرفية والدلالية بمقارنة تجري بين لغتين أو أكثر من فصيلة لغوية واحدة وتهتم بدراستها من حيث الأصوات وتشكيلاتها وبناؤها ومخارجها وصفاتها ووظائفها "[5]، فهو يعتمد على دراسة صلات القرابة بين اللغات من خلال استخلاص عينات لغوية قديمة ومقارنتها بالوحدات اللغوية المستهدفة في الدراسة ثم استقراء النتائج.

---

[1]–كارل بروكلمان، **فقه اللغات السامية** ،ترجمة :رمضان عبد التواب ،مطبعة جامعة الرياض ،1977،ص:9.6.

[2]–أحمد مومن، **اللسانيات النشأة والتطور**،ط5 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،2015ص:64.

[3]–محمد محمد يونس علي، **مدخل إلى اللسانيات**،ط1 ،دار الكتاب الجديدة ،بيروت ،لبنان ،2004،ص:14.

[4]– غازي مختار الطليمات ،**في علم اللغة** ،ص:118.

[5]–ينظر: أحمد مومن ،**اللسانيات ـالنشأة والتطور** ،ص:70 .بتصرف.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا المنهج قديم قدم الفكر الإنساني ،فقد استخدمه أرسطو وأفلاطون كوسيلة للحوار والمناقشة ،بهدف قبول أو رفض القضايا المعروضة للنقاش.

ب ـ منهج إعادة التركيب الداخلي :

إن هذا المنهج حسب **(أحمد مومن)** يهدف إلى" إعادة البناء دون اللجوء إلى المقارنة ،إذ أنه يستعمل عندما تتعذر المقارنة بسبب انعدام اللغات المدونة، ويركز على العناصر المختلفة داخل اللغة الواحدة، ويرمي إلى تمييز العناصر اللغوية العتيقة أو المهجورة من العناصر اللغوية الجديدة"[1]. وفي هذا تأكيد على أن هذا المنهج يرمي إلى تحديد الاختلافات الداخلية للغة من اللغات بغية تمييز العناصر القديمة من الحديثة .إنه يعيد بناء اللغات بعيدا عن المقارنة لأنها غير مدونة .وهو حسب **(ميلوسكي)** يتخذ ثلاثة أشكال[2]:

1. يستخلص الاستنتاجات على أساس التغيرات الفيلولوجية .

2. إنه في حالة كون صيغتان تمتلكان نفس الدلالة، على سبيل المثال؛ أحدهما مطابقة للنظام المورفولوجي العام، والأخرى استثنائية، ينظر إلى الصيغة الاستثنائية منها على أنها الأقدم لأنها تنتمي إلى نظام لغوي قديم وهو ما أطلق عليه (ميلوسكي) منهج الاستثنائية .

3. وفي شكله الثالث يتناول الصيغ السائرة عن طريق الانقراض ويعتبرها الأقدم إذا وجدت صحبة أخرى في طريق التطور. وفي هذه النقطة قدم لنا مثالا مؤداه (thou)و(you) أولهما سائرة في طريق الانقراض، والأخرى في طريق الحيوية ،ومنه الصيغة الأولى (thou) هي الأقدم.فهذا المنهج يهدف إلى التمييز بين مكونات اللغة الأصلية والمكونات اللغوية الحديثة عن طريق إعادة البناء الداخلي.

[1]–المرجع نفسه، ص:72. 73.

[2]– ينظر :المرجع نفسه، ص:73 .بتصرف.

ج ـ المنهج الفيلولوجي:

يعمل هذا المنهج على مقارنة النصوص المكتوبة داخل لغة من اللغات وذلك عبر مراحل زمنية مختلفة ،فهو يهدف إلى" مقارنة النصوص المكتوبة، داخل اللغة الواحدة عبر مراحلها التاريخية المختلفة"[1]. وفي هذا المنهج يعمل اللساني على مقارنة العناصر اللغوية التي تقوم بنفس الوظيفة اللغوية في جميع مراحل هذه اللغة (قديمة ، متوسطة، حديثة)، ويسجل بدقة كل التغيرات الواضحة بطريقة تدريجية.

وخلاصة القول أن الدراسات التاريخية قد تأثرت ببعض النظريات العلمية كنظرية داروين ،كما أنها استندت على مناهج معينة في الدراسات اللغوية؛ كالمنهج المقارن، ومنهج التركيب الداخلي والمنهج الفيلولوجي.

2 المنهج الوصفي

ظهرت في أوروبا بوادر المنهج الوصفي الذي أرسى أسسه ودعائمه **(دي سوسير) (F.saussure)**،ويعود إليه الفضل في بيان هذا المنهج وإظهار منافعه في الدرس اللغوي فهو يعنى بوصف اللغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته ،يقول (دي سوسير):"إن موضوع الدراسة اللغوية الوحيد والحقيقي هو اللغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته ويبحث فيها لذاتها"[2]فالمنهج الوصفي "يعنى بدراسة الاستعمال اللغوي في زمان بعينه ومكان بعينه"[3]،ويقف عند الخصائص الآتية:

- تقوم الدراسة الوصفية بتحليل وتفسير الخصائص المادية لكل لغة كما هي مستعملة في الواقع ضمن إطار زمني ومكاني محدد،ولقد أعلن ثورته على الخط التقليدي في دراسة اللغة ـ وهو الخط التاريخي ـ ورأى أن أفضل منهج لدراسة اللغة هو أن تحاول وصفها في

---

[1]– المرجع السابق :أحمد مومن، **اللسانيات . النشأة والتطور.**،ص:73.

[2]–علي زوين، **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**،ص:10.

[3]–ينظر: محمد حسين آل ياسين ،**الدراسات اللغوية عند العرب**،ص:375،374.

حقبة زمنية محددة "وأن نصل من هذا الوصف إلى القواعد والقوانين العامة التي تحكمها أو نتوصل على الأقل إلى معرفة البنية أو التركيب الهيكلي لها"[1].

- تأثرت المدرسة الوصفية بالجانب السلوكي خاصة بنظرية واطسون "watsonf في علم النفس وتجلى ذلك مع العالم اللغوي الكبير ليونارد بلومفيلد Bloomfield(1887–1999) باعتباره رائدا للمنهج الوصفي الذي اعتمد طريقة خاصة في دراسة اللغة سميت (المنهج الآلي).
- يعتقد الوصفيون بعدم وجود نظرية لغوية ثابتة فالنظرية"الصحيحة عند الوصفيين تكمن في عدم وجود نظرية للغة"[2].

بعد أن تطرقنا إلى أهم خصائص المناهج الغربية التي اعتبرت منبعا قويا ومحركا للدرس اللغوي الحديث ،سنعرج حديثنا على **المدارس اللسانية الكبرى** بتبيان خصائصها ومميزاتها ومن بين هذه المدارس ما يأتي:

1 مدرسة براغ:من مجالات حلقة لغويي براغ:[3]

- اللغة نظام يتكون من وسائل تعبيرية تؤدي وظيفتها في الفهم المتبادل.
- اهتم البراغيون كذلك بالبحث الآني دون إهمال التاريخي.
- أثناء تحليلاتهم للنظام الداخلي للبنية اللغوية اعتمدوا على كل مستويات النظام الصرف النحو الفنولوجيا وعلم الدلالة .

---

[1]–ينظر :نايف خرما،**أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة** ،عالم المعرفة ،الكويت ،1990،ص:106.

[2]–ينظر :جفري سامسون ،**مدارس اللسانيات التسابق والتطور**،ترجمة:محمد زياد كبة ،جامعة الملك سعود،1997،ص:77.

[3]– ينظر :كريم زكي حسام الدين، **أصول تراثية في علم اللغة**،ص: 56،57 بتصرف.

ميلكا إيفيتش، **اتجاهات البحث اللساني**،تر:سعيد عبد العزيز مصلوح ،وفاء كامل فايد ،ط2000،2 ،ص:205.

جفري سامسون، **مدارس اللسانيات التسابق والتطور** ،ص:105.

بريجيتية بارتشت:**مناهج علم اللغة من هارمان حتى ناعوم تشومسكي**،ط1، ترجمة :سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،2004،ص:124.

- اهتم أصحابها بدراسة الجانب الوظيفيFonction للغة وظهر عندهم مفهوم اللغة في المجتمع ومفهوم اللغة داخل التركيب ومفهوم اللغة الجمالية.
- كما لم يهملوا المستوى غير اللغوي، ذلك أن اللغة بالنسبة للبراغيين وسيلة إفهام غايتها تحقيق هدف معين، لذلك عرفت باسم (علم اللغة الوظيفي)،فالعرض،والتعبير والاستدعاء، وظائف أساسية للغة ،وقد استنتج (ياكبسون) و(موكاروفسكي) من وظيفة التعبير وظيفة الشعرية.
- "اللغة ظاهرة فيزيائية واقعية تتأثر بالعوامل البيئية الخارجية، لذلك ينبغي التمييز بين لغة البشر المستخدمة في بيئات معينة ،كلغة المكاتب والصالونات ولغة الشعر والأدب، أو لغة الأزقة والأحياء الشعبية ولغة القصور والأغنياء...."[1]

2 المدرسة التوزيعية:

"نظروا إلى اللغة على أساس أنها مجموعة من العادات السلوكية، ويعرف **بلومفيلد(Bloomfield)** اللغة بأنها سلوك لغوي شبيه بما عداه من أصناف السلوكيات الأخرى"[2]؛فأصحاب هذه المدرسة ينظرون إلى اللغة نظرة خاصة بحسب وجهة منوالها العلمي على اعتبار أن موضوع الدرس اللساني هو"اللغة مقابلة بالحديث"[3]، وهذا هو مبدأ التوزيعين.وعلى الرغم من وفاء **بلومفيلد** لبنيوية **سوسير** إلا أنه حاول أن يجعل لنظريته طابعا متميزا"فخلط عمله هذا بمنهج مرحلي قوامه النظرة السلوكية إلى الأحداث اللغوية ...هذه الأحداث لا تعدو أن تكون ردود فعل لمثيرات أو دوافع تتبعها استجابات عملية "[4]؛ فالإنسان يسمع أو يرى أو يشعر بشعور معين فيولد ذلك عنده استجابة كلامية، منطلقا من نظرية الفعل وردود الفعل.

---

[1]–جرجس ميشال جرجس، **المدخل إلى علم الألسنية الحديث**، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان :20 .21.

[2]–كريم زكي حسام الدين ،**أصول تراثية في علم اللغة** ،ص:63.

[3]–كاتريك فوك وبيارلي قوفيك،**مبادىء في قضايا اللسانيات المعاصرة**،تعريب المنصف عاشور،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ،1984،ص:38 .

[4]–عبد الغفار حامد هلال،**علم اللغة بين القديم والجديد**،ط4 ،1423هـ -2002م،ص:115.

تحديد النصوص والمقاطع اللغوية كأحداث معينة لها إطار مكاني وزماني معين.

تقوم الدراسة الصوتية وفق مخطط مرتب قوامه"يكتب المسموع كتابة صوتية يراعى فيها النبر والتنغيم والمقطع، والهدف هو البحث على الفوارق الصوتية المترابطة لتكوين الوحدات الصوتية الوظائفية الدنيا (الفونيم)وإدراجها في نظام صوتي يعكس ويمثل حقيقة اللغة"[1].

ومهما يكن من أمر فإن الإخلاص لمبادئ **(سوسير)** كان واضحا جدا في المنهج الذي سلكته هذه النظرية ،وتمثل فيما يأتي[2]:

- النظر إلى اللغة على أنها نظام أو بنية أو شكل.
- قصر الدراسة على اللغة المنطوقة ،وإهمال المكتوبة .
- النظر إلى القواعد اللغوية على أنها قواعد وصفية لا معيارية.
- استبعاد المعنى من الدرس اللغوي ،نظرا لارتباطه بظروف خارجية وملابسات أخرى كالعوامل الثقافية والاجتماعية التي يصعب حصرها.

3. مدرسة كوبنهاجن اللغوية:

تأسست عام 1931 على يد لويس هيلمسليف(1899. 1965) **Lois Hjebmsele**الدانمركي واللغوي "**فيجو بروندال**"**Brondal** ومن خصائص هذه المدرسة:

تأثر المدرسة بأعمال (دي سوسير) وبعض النظريات الفلسفية، كنظرية أرسطو في فلسفة المنطق، فهذه المدرسة تهدف إلى:

---

[1]–السعيد شنوقة ،**مدخل إلى المدارس اللسانية**،ط1 ،المكتبة الأزهرية للتراث،2008،ص:103.

[2]–ينظر:نايف خرما ،**أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة** ،عالم المعرفة ،الكويت،1990،ص:235،90،89 .

- دراسة اللغة دراسة علمية ترمي من خلالها إلى"إقامة لسانيات علمية مبنية على أسس رياضية ومنطقية وكلية تعنى بوصف الظواهر اللغوية وتحليلها وتفسيرها بطريقة موضوعية"[1] .
- تنظر إلى اللسان على أنه شكل له وصفه الخاص.
- "ضرورة التمييز بين التعبير والمحتوى"[2]؛أي تدرس اللغة بوصفها بنية متكونة من مستويين :مستوى التعبير(الدال)،ومستوى المضمون(المدلول)، ويرتبط هذان المستويان فيما بينهما لتحقيق العملية التواصلية.
- اعتمادها مبدأ التقابل في الدراسات التحليلية خاصة في الجانب الصرفي والدلالي.
- "اهتمامهم الصريح باستعمال إجراءات المنطق الرمزي في تفسير المادة اللغوية"[3].

4.المدرسة الوظيفية fonctionalisme

وهي الأخرى قطب لساني بارز حقق كثيرا من الإنجازات العلمية أسهمت في إثراء حقل اللسانيات ومن خصائصها:

- أن أصحاب هذه النظرية نظروا إلى اللغة نظرة مختلفة،فهي عندهم وسيلة الإنسان في التبليغ والتواصل، ولا يعني هذا أنهم نظروا إلى اللغة على أنها أداة تخدم غرضا في المجتمع، بل "إنهم حللوا اللغة بهدف إبراز الوظائف التي كانت مكوناتها البنيوية المختلفة تؤديها في استعمال اللغة بأجمعها"[4].

---

[1]–أحمد مومن ،**اللسانيات النشأة والتطور**،ص:.159.

[2]–جرجس ميشال جرجس ، **المدخل إلى علم الألسنية الحديث**،ص:23

[3]–ميلكا إيفيتش، **اتجاهات البحث اللساني**، ترجمة عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة ،ط2 ،2000م ص:317.

[4]–جفري سامسون، **مدارس اللسانيات ،التسابق والتطور** ،ترجمة :محمد زياد كبة ،جامعة الملك سعود ،الرياض 1417هـ،ص:105 وينظر:يحي أحمد الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ،مجلة عالم الفكر ،مج20،ع3، 1989م.

- اعتمادها على نظرية النتاج الوظيفي في تحليلها للغة، هذه النظرية التي جاء بها (مارتيني) "النتاج الوظيفي للتقابل الصوتي من أهم المفاهيم الأساسية التي اعتمد عليها (مارتيني) لتفسير التغييرات الصوتية، كما يعتبر مفهوم التقطيع المزدوج من المبادئ الأساسية التي بنى عليها آراءه "[1]، فالقطب الذي "تدور عليه رحى الوظيفية يتمثل في التقطيع المزدوج التقطيع الأول يتناول الكلمات في صورتها اللفظية من حيث مضمونها والتقطيع الثاني لا يعني فيه إلا بالصورة اللفظية"[2].
- تقف عند دراسة المعنى فهو قوام الدراسة ووسيلة تحليلية هامة "تتخذ المعنى قياسا هاما في تحليلها للنصوص اللغوية "[3].

ومهما يكن من أمر فمن أهم القضايا التي عالجها الوظيفيون هي[4]:

1. المفهوم الوظيفي التواصلي للغة.
2. العناية بالبحث الفنولوجي وفكرة الفونيم .
3. التحليل الوظيفي للنحو والتركيز في البعد التواصلي للجملة.

5.المدرسة التوليدية التحويلية:

تمثل من وجهة نظر المؤرخين ثورة في مجال الفكر اللساني ،واعتبرت محرك أساسي للسانيات العصرية نظرا لما طرحته من أعمال لغوية كبرى أسهمت في تأجيج الدراسات اللغوية وسارعت إلى مبادرة الاهتمام بكل ما يمليه منظرها **ناعوم تشومسكي (Naom Chomsky)**، الذي قاد ثورة علمية على حد قول **(الفاسي الفهري)**" نجم عنها ظهور أنموذج جديد للتفكير في اللغة أفرز

---

[1]–أ حمد عبد العزيز دراج، **الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسات العلوم اللغوية** ،مكتبة الرشد،2000،ص:91.

[2]–جيفري سامسون، **المدارس اللسانية التسابق والتطور**،ص:69.

[3]–خولة طالب الإبراهيمي ، **مبادئ اللسانيات**،ط2 ،دار القصبة للنشر،الجزائر،2006،ص:86.

[4]–هدى صلاح رشيد، **تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب** ،ص:18.

مجموعة من الإشكالات يجب أن يعتني بها اللغوي وضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي"[1].

وكباقي المدارس الأخرى فإن هذه المدرسة تتسم بجملة من الخصائص والمميزات نلخصها على هذا النحو:

- انتقاد النظرة السلوكية واعتبار اللغة تنظيما عقليا فريدا من نوعه ،فهي ليست مجرد عادات سلوكية تخضع لثنائية (المثير والاستجابة).
- نظرتهم إلى اللغة على أنها ملكة لغوية موروثة يمكن تطويرها من خلال قواعد معينة "فالتمكن اللغوي الذي يتكون لدى الفرد في سن مبكرة ويجعله قادرا على النطق بعدد لا نهائي من الجمل التي يتطلبها للموقف أو الظرف الذي يمر به دون أن يكون قد سمع بهذه الجمل أو عرفها من قبل ،يعود إلى ما أسماه بالقدرة الفطرية التي يولد بها الفرد وتمكنه من تعلم أي لغة من اللغات وامتلاك نظامها المعقد ،وإتقانها في زمن محدود"[2] .
- التأكيد على الجانب الإبداعي في اللغة الذي يتجلى في التجدد المستمر في التعابير المستعملة، وكذلك تكوين وفهم الإنسان لجمل لم يسبق له سماعها أو التعرض لها"فالشيء العجيب والمدهش في نظر(**تشومسكي)** بالنسبة إلى اللغة هو:الخلق اللغوي اللامتناهي ؛ذلك لأن التحليل اللغوي لا ينبغي أن يكون وصفا لما كان قد قاله المتكلمون، وإنما هو شرح وتحليل للعمليات الذهنية التي من خلالها يمكن للإنسان أن يتكلم بجمل جديدة لم تطرق سمعه قط"[3].

---

[1]–عبد القادر الفاسي الفهري، **اللسانيات واللغة العربية ،نماذج تركيبية ودلالية،** دار توبقال للنشر،الدار، البيضاء 1986،ص:65.

[2]–كريم زكي حسام الدين ،**أصول تراثية في علم اللغة** ،ص:70.

[3]–مازن الوعر:مقال "**النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التوليدية التحويلية محولة لسبرها وتطبيقها على النحو العربي** مجلة اللسانيات ،العدد2،مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية ،الجزائر ،1982،ص:25.

- اللغة في نظرهم ظاهرة إبداعية من نتاج العقل البشري؛ فالقدرة الإبداعية واللغة في نظر تشومسكي وجهان لعملة واحدة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

تتألف أصول اللغة في هذه النظرية من ثلاثة أقسام متماسكة يشتمل كل منها على تنظيم قواعدي وهذه الأقسام هي :

أ. **المكون الفنولوجي** :يقوم بتخصيص كل تركيب لغوي بنطق خاص، انطلاقا من لفظ كل مورفيم على حدة ومن خلال تآلف هذه المورفيمات، ويحتوي على مجموعة قواعد تختص بدراسة الأصوات اللغوية.

ب .**المكون الدلالي** :يصف ويحدد معاني الجمل.

ج. **مركب إنتاجي** :"ينشىء كل جمل اللغة؛أي سلاسل المورفيمات المقبولة وهو"ضمن"علم التراكيب "La syntaxe "[1].

"استنتج تشومسكي أن للغات خواص عالمية ،وهي أنها تحتوي جميعا على نموذجية تتفرع عنها جمل أخرى ،يشترط فيها السلامة النحوية "[2]؛ فأصحاب هذه المدرسة، في نظرهم أن اللغات تشترك في اكتساب صيغ لغوية قاعدية تمثل لب اللغة.

ترى هذه النظرية أن الهدف الرئيسي للنحو هو بناء نموذج شكلي هدفه بناء نحو يمكن اعتباره آلية منتجة للجمل في اللغة.

تحدد هذه النظرية موضوع دراستها بأنه الإنسان المتكلم ـالمستمع المثالي التابع لبيئة لغوية متجانسة تماما، ويعرف لغته جيدا"إن النظرية اللسانية تعنى في المقام الأول بمتكلم مستمع مثالي في مجتمع لغوي متجانس تماما، حيث يعرف هذا الشخص لغة ذلك المجتمع معرفة جيدة، ويكون

[1]–مصطفى حركات ،**اللسانيات العامة وقضايا العربية** ،دار الآفاق ،دت،ص:83.

[2]–خليفة بوجادي ،**اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات**،ط1 ،بيت الحكمة للنشر والتوزيع ،،2012،ص:97.

غير مصاب بهذه الحالات النحوية غير الملائمة مثل قصور الذاكرة والاضطراب العقلي وعدم الانتباه ...والأخطاء العفوية...وذلك عند تطبيق معرفته اللغوية في كل أداء فعلي"[1].

اعتمدت النظرية في مرحلتها الأولى على التحليل بواسطة المكونات المباشرة المرتكز على مفاهيم التوزيع والاستبدال، أما الرسوم البيانية وخصوصا المخطط التشجيري فتهدف أساسا إلى توضيح مختلف العلاقات الموجودة بين المكونات .

وتجدر الإشارة . إلى أن هذه النظرية لا تزال تخضع للتغيرات والتطورات حتى يومنا هذا مما يعني أن النماذج التي تضعها لوصف قواعد اللغة ليست ثابتة بشكل دائم.

وفي الأخير يمكن القول أن جل المدارس اللسانية الحديثة تعتمد المسلمات النظرية التي أقرها **(دو سوسير)**، غير أن لكل مدرسة منطلقا خاصا يميزها وآليات معينة تعتمدها في التحليل.

المبحث الثالث: الحدود التأريخية والمرجعية الفكرية للسانيات العربية الحديثة

إن الدارسين المهتمين بالبدايات الأولى لانتقال الفكر اللساني الحديث إلى المجتمع العربي والمصري على سبيل التحديد ،يجمعون أنه لا يمكن تحديد الفترة الزمنية الذي حدث فيها هذا الانتقال"لكنهم يربطونه بالبعثات العلمية التي قام بها محمد علي (1769-1849) لفائدة عدد من الطلبة المصريين، وإسهامات رفاعة الطهطاوي الذي أوفد إلى أ,روبا واعظا لهؤلاء الطلبة الشباب الذين استفادوا من هذه البعثات "[2] فقد دعا الطهطاوي إلى إنشاء مجمع للغة العربية على غرار المجمع العلمي الفرنسي، كما ظهر هذا التأثر في كتابات (جورجي زيدان)الذي نشر في فترة مبكرة كتابين في اللغة أحدهما (الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية)و(تاريخ اللغة العربية)"إن القراءة المتأنية لهما "زيدان"في ضوء الأدبيات اللغوية للقرن التاسع عشر تبين بوضوح اطلاع زيدان المباشر على أمات مصادرا للدراسات اللغوية الغربية كأعمال **رينان**(1823/1892)**وماكس مولر**(1823/1900)**ووليام وايتني**(1827/1892)**ودار مستتير**(1848/1888)**وميشال** بيريال(1815/1832) التي تشكل في مجملها النواة الأساس الذي يتضمنه من تصورات لغوية"[3]"، ولعل ما حمله المبعوثون إلى أوروبا من أفكار الحضارة الغربية التي كانت تقوم عل استيعاب

---

[1]- Chomsky naom, Aspects of the theory syntax,mouton,1965 P 3

[2]–ينظر :مصطفى غلفان ،**اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ،حفريات النشأة والتكوين** ،ط1 ،شركة النشر والتوزيع المدارس الدار البيضاء ،2006،ص:21،22.

[3]–المرجع نفسه ،ص:47.

مسيرة التاريخ البشري، وتكوين رؤية شاملة تسهم في حفز المجتمعات الإنسانية إلى الخروج من ظلمات العصور الوسطى إلى آفاق أخرى ـ يبدو ذلك أثر حاسم في بزوغ فجر النهضة العربية "[1]؛ فتحديد ارتباط اللسانيات العربية الحديثة بنقل نتائج البحث اللساني المعاصر وبعودة اللسانيين المصريين من الجامعات الأوروبية يعد نوعا من التحديد في كتابة وتأريخ اللسانيات العربية الحديثة .

وإذا ما افترضنا أن لحظة نشأة اللسانيات العربية هي صدور أول كتاب تبني المناهج اللسانية الغربية، فتحدد ما بين (1941-1946)وهي المدة التي يرجح فيها صدور كتاب الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس "الذي يعد أول كتاب عربي ألف بالعربية بعرض الموضوع من وجهة نظر العلم الحديث"[2]، فنظرة البنيوية في وصف أصوات اللغة العربية، وأسبقية هذا الكتاب لم تحدد بوضوح، وقد تتعدد الآراء في تاريخ هذه الطبعة بين 1945و1955"ويرى **حلمي خليل** أن كتاب الأصوات اللغوية هو أول كتاب للدكتور إبراهيم أنيس ،وأن طبعته الأولى كانت 1947 أما كتابه الثاني (في اللهجات العربية)فقد طبع أول مرة سنة 1950"[3]،"ويرى أكثر المنشغلين بهذا المجال أن اللسانيات قد بدأت بشكل واضح مع نشر هذين الكتابين "[4].وبذلك يمكن القول بأن المبادئ والأسس والمنطلقات الأولى للسانيات العربية كانت نتيجة احتكاك ثلة من اللسانيين العرب بما جاءوا به الغرب في أوروبا،فانعكست بذلك في كتاباتهم فنجد مثلا(رفاعة الطهطاوي) كان متأثرا بالمستشرق الفرنسي **دوساسي** .

أما بالنسبة للطلبة الذين لم يسعفهم الحظ في السفر إلى أوروبا فلقد تولى عدد من المستشرقين الذين استقدمتهم الجامعة المصرية مهمة التدريس وعلى يدهم تكونوا، وكان معظم هؤلاء المستشرقين ألمانا من أمثال "**أنوا يتمانوبول ،كراوس وأشهرهم برجستراسر** صاحب كتاب **(التطور**

---

[1]–عطا محمد موسى،**مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين** ،ط1،دار الإسراء للنشر والتوزيع 2002،ص:07.

[2]–محمود السعران ،**علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**،ط2،دار الفكر العربي ،القاهرة ،مصر ،1997،ص:39.

[3]–ينظر :حلمي خليل ،**العربية وعلم اللغة البنوي** ،دار المعارف الجامعية ،مصر ،1996،ص:148.

[4]–عبد السلام المسدي ،**مراجع في اللسانيات** ،دط،الدار العربية للكتاب ،القاهرة ،مصر،1989،ص:22.

النحوي للغة العربية) وفي هذا الكتاب نجد المنهج التاريخي المقارن مطبقا على اللغة العربية ،بالإضافة إلى بعض أفكار البنيوية الوصفية"[1] .

لقد قام هؤلاء المستشرقون الوافدون إلى مصر بتكوين ثلة من اللسانيين العرب كانت لهم قصب السبق في إرساء منهج جديد في دراسة اللغة العربية مختلف عما قام به علماء اللغة القدامى فكان لهم دور فعال في تحديد معالم الدرس اللغوي العربي الحديث، وبالفعل فقد شكل القرن التاسع عشر منعطفا حاسما في تكوين الفكر العربي الحديث "إذ وجد هذا الأخير نفسه أمام ضرورة القيام بمشاريع إصلاحية كبرى على المستويات جميعا وضرورة إعادة النظر في أوضاع هذا الفكر لمواكبة التطور الحاصل في الغرب"[2].فهذه المشاريع الإصلاحية باعتبارها مؤسسة بشرية دائمة الحاجة إلى الاستكمال ومواكبة التغيرات .

وقد تمثلت المعضلات العويصة التي تعترض منطلقات وأسس البحث اللساني في الأقطار العربية بين أنموذجين "أنموذج الحضارة الغربية الذي استوعب بنفوذه كل مظاهر العصر وأنموذج عربي أسلامي، شكل ولا يزال تعبيرا عن الذات ، وتراث يحفظ الهوية "[3]؛ وبذلك كان الفكر العربي يتشكل من قطبين متنافرين التراث الذي يمثل الهوية والتاريخ والحضارة لهذه الأمة باعتباره نتاج مرحلة من مراحل الفكر الإنساني "وحداثي يحاول أن يتبنى المسار الحضاري العربي بكل تفصيلاته، شرط أن يسمح بهدم أفكارنا التراثية القديمة، ومدى توفرنا على مقدرة التكيف مع الأفكار الجديدة"[4]وكمحاولة للتفاعل مع هذا الواقع الجديد ظهر في البداية اتجاهان متطرفان سلفي تراثي وحداثي خلفي.

---

[1]–حلمي خليل ،**العربية وعلم اللغة البنوي** ،ص:140.

[2]–فاطمة الهاشمي بكوش ،**نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ـدراسة في النشاط اللساني العربي** ،ط1،ايترال للنشر والتوزيع مصر الجديدة،2004،ص:14.

[3]–محمد عابد الجابري ،**الخطاب العربي المعاصر** ،ط1،دار طليعة بيروت ،1982،ص:18.

[4]–فاطمة الهاشمي بكوش ،**نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ـ دراسة في النشاط اللساني العربي** ـ ص:14 بتصرف.

المبحث الرابع:أثر تعدد المرجعيات الفكرية في تنوع اتجاهات اللسانية العربية

إن سبب تعدد المرجعيات، ومن ثمة تنوع اتجاهات اللسانيات العربية يكمن في أن اللسانيات تخصص علمي جديد لم يكن للعرب قصب السبق في ذلك ـسوى الثلة القليلة جدا إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، وهذا يدل على أنها لم تنشأ في أحضان الثقافة العربية ،وإنما وردت إليها من ثقافات غربية.

وعليه فإن نشأة اللسانيات بمفهومها الحديث ، وبوصفها علما قائما بذاته له أدواته ومناهجه الخاصة به كانت في الغرب ومع ذلك يوجد: "من يعتقد بأسبقية بعض الإرهاصات لهذا العلم في التراث اللغوي العربي التي لو التفت إليها الغربيون، واهتموا بها ووظفوها في أبحاثهم اللسانية الحديثة لكانت اللسانيات المعاصرة في مرحلة متطورة سابقة للزمن الذي هي فيه"[1].

ومن هذا المنطلق، انشق الدارسون العرب إلى نزعات على حد تعبير الحاج صالح ـرحمة الله عليه "ـواحدة تنطلق من مرجعية فكرية أساسها الفكر اللساني الغربي،وأخرى مناقضة لها حيث لا تتبنى إلا ما جاء في الفكر اللغوي التراثي ،ونزعة ثالثة تتوسط هاتين النزعتين "[2] .

أ /الاتجاه التراثي:

وهو اتجاه يؤمن بالجهود العلمية التأسيسية التي قام بها جهابذة العربية القدامى في مختلف ميادين البحث اللغوي العربي بعضها في الفكر الصوتي، وبعضها في الفكر النحوي والصرفي وبعضها في المعجمي والدلالي ...الخ.

إن أصحاب هذا الاتجاه يعدونه اتجاها مكتملا، وليس بحاجة إلى علوم أخرى ترشده واتخذوا شعارا مبدأه "التشبث بالتراث تشبثا بالأصالة وارتباطا بالتاريخ.إن التراث يشكل عروة وثقى تربط

---

[1]– ينظر:عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:23.

[2]– ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح ،**بحوث ودراسات في اللسانيات العربية** ،منشورات المجمع للغة العربية ،موفم للنشر الجزائر ،2007،ج1،ص:227 .228.بتصرف.

الحاضر بالماضي .إنها مسلمة غير قابلة للبرهنة وهو مبدأ لا يمكن لأحد أن يتنكر له"[1]،فقد أدرك أصحابه أن الحفاظ عليه حفاظا على المبادئ والقيم التي بنت عليه الحركة العلمية أسسها منذ عصر التدوين، فبقدر ما يتم التمسك والتشبث به بقدر ما يكون النتاج العلمي ذو طابع ذاتي وموضوعي له، فهم مقتنعون بفكرة تفوق القديم على الحديث "وقد كان يحدوهم في هذا المسباق تضخيم الذات، ومفعول الرهبة والخوف من أي منتوج أجنبي وغربي على وجه الخصوص ؛ إذ علمهم التاريخ أن الغرب بشرقه يدفع عنهم المنفعة ويجلب إليهم المضرة"[2] "لأن العرب بحكم مميزات حضارتهم وبحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات قد دعوا إلى تفكر اللغة في نظامها وقدسيتها ومراتب إعجازها، فأفضى بهم النظر، لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب، بل قادهم النظر إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين"[3].

ومن المناصرين للتراث **(محمد محمد حسين)** الذي يؤمن "بأن تعارف الناس وتبادل الحضارات حقيقة واقعة وسنة جارية"[4]، ولكنه يرفض نقل مناهج البحث اللساني المعاصر إلى الثقافة العربية في محاولة لإسقاطها على التراث العربي بداعي "انحلال الأمة التي تحاربه ،وذوبانها في الأمة التي تقلدها إن نجحت في التقليد ،أو سقوطها في هوة الضياع والعدم إن فشلت"[5].

ومع ذلك فقد اجتهد أصحاب هذا الاتجاه التراثي في تطوير منهجه ،فالمنهج المتبع في هذا الاتجاه ما يعرف بمنهج إعادة القراءة والغاية منه "إعطاء النظرية اللسانية العربية القديمة مكانتها اللائقة بها في إطار مراحل الفكر اللغوي الإنساني "خلق نوع من التفاعل بين الفكر اللغوي العربي

---

[1]–مصطفى غلفان ،**اللسانيات العربية الحديثة ،دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية** ،سلسلة رسائل أطروحات رقم 4،جامعة الحسن الثاني،عين الشق ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،مطبعة فا،المحمدية ،المغرب ،1998 ص:133.

[2]–ينظر :محمد الأوراغي ،**نظرية اللسانيات النسبية** ،ط1،الدار العربية للعلوم ناشرون ،لبنان ،2010،ص:58.

[3]–عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا ،تونس ،1981،ص:26.

[4]–محمد محمد حسين،**مقالات في اللغة والأدب** ،ط1،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1986،ص:63.

[5]–المرجع نفسه ،ص:65.

القديم والنظريات اللسانية الحديثة القائمة على الأخذ والعطاء والقرض والاقتراض بينهما "[1]، فلا تجديد ولا تحديث يبدأ من الصفر "فلا غرابة أن تعد قراءة التراث تأسيسا للمستقبل على أصول الماضي بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب"[2].

ب. الاتجاه الحداثي:

هو اتجاه يقف ضديدا للاتجاه السلفي التراثي، إذ ينادي أصحابه وأنصاره إلى الانسلاخ من التراث اللغوي، والهوية العربية الإسلامية، ومن فكر أهله بدعوى أنه يعد "عائقا للتطور وللتصور وحل مشاكل اللغة العربية"[3].

إن هذا الاتجاه الحداثي يدعو إلى الحداثة والتجديد لأن"اللجوء إلى الماضي يمنع من فهم إنجازات العصر، والتشبث بالتراث يعد استلابا حقيقيا لأنه عدول عن قوة الإنسان وحريته لفائدة الماضي الغابر، نخضع لما كانوا يعيدون ونطرب لما كانوا يطربون ونعتقد كما كانوا يعتقدون ..."[4] ، فأصحاب هذا الاتجاه لا ينظرون إلى التراث اللغوي العربي إلا بالنقد ؛أي "نقد هذا التراث إلى حد الاستهجان، والدعوة إلى الحداثة والتجديد "[5] ، فأنصار هذا الاتجاه يذهبون إلى حد بعيد في سعيهم نحو إبعاد التراث من الساحة اللغوية، ومنح اللسانيات الغربية المكانة اللائقة، "لأنهم يرون أن المعرفة اللسانية معرفة حديثة يجب أن نجردها من أي تاريخية ممكنة لأن ذلك يسيء إلى الفهم، ويبعدنا عن الانخراط في منجزات العصر ،فالطريق الأمثل لتفادي الاستلاب التراثي هو الخضوع للوعي التاريخي الذي سيفتح أعيننا على الواقع "[6]، فكأن اللسانيات لا يوجد لها أصول في التراث اللغوي العربي وللغربيين فضل السبق فيها، وهذا الانصراف عن البحث اللغوي

---

[1]–مصطفى غلفان ،**اللسانيات العربية الحديثة** ،دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية ،ص:137.

[2]–عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات**،ط1 ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،،2010،ص:25.

[3]– عبد القادر الفاسي الفهري ،**المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية** ،دار توبقال ،المغرب ،1986،ص:99.

[4]–مصطفى غلفان ،**اللسانيات العربية الحديثة** ،ص:133.

[5]–حافظ إسماعيلي علوي ،**اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ـدراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته** ط1،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت ،لبنان 2009،ص:404.

[6]–المرجع نفسه،ص:71-72.

العربي الأصيل فيه "غلوا محموما ينهد به نفر من المغرمين بالبحث الألسني الأوروبي ...يهدف إلى الانصراف عن البحث العربي الأصيل إلى الألسنية الحديثة، ولاسيما المعنيين بالعربي، ممن تعلموا شيئا عند الغربيين، أو اطلعوا على ما جاءت به الترجمات من كتب البحث اللساني في فرنسا وغيرها من أقطار أوروبا بعد سوسير"[1]، فبذلك كان الفكر العربي الحديث يتشكل من قطبين متطرفين، سلفي تراثي ، وحداثي"فدعاة الأصالة وباسم المحافظة على الموروث ألفيناهم يدعون إلى عدم الاكتفاء بغلق الأبواب، بل يطالبون بسد النوافذ حتى لا يتسرب إلينا بصيص من نور أو نسمة من هواء، أما دعاة الحداثة وباسم التفتح والعالمية، فيدعون إلى عدم الاكتفاء بفتح النوافذ واسعة والأبواب على مصراعيها، بل إنهم يدعون صراحة إلى نزع السقوف أيضا "[2] .

وفي خضم الصراع بين أنصار التراث والحداثة ، اتجهت اللسانيات العربية الحديثة إلى ما يمكن تسميته **بالاتجاه التوفيقي** يأخذ من التراث والحداثة من طرف ويستهدف أنصاره "دراسة الفكر اللغوي العربي القديم من حيث أنه تصورات ومفاهيم وطرق تحليل في ضوء النظريات اللسانية الحديثة "[3]؛ فهو يرى ضرورة الاستعانة بالمناهج العلمية الحديثة لاستقراء التراث اللغوي العربي القديم، واستثمار تجاربه والاستناد على مقولاته لإعادة إنتاج التراث ودب روح الحياة فيه من جديد، وفهمه وشرحه وتأويله، كما أن هذا الموقف يسعى إلى الرغبة في "الإضافة إلى أنظار الأوائل، وسعيا نحو استكمال وصف الظاهرة اللغوية وتفسيرها ومعالجة قضايا العربية الخاصة وخطوة نحو تأسيس موقع لها في النظرية اللسانية العامة ولو مرحليا "[4].

إن التباين القائم بين هذه الاتجاهات برهان قاطع على اختلاف اللسانين العرب في المنهج المقيم في أبحاثهم اللغوية من جهة، واختلاف توجهاتهم الفكرية من جهة أخرى، فمنهم من تأثر "

---

[1]–رشيد عبد الرحمان العبيدي ،**الألسنية المعاصرة والعربية** مجلة الذخائر ،العدد الأول ،2000،ص:21.

[2]- محمد بوعمامة،**قضايا لغوية تراث ومعاصرةط1**،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1438هـ 2017م،ص:5.

[3]–مصطفى غلفان ،**اللسانيات العربية الحديثة** ،ص:135.

[4]–نهاد الموسى ،**الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة** ،ط1،دار الشروق ،الأردن 2003،ص:24.

بالبنوية القديمة الأوفياء لمبادئها ما ينفكون ينادون بشرعية صلاحيتها على البحث اللساني حتى اليوم ومنهم المتمسك بوظيفية **أندري مارتيني**، ومنهم التابع للنظرية التوليدية التحويلية ...وهي توجهات يتبعها أصحاب النزعة الغربية من العرب، أما أصحاب النزعة التراثية التي تطبع الدرس اللساني العربي فلا يهم تصور سلبي للسانيات الحديثة ينظرون إليها على أنها لسانيات غربية ثم بناء نظريتها بالاعتماد على اللغات الهندوأوروبية، ولم توضع لوصف لغات غربية عن الغرب كاللغات الإفريقية أو الهندية أو العربية "[1].ومن ثم فهم يعتقدون أنها لا تفيد في شيء ولا تصلح لدراسة اللغة العربية " والنزعة الثالث هي التي تقر بأفضلية الجمع بين الأصالة والمعاصرة لبناء مشروع حضاري فكري"لأنه لا سابق دون لاحق ولا لاحق دون سابق، وكل من ينكر هذا القانون العلمي إنما نظرته إلى الظواهر هي نظرة شخصية وليست نظرة موضوعية "[2].

والحديث عن الاتجاهات التي طغت على تأطير البحث اللساني العربي يحيل القارئ إلى معضلة تكمن في كيفية تطبيق تلك الاتجاهات في دراسة اللغة العربية .هل يصدق أن نسقط النظريات والمفاهيم والنماذج اللسانية الغربية كما هي على اللغة العربية ؟وهل من ضرورة منهجية ومنطقية تفرض العودة إلى فكر الماضي ومفاهيمه لمعالجة مادة العربية؟على أن اللغة " التي وصفها سيبويه ليست هي اللغة الموجودة حاليا باعتبار كبير من خصائصها التركيبية والصرفية والصوتية ...وأن العربية كغيرها من اللغات تتطور وتختلف عبر الزمن"[3].فاللغة شأنها شأن الكائنات تنمو وتتطور، فتموت بعض ألفاظها ، وتولد بعض الألفاظ حسب حاجات الإنسان ومحيطه الثقافي والاجتماعي وحتى السياسي والجغرافي ،فيطرأ على ألفاظها تغير في الأصوات والدلالة .

---

[1]–الفاسي الفهري، **اللسانيات واللغة العربية**،**ط1** ،منشورات عويدات ،بيروت ،باريس،دار توبقال ،الدار البيضاء ، المغرب 1985،ص:57.

[2]–مازن الوعر،**دراسات لسانية تطبيقية** ،ط1،دار طلاس ،1989،ص:32.

[3]– الفاسي الفهري ، **اللسانيات واللغة العربية** ، ص:53.

المبحث الخامس: المناهج اللسانية العربية الحديثة

ظهر في مجال الدراسات اللغوية العربية الحديثة مجموعة من المناهج، مثلها ثلة من الدارسين اللغويين العرب، كل واحد أدلى بدلوه في حقل الدراسات اللسانية الحديثة "فهناك من تأثر بنظرية أو نظريات لغوية دون أخرى فبرزت في كتاباته ميوله نحو مدرسة لغوية أوروبية أو أمريكية (...)، حيث أن النظريات اللغوية قد ظهرت على مراحل متدرجة فقد كانت لكل فترة طائفة من الباحثين العرب ممن مروا بها وتأثروا بواضعي هذه النظريات أو طلابهم فعملوا بعدئذ على تطبيق هذه النظريات على اللغة العربية "[1]،ومن أعلام الدراسات اللغوية العربية في المشرق والمغرب:**(عبد القادر الفاسي الفهري)**،و**(أحمد المتوكل)** ،و**(محمود السعران)** ،**(نهاد الموسى)** ،**(مازن الوعر)** ،**(عبد الرحمان الحاج الصالح)** ...الخ.

لقد أدركت هذه الثلة من اللسانيين العرب الأبعاد النظرية الهامة لدراسة اللغة العربية من منظور البحث اللساني المعاصر، ويمكن حصر و تصنيف مسالك الباحثين العرب المتأثرين بمناهج النظر اللغوي الحديث في اتجاهات ثلاثة:

1 المنهج الوصفي التقريري:

يعتبر هذا المنهج من المناهج الأولى الذي شق طريقه إلى الثقافة العربية ؛ إذ بدأت بواكيره في العالم العربي بعد أن عاد الموفودون المصريون الذين درسوا في جامعة لندن إلى بلادهم حاملين ومشبعين بالأفكار اللسانية الغربية من أجل تطبيق مبادئها على اللغة العربية متبعين في ذلك نهج الدراسات اللغوية الغربية"وكان من بين العائدين من تخصص في اللسانيات أو أحد فروعها، لكن القاسم المشترك بين هؤلاء الدارسين هو تلمذتهم على يد لغوي واحد هو الإنجليزي فيرث"[2]،

---

[1]–باكلا محمد حسن ،**مصادر الدراسات اللغوية العربية** ،ص:7.نقلا عن:**مصطفى غلفان** ،**اللسانيات العربية الحديثة** ،**دراسات نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية** ،سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4،جامعة الحسن الثاني ،عين الشق،الدار البيضاء ،،دت،ص:84.

[2]–حافظ إسماعيلي علوي ،**اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة** ،**دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالاته** ط1،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت ،2009،ص:42.

فلقد تشبعوا بالمبادئ الوصفية فقاموا بتأليف الكتب النظرية في الاتجاه الوصفي التقريري، وهذا المنهج يعتمد عليه"في دراسة النحو دراسة شكلية تستبعد منه نظرية العامل والتقدير "[1]، فهو يقوم على دراسة الواقع اللغوي ووصفه دون التعليل لظواهره أو محاولة تفسيرها، وقد تجند لها أكثر الباحثين العرب الذين كان لهم الفضل والأثر البارز في صياغة الخطاب اللساني العربي كتمام حسان في كتابه (مناهج البحث في اللغة)و(إبراهيم أنيس :في كتابه من أسرار اللغة)و(عبد الرحمان أيوب في كتابه (دراسات نقدية في النحو)،فقد انبهرت هذه الثلة من اللسانيين العرب بالأعمال العظيمة التي حققها البحث اللساني المعاصر، فكان ذلك حافزا لهم على تطبيق هذا الأنموذج اللساني على اللغة العربية ".

وقد كان حلمي خليل قد صنف هذه الأعمال ضمن ما أسماه بالوصفية ونقد التراث اللغوي العربي"[2]، والبحث اللغوي العربي"في تبنيه اللسانيات الغربية سار على النهج نفسه في الدعوة إلى الوصفية من خلال نقد الدراسات اللغوية القديمة ونعتها بالمعيارية "[3]،ولقد مثلوا هذا المنهج في أوضح صوره في"اعتبار دراسة اللغة دراسة شكلية خارجية هي المنهج الأسلم في وصفها نحويا وصرفيا وصوتيا، لذلك ينفرون من التعليل القائم على التأويل والتقدير ....لأن العلة المقبولة عندهم تلخصها مقولة "هكذا نطقت العرب"[4].

إن اللسانيين العرب الذين تبنوا هذا المنهج قد انساقوا وراء إجراءاته انسياقا جعلهم يرفضون الدراسات اللغوية العربية القديمة، خاصة النحو بنقده وإظهار عيوبه ورفضهم لكثير من نتائجه خاصة ظاهرة التعليل .

---

[1]– ينظر:حسن خميس سعيد الملخ،**نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين** ،ط1،دار الشروق للنشر والتوزيع الأردن ،2000،ص:224.

[2]–حلمي خليل ،**العربية وعلم اللغة البنوي ،دراسة في الفكر اللغوي الحديث** ،ص:167.

[3]–فاطمة الهاشمي بكوش ،**نشأة الدرس اللساني العربي الحديث** ،ص:84.

[4]–حسن خميس ،سعيد الملخ ،**نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين** ،ط1،ص:225.

لقد رفض الدارسون العرب الكثير من نتائج الدراسات اللغوية العربية القديمة، والسبب في ذلك يعود إلى تأثرهم بالوصفيين الأوروبيين؛ إذ أنهم وجدوا "فيم صح من نقد الأوروبيين لتراثهم النحوي ينسحب على التراث النحوي العربي؛ كما صح عندهم أن التراث النحوي العربي تضمن العيوب نفسها التي تضمنها التفكير النحوي الأوروبي القديم .ولم يتخذ هذا المنطلق في عمل الوصفيين العرب شكل الافتراض، بل كان حاضرا لديهم حضور البديهة فكان بذلك منطلق كل دراساتهم "[1]، ومن أهم المآخذ التي أسقطها الوصفيون العرب على النحو العربي، على غرار الوصفيين الغربيين، فقد لخصها عبده الراجحي فيما يلي[2]:

- كان النحو ذاتيا بدل أن يكون موضوعيا .
- التركيز على التعليل بدل التفسير بناء على الملاحظة.
- الخلط بين اللغة المنطوقة والمكتوبة.
- الخلط بين مستويات التحليل بأنواعها.
- التأثير بالمنطق الأرسطي واهتمامه بالتعليل والتقدير.

وهذه الانتقادات اعتبرت نقاط ضعف في تاريخ الدراسة اللغوية مما أبعد المنهج التاريخي عن دراستها.

ب/ المنهج التأصيلي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه في التراث العربي القديم نظرية لغوية علمية تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها وإعادة تفعيلها "النظرية النحوية العربية"، فأصحاب هذا المنهج يسعون إلى تأصيل لبعض جوانبها من خلال مقابلتها بنظيراتها من النظرية اللسانية الحديثة "من خلال الكشف عن جوانب

[1]–حافظ إسماعيلي علوي ،**النحو العربي واللسانيات الوصفية** ،مجلة فكر ونقد ،ع72،أكتوبر،2005،ص: 54.

[2]–عبده الراجحي ،**النحو العربي والدرس الحديث ـبحث في المنهج** ـدار النهضة العربية ،بيروت ،1979،ص:52.58 بتصرف.

من التفكير اللغوي عند العرب تتفق وعلم اللغة الحديث سعيا وراء تأصيل هذا التراث وفق نظريات علم اللغة تمهيدا للكشف عن نظريته الأصلية "[1].

إن هذا كله نلتمسه في مؤلفات نهاد الموسى الذي دعا إلى ضرورة ربط الدرس اللغوي العربي بنظيره الغربي الحديث، لتحقيق هدف منشود "يسعف في تحديد إحساسنا بالنحو العربي ومفهوماته، ومنطلقاته، وأبعاده بعد طول إلف به في لغته الخاصة، ومصطلحه الخاص، ومنهجه الداخلي "[2]، كما يمكن أن يتحقق أيضا من خلال محاولة إثبات"وجود نظرية دقيقة في أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل فيما تركه لنا أمثال الخليل وسيبويه ومن تلاهما ويتضح ذلك بإعادة قراءة التراث ليس على ضوء النظريات اللسانية الحديثة فقط وإنما بدراسة إبستيمولوجية"معرفية"دقيقة لمفاهيم النحاة وتصوراتهم، وطرق تحليلهم وبدون إسقاط أي تصور آخر لتصور النحاة العرب المتأخرين أو تصور الغربيين لها"[3]، وهو المنحى الذي انتهجه **عبد الرحمان الحاج صالح** رحمه الله فنظرته مغايرة ومخالفة **لنهاد الموسى** وإن كانا يدعوان للمنهج ذاته فهو لا يشاطر نظرة الكثيرين من المثقفين عندما يقابلون مفهوم الأصالة بالحداثة، ولقد أكد"تقابل في الحقيقة التقليد، أيا كان المقلد المحتذى به سواء كان العلماء العرب القدامى أو العلماء الغربيون، والأصيل عنده هو الذي لا يكون نسخة لغيره فكأن هؤلاء المثقفين بجعلهم الأصالة في مقابل المعاصرة لا يتصورون هذه الأصالة إلا بالرجوع إلى القديم، فالأصيل في الواقع هو المبدع الذي يأتي بشيء جديد لم يسبق إليه مهما كان الزمان الذي يعيش فيه والأصالة في زماننا هذا وعلى هذا الأساس هي الامتناع من تقليد الغربيين "[4]، ومن يتتبع الأبحاث الخاصة به يلمس عنده هذا الاتجاه نحو إثبات أصالة القضايا اللغوية العربية والنحوية منها خاصة، وما نسبته نظريته اللغوية إلى **الخليل بن أحمد الفراهيدي** دليل هذا التوجه وخير دليل على ذلك

---

[1]–حسن خميس سعيد الملخ ،**نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين** ،ص:242.

[2]–نهاد الموسى ،**نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث** ،ط1،مكتبة وسام ،الأردن ،1987،ص:22.

[3]–عبد الرحمان الحاج صالح ،**منطق العرب في علوم اللسان** ،منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ،2012،ص:39.

[4]–عبد الرحمان الحاج صالح ،**بحوث ودراسات في اللسانيات العربية** ،ج1،موفم للنشر ،الجزائر ،2007،ص:11.

.فمحاورته مع التراث كانت بتحديد خطوات ابستيمولوجية دقيقة؛ لإعادة تركيب المقولات العلمية الدقيقة وفق المفاهيم المتداولة في تلك الأزمان .

وقد لاحظ **حسن خميس سعيد الملخ** أن **عبد الرحمان الحاج صالح** "قد اتبع ـمن أجل إثبات دقة النظرية النحوية عند القدماء بطريقتين؛ الأولى بتتبع تاريخ علم اللسان من أقدم الإشارات التاريخية له حتى العصر الحديث، ورصد التطور النظري المنهجي في كل عصر ـوكان هدفه من هذا من هذا التتبع إثبات أن نظرية النحو العربي عربية في جذورها وأصولها، أما الثانية فتتمثل في تحديد الأصول أو الأنظار العلمية التي بنى عليها نحاة العربية نظرية النحو العربي وهي الأنظار التي توصل إليها علم اللسان الحديث، لاسيما المدرسة التحويلية ، وقد استخلص من ذلك أن هذه الأنظار هي منطلقات النحاة الأوائل كالخليل وسيبويه"[1] .

ج /المنهج التفسيري العربي :

يعد هذا المنهج الثالث في الكتابات اللسانية العربية بعد منهجي الوصفي التقريري والتأصيلي ولقد أطلقت عليه تسميات أخرى "المنهج التوليدي "أو اللسانيات التوليدية "، وهذا المنهج شق طريقه إلى الثقافة العربية في بداية سبعينيات القرن الماضي نظرا للنجاح الذي حققه المنهج التوليدي التحويلي في الغرب "لقد أحدث **نعوم تشومسكي** بنظريته التوليدية التحويلية انقلابا في الفكر الإنساني، لتميز هذه النظرية بجملة من المميزات الفكرية والعلمية، لعل أهمها هو أن هذه النظرية تهدف بالأساس إلى البحث في خصائص اللغات البشرية "[2].

إن هذا المنهج التفسيري العربي يسعى إلى محاولة بناء نحو جديد يتجاوز تعليلات النحو العربي القديم "فالناظر في الكتابة التوليدية العربية لا يجد إلا القليل من الدراسات التوليدية قدمت فعلا افتراضات جديدة، بشأن دراسة بنى اللغة العربية من منظور توليدي، وتعكس مجهودا عربيا فيه أصالة وإبداع يجعل الدرس اللساني العربي في إطار الدرس العلمي، وتكاد هذه المجهودات

[1]–ينظر :حسن خميس سعيد الملخ،**نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين** ،ص:248-249.

[2]–ينظر :رابح بوحوش،**المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني** ،دط،دار العلوم للنشر والتوزيع ،عنابة ،الجزائر ص:147.

تنحصر في بعض الأسماء العربية "[1] ؛**كمحمد الخولي** في كتابه قواعد تحويلية للغة العربي، ومحاولة **مازن الوعر** الذي جمع بين النظريات النحوية والدلالية العربية مع النظرية التوليدية التحويلية في كتابه "نحو نظرية لسانية عربية حديثة "مؤكدا أهمية وضرورة انفتاح البحث اللساني العربي الحديث مع البحوث اللغوية التراثية إن هو أراد أن يتجاوز كل المجادلات العقيمة التي تعرقل تقدمه"[2]، ولقد اعتمد في نموذجه التفسيري على"تصميم نظرية لسانية عربية حديثة بدمج ما أسماه المنهج اللساني الذي وضعه العرب القدماء.

إن المنهج التصنيفي الذي وضعه عالم الدلاليات الأمريكي **ولتركوك**، والمنهج التوليدي التحويلي الذي وضعه **تشومسكي**"[3]؛ فمازن الوعر من خلال بحثه العميق في المناهج اللغوية العربية القديمة والبحث اللساني المعاصر من التوليدية إلى الدلالية بمختلف تطوراتها النظرية والمنهجية، لاحظ مجموعة من التشابهات بينهما أدى إلى قيام تصور عام حول المسألة اللغوية بين هذه المناهج وأشهر من مثل هذا الاتجاه **عبد القادر الفاسي الفهري** ،فقد تبنى التعريف بأصول هذه النظرية ومبادئها مع تقديم تطبيقات مهمة على اللغة العربية وفي هذا السياق يقول:"وحين عدت إلى المغرب في أواخر 1971لم أجد أحدا يهتم بالنحو التوليدي ولا بالنحو الوظيفي...وكل ما سمعته عن اللسانيات هو كلام عن مارتيني وكريماس"[4]، فلقد تنوعت المستويات اللغوية التي كانت حقلا تطبق عليه مبادئ النظرية التوليدية في الممارسة العربية غير أن التركيز عند **(الفاسي الفهري)** كان على المستوى التركيبي بوصفه المستوى الذي عني به **(تشومسكي)** في أغلب دراساته اللسانية، والنظرية اللسانية عنده هي "بناء عقلي يتوق إلى ربط أكبر عدد ممكن من الظواهر الملاحظة، بقوانين خاصة تكون مجموعة متسقة يحكمها مبدأ عام وهو مبدأ التفسير

---

[1]–حافظ إسماعيلي علوي،**اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة** ،ص:262.

[2]–المرجع نفسه ،ص:319.

[3]–حسن خميس سعيد الملخ ،**نظرية التعليل في النحو العربيين القدماء والمحدثين** ،ص:251.

[4]–عبد القادر الفاسي الفهري ،**اللسانيات واللغة العربية ـنماذج تركيبية ودلالية** ـ،ص:62.نقلا عن: خالد خليل هويدي **التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث** . **الأصول والاتجاهات** . ط1 الدار العربية للعلوم ناشرون ،1433هـ . 2012م ص:209.

"[1]؛ فالنظرية اللسانية عملت على تأسيس قوانين علمية تخص كل لغة من لغات العالم ولا يمكن للغة العربية أن تكون بمنأى عن هذه القوانين لأنها ليست معزولة عن العالم بل هي لغة حية تتبادل التأثر والتأثير مع سواها، والتفسير عند(**الفاسي الفهري**) "مفهوم شامل يفسر النظام اللغوي من حيث المفاهيم النحوية كالحالة الإعرابية والتطابق والتقدير والحذف، والزمن ومن حيث اللوازم المعجمية كالمعنى والتعدية واللزوم وصيغة الفعل "[2]، ولقد استمد الفهري نموذجه التفسيري من أعمال الأمريكية "بريزنن"التي أدخلت تعديلات على مفاهيم(**تشومسكي**) .

وفي ختام هذه الدراسة يمكن القول أن المتتبع لمسار الدرس التوليدي في الثقافة العربية يلاحظ أن الكتابة التوليدية العربية"قد تمكنت من تقديم جملة من الافتراضات الجديدة المتعلقة بطبيعة البنيات العربية صوتا، وصرفا، وتركيبا ودلالة، ومعجما،وجاءت بعض هذه الكتابات مضاهية شكلا ومضمونا لنظيرتها الغربية أمريكية وأوروبية من عدة أوجه، في مقدمتها تقيدها المطلق بشروط وقواعد البحث العلمي اللساني وخطابه"[3].

خلاصة الفصل

إن أثر البحث اللساني المعاصر واضح وجلي في الكتابات اللسانية العربية الحديثة فقد لعبت هذه الأخيرة دورها في إرساء درس لساني عربي حديث، استمد أرضيته المعرفية من الدرس العربي القديم واللسانيات الحديثة، هذه الأخيرة التي ساهمت بنظرياتها ومناهجها في الدفع بالدراسات اللغوية العربية الحديثة إلى الأمام، فنتجت عنها حركة تجديدية عملت على بيان درجة نصيب الدرس اللساني العربي من التجديد اللغوي، من خلال سلسلة من الدراسات التي قام بها العديد من لساني المشرق العربي ومغربه، كما بينت هذه الدراسة مدى تغلغل هذا العلم في ذهنيات

[1]–المرجع نفسه ،ص:13.

[2]–حسن خميس سعيد الملخ ،**نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين** ،ص:258.

[3]–مصطفى غلفان ،**اللسانيات العربية الحديثة ـدراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية**.،ص:64.

الكتابات اللسانية العربية الحديثة، والكشف عن الخطوات التي استطاعت من خلالها أن تضمن لنفسها مكانا ضمن النشاط اللغوي فكانت عاملا من عوامل التطور فيه.

الفصل الثاني

المرجعية المعرفية للفكر اللساني عند المسدي ومباحثه اللسانية

المبحث الأول :المرجعية المعرفية للفكر اللساني عند المسدي:

تنبيه :

"إن المقصود بالمرجعية الفكرية هي ذلك التوجه المعرفي الذي ينتهجه الباحث أثناء مسيرته العلمية، ويكون مشفوعا بنظرة أيديولوجية ترسخ لديه الإيمان بأن توجهه هو الأفضل بالنظر إلى التوجهات العليمة الأخرى، كما يتخذ ذلك التوجه معيارا لمقاربة أي ظاهرة يخضعها للدراسة فضلا عن حكمه على صحة أو خطأ النتائج التي يتوصل إليها هو أو غيره من خلال ما تمليه عليه مبادئ ومعايير التوجه الذي يدين به"[1].

توطئة:

لقد عرف العالم العربي في ظل التحولات المعرفية الكبرى التي دأبت عليه اللسانيات في الآونة الأخيرة ظهور حركة علمية تشكلت عبر أعمال كثيرة متفاوتة العمق والقيمة، بدأت كأعمال فردية وخلصت بقيام مناهج ومدارس تمثلته مقامات لا تقل تمكنا عن الرواد الغربيين ولهم أعمال وأتباع شهد على رجوع بعضهم إلى التراكمات المعرفية لهذا التراث، ليعودوا منها محاولين بناء صرح علمي، وإثرائه بإضافات جديدة، ومراجعات مثمرة تنطلق مما راكمه القدماء العرب في شتى تخصصاتهم المعرفية، من أمثال **الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وبن جني والجرجاني** ...وغيرهم من جهابذة النظريات اللغوية العربية القديمة دون الاعتداد بما جادت به التطورات العصرية الغربية في مجالات علوم اللغة على نحو ما نجده عند علي عبد الواحد وافي ومحمد محمد حسن، وغيرهما من الباحثين الذين كان تكوينهم تراثيا ؛لأنهم يرون فيه علاقات نسب ووشائج قربى تشدهم دائما إلى الينابيع الأولى والذات دائما تلجأ إلى البحث عن جذورها متأصلة كلما أحست أن هناك ما يهدد كيانها .وفي الطرف المقابل نجد تنكر فئة غير قليلة من

[1]– فاطمة الزهراء بغداد ، **البحث اللساني في المغرب العربي** ،رسالة دكتوراه،إشراف :أحمد عزوز ،جامعة وهران 01أحمد بن بلة .2016 .2017م،ص:10.

مثقفي الأمة لهذا التراث، واتهامهم له بأنه لا يتماشى ومتطلبات العصر، استقوا أفكارهم مباشرة من الفكر اللساني الغربي دون أن يجدوا في التركة اللغوية التراثية هدفا وغاية كما زعم المفكر اللساني المغربي **عبد القادر الفاسي الفهري** وبعض مؤيديه، ويتوسطهم فئة من المعتدلين بعضهم اشتهرت في مجال تحقيق التراث على نحو ما نجده عند عبد الرحمان الحاج صالح، وتمام حسان ونهاد الموسى فهؤلاء يحاولون تقديم التاركة اللغوية التراثية للسانيات قصد إفادتها منها، بحكم دقتها وأسبقيتها في عرض المسائل والحلول ، في حين حاول الصنف الثاني أن يبرز أهمية الاستفادة من التجربة العلمية الغربية وإقناع الدارسين بذلك مع الاحتفاظ بخصائص الانتماء الهوية العربية، في حين ترى ثلة من اللسانيين تأسيس قواعد هذا العلم في الثقافة العربية مع إحلاله بحلة لا تتعارض ومبادئ الأمة هذا ما نلفيه عند **كمال بشر** و**محمود رشاد الحمزاوي** ،**وعبد السلام المسدي**، هذا الأخير الذي يعد رائدا من رواد اللسانيات العربية فقد استطاع بفكره الثاقب أن ينفذ إلى أعماق علوم اللغات الأوروبية، ويستنطق نصوصها ودراسة مناهجها وأفكارها وذلك بهدف البحث عن القواعد التي يمكن أن يجنيها فكره اللغوي في اقترابه من حاضرة البحث اللساني المعاصر بما يفده ويحفزه .

والمتتبع لأعماله ومنجزاته يجدها قد صحبها إخصاب معرفي لغوي، فمادة فكره مبثوثة في حقول متعددة، قد يحرك بها مسار التفكير الحديث بمقوده العلمي الأصيل، فأبحاثه موهوبة بالإبداع المعرفي ودراساته جابت كل مناحي اللغة منهجا وعلما، فلم يحصر أعماله في جهة معرفية محددة، وإنما كان منصبا على القراءة والتحليل لأهم المناهج الإجرائية والمعارف النظرية، فله من الأبحاث في مجال اللسانيات ما يدل على ما أسلفناه .وسنوضح هذا من خلال الشق النظري اللساني عند عبد السلام المسدي.

1 اللسانيات علم قيادي من منظور المسدي :

إن هذا العلم الذي يطلق عليه بعلم اللسانيات، أو علم اللغة الحديث يعد المنبع الأول لمختلف الحقول المعرفية من منظور المسدي، لقد قام هذا العلم الحديث محاولا على مستوى الفكر الإنساني المعاصر أن يعيد طرق تناول الظاهرة اللغوية فيما يخص مناهج البحث، وفيما يخص تقديرات المبادئ الأولية ويعرف هذا العلم بأنه "الدراسة العلمية للكلام البشري"[1]، ويحاول رواد اللسانيات أن يدرسوا الألسنية البشرية دراسة تكون في مأمن عن كل تقدير مسبق فيما يخص قيمة اللغة البشرية .

إن هذا العلم الحديث في المباحث اللغوية، هذا الموسوم باللسانيات قد جاء يحقق ما قصرت عنه كل علوم الحضارات الأخرى في الظاهرة اللغوية، وجاء مرسيا قواعد البحث العلمي وقواعد البحث الموضوعي فيما يتصل بالكلام البشري عامة.ولذلك عده المسدي رائدا بين العلوم الإنسانية وأوسعها مجالا ليس بالنسبة إلى ما قدمه هذا العلم من معارف فقط ولكن أيضا بالنسبة إلى ما استفادته العلوم الإنسانية الأخرى بتطبيقها لمناهجها على أبحاثها ونلفيه في هذا السياق يقول:"ومن المعلوم أن اللسانيات قد أصبحت مركز الاستقطاب بلا منازع ،فكل العلوم تلتجئ في مناهج بحثها وفي تقدير حصيلتها العلمية إلى اللسانيات، وإلى ما تنتجه من تقديرات علمية وطرائق الاستخلاص" [2]؛ فالمسدي هنا أدرك أهمية اللسانيات في بناء المعرفة العلمية، وبأنها قطب الرحى في التفكير الإنساني الحديث، فهي مفتاح كل حداثة بنظرياتها ومناهجها وتوجهاتها، وبذلك أصبحت مركز الاستقطاب بلا منازع داخل حقل البحوث الإنسانية فجل العلوم تلتجئ إليها للأخذ ما أنتجته من تقديرات علمية، وطرائق مميزة في البحث والاستخلاص، فقد ولجت كل مجالات الاتصالات الإنسانية حتى غدت ملتقى لكل العلوم الإنسانية "وبفضل اكتمال التصور العام لديها لدراسة اللغة أصبحت تحتل موقعا مركزيا داخل العلوم الإنسانية الشيء الذي جعلها تفرض عليها

[1]– التواتي بن التواتي ،**مفاهيم في علم اللسان** ،دار الوعي للنشر والتوزيع ، الجزائر،ص:21.

[2]–عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ط1،دار الكتاب الجديد المتحدة ،2010،ص:10.

نموذجها التحليلي ومعجمها المفهومي"[1].فهي على حد قول المسدي "تستلهم الظاهرة اللغوية ،ونواميسها من مصادر لسانية وغير لسانية فتعمد إلى إجراء مقطع عمودي على كل منتجات الفكر بمنظور مخصوص ،فبعد البحث عن خصائص الخطاب الإخباري والخطاب الشعري الأدبي ،تعمد اللسانيات إلى دراسة نواميس الخطاب العلمي والقضائي والإشهاري والمذهبي "[2]، فقد استطاعت أن تنشئ ما سمي بتمازج الاختصاصات، وتولد(مبدأ التفرد والشمول)*.ولعل ما جعل المسدي يجعل اللسانيات في مصاف العلوم التجريبية على وجه الخصوص:

- أنها فكر أكثر شمولية .
- أنها أكثر تفتحا على معارف أخرى كالمنطق والرياضيات وعلم النفس.
- أنها فرضت نفسها في إطار العلوم الإنسانية كنظرية ومنهج.

ولقد لخص **(كلود لفي ستراوس)** هذه الحقيقة في عبارة "اللسانيات علم قيادي"[3]؛ أي أنها في مقدمة العلوم المتقدمة بحيثيات الإنسان والتي تقودها نحو العلمية والموضوعية بشكل تنتجها لتكون في مصاف العلوم التجريبية الدقيقة، كالرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية ...الخ، ولا ضير في ذلك لأنها بلغت شأوا لم يبلغه علم من العلوم الأخرى حتى صارت مرجعية لكثير من العلوم بفضل الموضوعية التي اتسمت بحوثها ونظرياتها المتجددة "ولقد جاء تلخيص **المسدي** للمحصول المعرفي الذي أنتجته اللسانيات مركزا في حقيقتين على قدر كبير من الأهمية؛ تفيد الحقيقة الأولى بأن اللسانيات، بوصفها ثورة معرفية أعادت تعريف اللغة اعتمادا على وظيفتها ودورها الأساسي الذي هو الإبلاغ والتوصيل والتواصل .أما الحقيقة الثانية فتلفت إلى أن الأولوية

---

[1]–مبارك حنون ،**مدخل للسانيات سوسير** ،ط1،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ،المغرب ،ص:05.

[2]– عبد السلام المسدي،**اللسانيات وأسسها المعرفية** ،الدار التونسية للنشر ،1986،ص:168.

*هو منهج يعتمد الاستقراء والاستنتاج معا بحيث يتعاضد التجريد والتصنيف فيكون مسار البحث من الكل إلى الأجزاء ،ومن الأجزاء إلى الكل حسبما تمليه الضرورة النوعية .ينظر :عبد السلام المسدي ،الأدب وخطاب النقد ،ط1،دار الكتاب المتحدة بنغازي ،ليبيا ،2004،ص:11.

[3] La linguitique est deoenue une science pilote.Voir :Georges Mounin ,Clefs pour linguistique .Collection Clefs segher ;Paris ;1er édition ;1968,p19

القصوى للبحث والنظر اللغوي أصبحت مركزة على الصورة الأدائية للخطاب أو الجانب الاستعمالي من اللغة البشري، هذا الجانب الذي يترجمه المسدي بعبارة الهوية الوظيفية للغة"[1]، فاللسانيات "تتخذ اللغة مادة لها وموضوعها، ولا يتميز الإنسان بشيء تميزه بالكلام ولقد عده الحكماء منذ القدم بأنه الحيوان الناطق، وهذه الخصوصية المطلقة هي التي أضفت على اللسانيات من جهة أخرى صبغة الجاذبية والإشعاع في نفس الوقت ؛ فاللغة عنصر قار في العلم والمعرفة سواء ما كان منها علما دقيقا أو معرفة نسبية أو تفكيرا مجردا فباللغة نتحدث عن الأشياء، وباللغة نتحدث عن اللغة، بل إننا باللغة نفكر، فكان طبيعيا أن تكون اللسانيات مولد لشتى المعارف فهي كلما التجأت إلى حقل من المعارف اقتحمته فغزت أسسه حتى يصبح ذلك العلم نفسه ساعيا إليها"[2] ، فاللسانيات هي أدق العلوم اللغوية وأعلاها شأنا باعتبارها الأداة الحقيقية في دراسة المعارف والمكتسبات اللغوية وفق مناهج علمية تمتاز بالدقة والانضباط الفكري الذي تنتمي إليه، ولعل صفة العلمية هذه جعلت المسدي يعتمد في دراسته اللسانية على قراءة منتوج الفكر اللغوي عبر الملاحظة العلمية؛ بدراسة نشأة اللغة، وتتبع مراحل تطورها لأنها أساس المعرفة اللغوية الدقيقة والأقرب إلى تحقيق الرؤية العلمية.

2 خصوصية التركة اللغوية التراثية عند المسدي

إن المتأمل بإمعان في التركة اللغوية التراثية، أو ما يسميه **عبد القادر الفاسي الفهري** "لسانيات المتون"[3]، فإنه سيندهش لهذا التراكم الثقافي والعلمي والفلسفي والفقهي العظيم، وربما أعظم مما عند غير العرب، ولقد بين **المسدي** بأن هذا التراث العربي جاء ثمرة مخاض فكري متنوع استطال على مدى تسعة قرون زاهية من المواريث الإنسانية المتهيأة مبدئيا لعملية التفاعل المعرفي

---

[1]-عبد السلام المسدي ،**اللسانيات وأسسها المعرفية** ،ص:35 .

[2]–عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ط2،الدار العربية للكتاب ،تونس ،1986،ص:09.

[3]–عبد القادر الفاسي الفهري،**ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب** "ندوة"اللغة العربية والنظريات اللسانية ،كلية الآداب ،فاس ،سايس،2007.نقلا عن:قبايلي عبد الغني ،أثر اللسانيات الغربية على اللسانيات العربية التفسيرية عينة. ص:52.

الخصيب وذلك عن طريق إجراء القراءة العصرية الواعية، فأن يهتم رواد اللسانيات العامة في عصرنا الحديث بمضمون الفكر اللغوي العربي فذلك امتثال لأسباب ثلاثة[1]:

- التغافل عنه يفضي إلى حصول انخرام في سلسلة التأريخ للتفكير اللغوي عبر الحضارة اللسانية وهذا مما يعطل كل محاولة تأصيلية عند تأسيس حركة العلم ونقد مقرراته .
- وثانيها أن رواد الحضارة العربية بعد أن فكروا في لغتهم النوعية واستنبطوا منظومتها العامة فحددوا فروع دراستها بتصنيف علوم اللسان العربي وتبويب محاورها نحوا وصرفا وأصواتا وبلاغة ،تطرقوا إلى التفكير في اللغة من حيث هي ظاهرة كونية ،فاستكشفوا كثيرا من أسرارها الخفية ،ففكروا في نواميسها العامة ،ودونوا عصارة تفكيرهم دون أن يكونوا متقيدين بنحو أو صرف أو دلالة أو معجم.
- أما ثالث الأسباب فيتمثل في أن التراث العربي يتعين اتخاذه ملكا إنسانيا يحمل رصيدا مشاعا، ويفوض حقا مطلقا؛ لأن في ذاته ذو عمق إنساني على مستوى التاريخ الشامل وقد تسنى له اكتساب هذه الخصوصية فضل توفقه في تحقيق معادلته التاريخية العسيرة فقد انبنى على استيعاب الروافد السابقة له إذ قد أفاد من كل ما توفر لديه عندئذ من مناهل التراث الإنساني :تمثل ثمار الموازين الهندية والفارسية واليونانية، فكان حلقة تواصل وامتداد على مسار الحضارة الإنسانية، ولكنه انبنى أيضا على مبدأ الخصوصية إذ تفرد بشمائل نوعية، فلم يكن مجرد قناة تسلكها المضامين الفكرية السالفة وإنما اتخذ من الوافد عليه مادة تمثل ومصاهرة حقق بهما ميزة التجاوز بعد الإفادة.

[1]–عبد السلام المسدي،**حد اللغة في التراث اللساني العربي** ،مقال منشور في وقائع ندوة جهوية بعنوان :تقدم اللسانيات في الأقطار العربية ط1،دار الغرب الإسلامي ،1991.

3 ما طبيعة موقف عبد السلام المسدي من التراث والحداثة؟

"لقد وقع كل من أنصار التراث والحداثة تحت طائلة الهيمنة المعرفية، فالمحافظون وقعوا تحت هيمنة التراث اللغوي العربي موضوعا ومنهجا وتصورات ومصطلحات أيضا، فكان ذلك حاجزا بينهم وبين أية مقاربة "[1]، وفي مقابل ذلك وقع الحداثيون تحت طائلة هيمنة الفكر الغربي الحديث وبذلك فقد وقعوا في ربقة التقليد أيضا، ويدل ذلك على أن المنطلقات طغى عليها الطابع الذاتي الذي لا يستند إلى أسس علمية واضحة، فتولد عن ذلك صراع حاد تسجله الثقافة العربية المعاصرة بين أنصار التراث وأنصار الحداثة، ولقد بين المسدي ذلك بقوله :"إن الفكر الغربي قد شق طريقه من المعاصرة إلى الحداثة دون قفز مولد للقطيعة وقد تسنى له ذلك بفضل انصهار المادة والموضوع في تفكير العلمانيين فكان الصراع المنهجي خصيبا إلى حد الطفرة،لكن المنظور العربي ما يزال يتصارع والحداثة من حيث هي موقف مبدئي"[2]."وهذا ما يجعل الأمة العربية مشدودة بعنف بل ممزقة بين ثقافتين متعارضتين، ثقافة تقليدية تتمسك بمقوماتها وبنظرياتها للعالم وتزود قومها بمقومات المقاومة وعناصرها، وثقافة حديثة تمارس مهمة التفكيك والتذويب والإلحاق للثقافات الأخرى"[3]، وهكذا فإن هذا الصراع ليس صراعا بين الماضي والحاضر بقدر ما هو صراع بين الأنا والآخر بين تحقيق الهوية واستلابها بين الاستقلال التام والتبعية، وذلك لأن"الحداثة لا تعبر على مرحلة آنية ، و إنما هي تأسيس واستباق قوامها التساؤل والكشف إنها معادلة إبداعية بين الثابت والمتغير بين الزمني والوقتي فهي تسعى دائما إلى صقل الموروث لتفرز الجوهري منه فترفعه إلى الزماني بعدأن تزيح كل ما هو وقتي لأنه متغير ومرحلي "[4].

---

[1]– ينظر :مصطفى غلفان ،**اللسانيات العربية الحديثة ـدراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية** ،ص:28.

[2]–عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:11.

[3]–محمد سبيلا ،**الحداثة وما بعد الحداثة** ،**سلسلة دفاتر فلسفية**،ط2 ،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ،المغرب ،2007 ص:100.

[4]–مها خير بك ناصر،**الأدب العربي بين الأصالة والمعاصرة** ،مقال منشور بمجلة التراث العربي ،دمشق ،عدد 96 ،25 كانون الأول ،2004.

وهكذا أصبحت مقولة الحداثة عند اللغويين العرب المعاصرين أكثر إخصابا، لأنها "تتنزل لديهم متفاعلة مع اقتضاء آخر يقوم مقام البديل في التفكير المعاصر .وهذا الاقتضاء مداره قضية التراث من حيث هو يدعوهم اليوم إلى قراءته ـ على حد عبارة المنهجية الراهنة ـومعنى ذلك أن العرب يواجهون تراثهم لا على أنه ملك حضوري لديهم، ولكن على أنه ملك افتراضي يظل بالقوة ما لم يستردوه، واسترداده هو استعادة له، واستعادته حمله على المنظر المتجدد وحمل الرؤى النقدية المعاصرة عليه"[1]؛ فمبدأ قراءة التراث واستلهام مكوناته من منظور المسدي ذو قيمة كبيرة في تأصيل أمتنا العربية ، ففي هذا الاستلهام خلق لفكرنا العربي المعاصر، وتأسيس لحاضر مستقبلي ذي أواصل حضارية منتقاة من الزخم المصدري الثابت في وجدان عالمنا اللغوي العربي العريق "فالتشبث بالتراث وادعاء كماله، وعدم حاجته إلى أية إضافة حداثية إن عبر عن تمسك بأوصال الحضارة، فإنه يعد من ناحية أخرى إعراضا ومغالطة معرفية تعزف عن مطالعة المعارف وحداثتها ومكابرة دون تكليف النفس بتقصيها ،وفي هذا ركون وكسل لا يفيد البحث اللساني العربي الحديث، كما أنه منطلق بعض الحداثيين في رفض التراث اللغوي والتنصل منه بدعوى عدم صلاحيته لوصف اللغة المعاصرة مبرر غير مؤسس؛ لأن طبيعة البحث اللساني تقوم على التراكم، وبناء عليه فإن التراث ينبغي أن يأخذ مكانه في السيرورة التاريخية للبحوث اللسانية بغض النظر عن موافقة أطاريحه أو مخالفتها "[2].

إن هذا الصراع بين التراث والحداثة لم يقم على المحاور العلمية المؤسسة بين مضامين الأعمال التراثية، والنظريات اللسانية الحديثة ،"بل كان الصراع بين اللسانيين أنفسهم في حلبة يرغب كل لساني الاستنصار لنفسه فيها"[3]، وبناء على ذلك نشأ صراع فكري يقوم على"التجاهل والنكران

---

[1]–عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية**،ص:11-12.

[2]–عبد السلام المسدي ،**الفكر العربي والألسنية** ،أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية ،تونس 13-19 ديسمبر 1978. سلسلة اللسانيات ،04 ،ص:12-13.

[3]– ينظر :حافظ إسماعيلي علوي ، **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة** ،ص:65 .

بدل التفاعل والحوار"[1]، وتطغى عليه عبارات الاتهام والتلاسن المتبادلة "فالتراثي في نظر الحداثي ميزته الجدل العقيم، وهو يدافع عن إحياء ما ولى وانتهى في نظره، كما أن الحداثي في نظر التراثي لا يعدو أن يكون مقلدا اللسانيات الغربية لأغراض غير لغوية "[2].

إن معادلة التراث والحداثة من حيث هي إشكال منهجي يؤثر على المسيرة المتوازنة للدرس اللساني في ثقافتنا العربية، تتطلب فكرا توفيقيا يدرك العلاقة التي يجب أن تربط التراث اللغوي العربي بما أفرزه البحث اللساني المعاصر، ومن ثم استثمار هذه العلاقة في تأسيس نظرية لغوية متزنة، بعيدة كل البعد عن النظرة السلفية التي تزعم بأسبقية العرب إلى اللسانيات من جهة وبمنأى أيضا عن النظرة المجحفة التي تنقص التراث من قيمته المعرفية، والتي توهم بأن الفكر الخلاق إنما هو الفكر الغربي، ولعل ما ذهب إليه المسدي والذي يرمي إلى بناء مقولة التراث في صميم الحداثة ناجم عن موقف عقلاني يزاوج بين القديم والحديث،ويجعلهما وجهي لعملة واحدة، يقول في هذا السياق:" أما من الوجهة العلمية فإننا نصدر عن موقع منهجي هو القراءة المعاصرة التي تقتضي ضمنيا استيعابا مزدوجا ،طرفه الأول في التراث، وطرفه الآخر في العلم الحديث، ومتى توفرت المعادلة بطرفيها تسنى إجراء القراءة الجدلية التي هي بالضرورة قراءة نقدية واعية تستند أساسا إلى التفاهم العضوي"[3]؛ وهذا يعني أن هذه المصادرة تتطلب إدخال مفاهيم لسانية حديثة في حوار مثمر مع التركة اللغوية التراثية بغية الحصول على نتائج متفردة، لا هي ثراث مطلسم ولا هي لسانيات منسوخة، بل عطاء نوعي وحصيلة فريدة تغير الآخر من موقع الخصيم إلى موقع النصير.

إن الحقيقة التي يعيشها الدرس اللساني العربي المعاصر تؤكد افتقاره للإبداع الخلاق، والدليل على ذلك لا وجود لنظرية حديثة أسست في كنف اللغة العربية المعاصرة ، فنحن على الدوام بين

---

[1]– ينظر:محمد الأوراغي ،**نظرية اللسانيات النسبية ـدواعي النشأة** ـ ط1،الدار العربية للعلوم ناشرون ،لبنان ،2010،ص:65

[2]– ينظر :المرجع نفسه ،ص:65.

[3]– عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:28.

معينين اثنين :إما أن نطبق ما كان غربي الوضع على لغتنا العربية ،وإما أن نطبق ما كان قديم الوضع على عربية اليوم "فلا النقل في الحالة الأولى، ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصرا، لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر (العربي)وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر (المعاصرة)، والمطلوب هو أن نستوحي لنخلق الجديد سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين"[1].

"إن حل مشكلة أزمة التراث والحداثة، متعلق بفهمنا للمنهج الفكري الفلسفي اللغوي الذي أخذ به العرب القدامى، في دراساتهم اللغوية ,ولا يمكننا فهم ذلك المنهج فهما موضوعيا وعلميا عادلا إلا إذا جندنا أنفسنا تجنيد الرهبان، لسبر هذا التراث الضخم المبعثر .فإذا استطعنا إعادة صياغة هذا المنهج الفكري الفلسفي اللغوي العربي القديم صياغة علمية مضبوطة فإنه يمكننا بعدها أن نفتح نوافذ ثقافتنا العربية المعاصرة على المناهج اللسانية الغربية ،وبهذا يسهل علينا كثيرا مقارنة المناهج اللغوية القديمة بالمناهج اللسانية الحديثة، ثم فهم المشكلة فهما علميا وموضوعيا نستطيع من خلاله أن نكبح جناحها وأن نتغلب عليها وأن نحولها إلى تحليل لساني وعلمي بين القديم وبين الحديث وذلك من أجل تطور لساني أفضل وأنجح في الدراسات اللسانية المعاصرة "[2].

فما نخلص إليه من الصراع الحضاري القائم بين التراث والحداثة "أنه لم يقم على أسس مرجعية واضحة تجعله مسهما في فتح نوافذ نقاش ترتقي بالكتابة اللسانية نحو الأصالة والإبداع والمحاورة النقدية المؤسسة للنتاج العالمي لتأخذ لنفسها مكانا في ذلك كله، ولكن هذا الصراع أخذ مجرى آخر لا يمت إلى التأسيس بآصرة، فكان عائقا لتطوير نشر الثقافة اللسانية في الوطن العربي"[3].

---

[1]–عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية**،ص:12.

[2]–مازن الوعر ،**قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث** ،ط1،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،دمشق،ص:356.

[3]– مبروك بركات ،**النقد اللساني العربي (دراسة تقويمية للبحوث النحوية النقدية الحديثة)**،رسالة دكتوراه ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،2016 .2017،ص:120.

4 منهج المسدي في العودة إلى أصول التراث العربي

يشير **بشير إبرير** إلى أنه يمكن إيجاد منهج جديد، متميز تبناه جمع من اللسانيين العرب "وذلك باستيعاب علوم اللسان الحديثة في الغرب وفهمها وتمثلها، وسبر أغوار التراث العربي اللساني مثلما يقوم بعض اللسانيين في الوطن العربي منهم:عبد الرحمان الحاج صالح من الجزائر وأحمد المتوكل وعبد القادر الفاسي الفهري من المغرب، وعبد السلام المسدي من تونس ...الخ"[1].

لقد أطلق على هذا المنهج بمنهج القراءة أو منهج إعادة قراءة التراث أو المنهج الإحيائي "فهذا المنهج أمر واجب على الدارسين والباحثين الغيورين من أبناء العربية، في كل زمان ومكان لتبقى هذه الأعمال منبعا ثريا ومعينا لا ينضب، وتأصيلا للدراسات اللغوية العربية المعاصرة وإحياء لهذه الدراسات ولأصحابها الذين نهضوا بها على مدار الزمن"[2].

وكغيره من الباحثين المعاصرين الغيورين من أبناء العربية ،تبنى المسدي منهج القراءة المجردة أو إعادة القراءة في تأصيله لمختلف القضايا اللغوية "من إقرار أن التفكير اللساني الحديث قد بدأ فعلا مع(دي سوسير) دون نقض لذلك أو تشكيك في مساراته الأولية "[3]، فهو يرى أن "قراءة التراث منهج لا يعوزه التأسيس المعرفي في حد ذاته ...وإعادة قراءته تجديد لتفكيك رسالته عبر الزمن، وهي بذلك إثبات لديمومة وجوده، ولكن إثبات الديمومة لا يقف عند حد تمجيد الماضي فحسب، إذ يحتاج إلى بناء مؤسس يناسب الحاضر والمستقبل لدفع البحث اللساني العربي منهجيا نظريا "[4].

---

[1]– بشير إبرير **ـاللساني التربوي ـ في التراث وإشكالات قراءته** ـ مجلة المعرفة ،العدد 492،وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ،2004،ص:109.

[2]–حسام البهنساوي ،**التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث** ،ص:09.

[3]–عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،**ط3**،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت ،2009،ص:24.

[4]– عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:19.

لقد أعطى المسدي رؤية واضحة للبحث اللساني العربي الحديث، وأدرك بأنه بحاجة إلى تصحيح مساره بأن ينفتح الدارسون على عطاءات الدرس الغربي في مختلف اتجاهاته، دون الغفلة عن المنجز من التراث العربي الذي لا يحتاج إلى المراجعة والغربلة ليكون قاعدة انطلاق في بناء نظرية لسانية عربية معاصرة .

"والذي زاد بعض اللسانيين المعاصرين تشبثا بمنهج المعاودة إنما هو اليقين الجازم بأن إحياء التراث وإغنائه عن طريق المقولات اللسانية المعاصرة ومتصوراتها الإجرائية كثيرا ما يصحبه إخصاب للمعرفة اللغوية الحديثة نفسها عن طريق ابتعاث المخزون التراثي الأصيل وذلك كلما وجد القارئ المقتدر على تحقيق التوازن في المعادلة بين الحداثة والتراث"[1]، فالمسدي هنا يدعو اللسانيين المعاصرين إلى الاطلاع على مكنوز التراث وفق مبدأ القراءة الانتقائية التي تراعي قاعدة المناسبة والملاءمة، ويكون ذلك أيضا وفق التدقيق الاختياري الذي يتم بموجبه الحفاظ على الطابع الأول للموروث المعرفي، وعلى هذا الأساس لا يصح وضع فاصل زمني بين القديم والحديث ما دام البحث اللساني المعاصر هو امتداد للقديم والنتاج الطبيعي له.

فاللسانيات الغربية ما تحمله من أفكار وآراء هي وافد غريب إلى الحضارة العربية ، لذلك يدعو المسدي إلى تأسيس قواعد تنصيب هذا العلم في الثقافة العربية، مع إحلاله بحلة لا تتعارض ومبادئ الأمة، وفي هذا السياق يقول:" إدخال مفاهيم اللسانيات مع مفاهيم التراث في جدل خصيب يخرج لنا ثمارا مفهومية ليست صورة مشوهة للتراث ولا هي صورة منسلخة من اللسانيات وإنما هي عطاء نوعي"[2]؛ فقراءة التراث من وجهة المسدي وفق ما وصل إليه البحث اللساني المعاص، والتوفيق بين نتاج الفكر اللغوي والنظريات اللسانية الحديثة ،فرصة جديدة لخلق فكر عربي معاصر مبدع ومتميز، وهكذا تصبح قراءة التراث تأسيسا للمستقبل على أصول الماضي بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب .

[1]– عبد السلام المسدي ،**حد اللغة في التراث اللساني العربي**،ص:395.

[2]–عبد السلام المسدي، **مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:28.

لقد أصبحت عملية القراءة المجردة أو ما يعرف بإعادة قراءة التراث من منظور المسدي موقفا حضاريا مهما، وضرورة ملحة، إنها مسألة إثبات الذات قبل كل شيء لربما نكاد نبلورها في عبارة نكون أو لا نكون، ولن يكون ذلك إلا بالعودة إلى التراث ويتلخص غرضه منها فيما يأتي:

1. محاولة تأصيل التراث اللغوي العربي.
2. إحياء التراث اللغوي العربي والكشف عن معالم نبوعه ووجاهته .
3. الرغبة في مواكبة مقتضيات الحداثة.
4. إبراز مظاهر المعاصرة في التراث اللغوي العربي.
5. تأسيس لحاضر مستقبلي ذي أواصل حضارية منتقاة من الزخم المصدري الثابت في وجدان عالمنا اللغوي العربي العريق.

ومهما يكن من أمر، فإن المسدي يرى أن التعامل مع التراث حكمته حيثيات تاريخية جعلته أسير إحدى دائرتين أو لحظتين هما :

"اللحظة التاريخية واللحظة الثقافية النضالية، ويرى أنه آن الأوان لأن نطلق لحظة ثالثة هي قراءة التراث باعتباره منجزا لسانيا، فدراسته وإعادة قراءته في ضوء المناهج العلمية اللسانية الحديثة برأي المسدي فيه تنمية للشعور بالانتماء "[1]، فبين الإنسان وتراثه علاقات نسب ووشائج قربى تشده دائما إلى الينابيع الأولى والذات دائما تلجأ إلى البحث عن جذورها متأصلة كلما أحست أن هناك ما يهدد كيانها، لأننا نرى التراث اليوم حاضرا وفاعلا وأن الاستناد إليه أمر محتوم وحاصل، والبحث فيه يتطلب الإلمام بقواعد البحث العلمي وقراءته قراءة منهجية لا تكتفي بتتبع الظواهر اللغوية، بل النفاذ إلى الأصول التي انطلقت منها.

[1]– عبد السلام المسدي،**الفكر العربي والألسنية** ،ص:23.

5 منهج المسدي في التأليف

يمكن استخلاص خاصية مهمة طبعت منهج المسدي في التأليف، من خلال تصفحنا لكتبه المطبوعة خاصة، بالإضافة إلى مقالاته المنشورة وهي :

خاصية التكرار في الموضوعات :من خلال قراءتنا لكتابات الباحث، فإننا نلحظ عليها التكرار وهذه السمة تشمل تكرارا للموضوعات، وللمعلومات داخلها، وإن كانت هذه الصفة سلبية من خلال ما يبعثه من تشويش للأفكار من ملل في النفس، بالإضافة إلى ما يمكن أن يقع فيه الدارس من الصفة نفسها وهي التكرار دونما شعور منه .وقد يكون لها جانبها الإيجابي، ويتمثل أساسا في شرح الغموض وتيسير ما صعب فهمه، خاصة وأن كتاباته قد ميزها أحيانا بعض الغموض لاعتماده الأسلوب الفلسفي ، وقد يصعب أحيانا فهمها.

إن هذه السمة التي طبعت كتابات المسدي ليست مقتصرة عليه فقط، بل تكاد تكون عامة في كتابات اللغويين المحدثين، الغرض منها التعريف بنظرياتهم ومحاولة إقناع الطرف الثاني، فإذا تتبعنا مثلا مؤلفات **تمام حسان** مثلا لوجدنا في أغلبها حديث عن نظرية القرائن، ويمكن الحكم بأن التكرار سمة ظاهرة في الكتابات اللسانية العربية الحديثة.

6 خصائص منهجه في البحث اللساني

من خصائص البحث اللساني المعاصر المنهجية العلمية الصارمة، والتي جعلته ينخرط في مصاف العلوم الدقيقة .**فالمسدي** لقد حاول توخي المنهج العلمي في بحثه اللساني من خلال حرصه على:

أ. الانفتاح على العلوم كالرياضيات والفلسفة الأرسطية :

من العوامل الأساسية التي صنعت الشخصية العلمية للمسدي في البحث اللساني انفتاحه على الرياضيات، وهذا ما لمسناه في دراسته الموسومة ب(مساءلات في الأدب واللغة)،فقد تناول فيها

قضية اللغة وما وراء اللغة، حيث شبه هذه الظاهرة اللغوية (المعرفة اللغوية)بالمعادلة الرياضية، لتوضيح كيف أن الفكر يفتش عن المعنى الباطني كما يفتش الرياضي عن المجاهيل السينية في المعادلات الجبرية، ولقد استعمل العديد من المصطلحات الرياضية ؛مثل المجاهيل السينية، المعادلات الجبرية، البرهان، المقام المسستر، وهو يتحدث عن اللغة وما وراء اللغة نلفيه في هذا السياق يقول:"هتك الحجب وإماطة اللثام، وتعرية الأستار، ولكن أقربها منالا وأكثرها على المخلوقات نفعا أن تعرف أن منظومة المعاليم في الثقافة- هي نص اللغة- وأن منظومة المجاهيل هي ما وراء اللغة وليس البحث فيها إلا بحث في الخلفيات المعرفية "[1] ولقد أطلق على الخلفيات المعرفية بالمقام المسستتر.

وما يمكن أيضا ملاحظته من تتبع منجزات المسدي أن أغلب أفكاره مبنية على الفلسفة الأرسطية"عن طريق الترجمة العربية التي نهض بها علماء من أمثال **الفارابي وابن سينا...**"[2] فالإنجازات العلمية للفلاسفة واللغويين اليونانيين في هذا المجال لا يمارى فيها ولا ترد "إذ أنهم ما انفكوا يسهمون في استجلاء حقيقة النسق اللغوي لدى الإنسان، فنتج عن هذا الاهتمام تراكم كثيف من المفاهيم والتصورات التي ما زال جلها يعد رافدا مرجعيا يعتمد إلى حد الآن في الفكر اللساني المعاصر"[3] .

ولعل القيمة العلمية للتراث اللغوي اليوناني في البحوث التي قدمها أفلاطون وأرسطو في المقاربات الفلسفية، والبحث عن الحقيقة المعرفية الوجودية منها الحقيقة اللغوية هي التي جعلت المسدي يولي الاهتمام الكبير بالفلسفة الأرسطية، فبناة أفكاره استقاها منها .فاهتمامه كان منصبا على

[1]– عبد السلام المسدي ،**مساءلات في الأدب واللغة** ،ط1 ،الرياض،1994،ص:98.

[2]–أحمد مومن ،**اللسانيات -النشأة والتطور** ،ص:42 .

[3]–أحمد حساني ،**مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي ،مبحث تركيبي ،مبحث دلالي)**،ط2،منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية ،1434هـ 2013 م،ص:10.

فلسفة اللغة وعلاقتها العامة بفلسفة المعرفة، فقد قسم إرهاصات فلسفة اللغة وعلاقتها العامة بفلسفة المعرفة إلى ثلاثة أعمال مثلت مراحل التجدد والتأثير في اللسانيات وهي:

1. "إصدار موسوعة لابلياد لمجلدها الخاص ب(المنطق والمعرفة العلمية)الذي قدمه **جون بياجيه** سنة 1967 بمساعدة **لا يوبوستال**"[1] ،وما تم التطرق إليه :

تطرقوا إلى الأصول الأولية والمنطلقات الأساسية للفكر اللساني الغربي الحديث."أجروا مقارنة معرفية بين مراحل التفكير اللساني وبين ما تمليه النظرية التوليدية التحويلية "[2]، فقد بحثوا في "الأصول الأنطولوجية والإبستيمولوجية والفلسفية التي وجهت اتجاهات المدارس اللسانية معزولة عن السياقات التاريخية والجغرافية التي وقعت فيها"[3].

ولقد خلصوا إلى الوقوف عند القضايا الآتية:

أ. مفهوم العلمية كخاصية حديثة في اللسانيات لأنها تعتمد على الملاحظة والوصف والاستقراء.

ب. تحديد مستوى التجريد في دراسة الظواهر اللغوية .

وفي نظرهم أن فلسفة اللغة توصلت إلى اعتماد اللسانيات على ثلاث قراءات :

"القراءة التجريبية (Empiricism):تقوم على اعتبار أن المعرفة العلمية وليدة الخبرة.

- القراءة الوضعية(Positivism):تطبق نظرية الملاحظة ،فأية فكرة لا تكون مفيدة ما لم تثبت صحتها بالملاحظة.

[1]– عبد السلام المسدي ، **مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:14.

[2]– المرجع نفسه ،ص:14.

[3]– محمد محمد يونس علي ،**مدخل إلى اللسانيات** ،ص:42.

- القراءة العقلانية المنطقية (Rationalism): يعتمدون مبدأ الحدس والاستبطان في دراسة الظاهرة اللغوية"[1] .

2 تمثلت في المؤتمر الذي نظمته الأكاديمية الدولية "لفلسفة العلوم بالتعاون مع المركز الدولي للإبستيمية التكوينية وذلك في جنيف شهر سبتمبر 1970 م:

- درسوا فيه قضايا التفسير في علم اللسانيات.
- دأبوا إلى إرصاد الخلفية المعرفية لكل نظرية لسانية "[2].

3 "دراسات مركز **روايامون** للأبحاث اللغوية الصادرة في أكتوبر 1975:

- تطرقوا إلى دراسة نظريات التكوين في اللسانيات .
- بحثوا في أصول اللغات وعلاقتها بعلوم الإنسان "[3] .

ومن أهم الكتب التي ألفت في هذا المجال ودارت مضامينها حول قضايا اللسانيات وفلسفة المعرفة نذكر:

كتاب اللغة والفكر **لنعوم تشومسكي** صدر عام 1968 يقول المسدي معلقا على هذا العمل: "هذا الكتاب يمثل وقفة حازمة من لدن رائد من رواد اللسانيات المعاصرة يلخص فيها إنجازاته"[4].

وفي الأخير يمكن القول أن **المسدي**، أغلب أفكاره مبنية على تفسيرات فلسفية، له نظرته الخاصة في دراسة الظواهر اللغوية والتطلع إلى خصائصها والبحث في مستجداتها.

[1]–ينظر :المرجع السابق، محمد يونس علي ،**مدخل إلى اللسانيات** ،ص:43.

[2]– ينظر:عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:14.

[3]– ينظر:المرجع نفسه :ص:14.

[4]– ينظر:المرجع نفسه ،ص:17.

ب الانفتاح على المناهج الحديثة:

1 المنهج البنيوي :

نرى أن للمسدي محاولات لسانية جسد من خلالها توجهه المنهجي والمعرفي في حقل اللسانيات وخاصة تعلقه ببعض المناهج الغربية كالبنيوية، فقد ألف كتابا بعنوان(قضية البنيوية العربية)،يقول المسدي في مقدمة كتابه معلقا عن هذا العمل"وقد عالجنا الموضوع من منطلق جملة من الخبرات الفكرية المتداخلة التي كانت قضية البنيوية فيها بمثابة عماد الدوران في مفترق من المسالك، وقد كان حافزنا الخفي هو التساؤل في كل حين عن وجهة الهوية المعرفية في الفكر البنيوي من خلال العلاقات الممكنة بينه وبين سائر حقول المعرفة إلى جانب التساؤل عما طرأ على هذا الفكر من انسلاخات مختلفة سواء بمفعول التحول الذاتي أو بمفعول الانتقال من بيئة ثقافية أجنبية إلى بيئة الثقافة العربية"[1]، ولقد كان مترددا في إضفاء صفة الموصوف المنهجي على البنيوية، فتارة يطلق عليها نظرية، وتارة أخرى منهجا وهي"استقامت منهجا في تناول الظواهر أكثر منها شيئا آخر"[2].

"فالبنيوية من واقعها ليست مذهبا ،وما هي بنظريته ،وليست فلسفة ،ولكنها منهج ،ومن حيث كونها منهج فبالتالي أداة للرؤية وميزة أداة الرؤية أنها شيء خاضع لمستخدمها، المستخدم هو الذي يستطيع أن يجعلها مفيدة أو غير مفيدة "[3]، فالبنيوية كمنهج لساني تقوم أساسا عل تحليل عناصر اللغة بالاستعانة بالعناصر الأخرى التي تشمل عليها تلك اللغة، حيث يقوم الباحث بوصف العناصر اللغوية، فمثلا يقوم بوصف العناصر الصوتية محاولا من خلالها الوصول إلى تكوين الوحدات المورفولوجية، لتكون بدورها العبارات فالجمل.

---

[1]– عبد القادر عبد الجليل ،**اللسانيات الحديثة** ،ط1، دار الصفاء ،الأردن ،2002ص107.

[2]– عبد السلام المسدي ،**قضية البنيوية ـدراسة ونماذج** ط1،منشورات دار أموية ،تونس ،1991،ص:18.

[3]–سامية راجع،**إشكالات البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين** ،مجلة الأثر،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة ، الجزائر العدد، الخامس ،مارس ،2006،ص:213.

لقد كان اهتمام **المسدي** بالبنيوية واضحا كمنهج لساني حديث له شهرته وتأثيره البالغ في مجموعة من اللسانيين العرب المحدثين والذين هم أتباع لهذا المنهج .فالبنيوية التي هي ثمرة المنهج الوصفي يقر **المسدي** بفضلها؛ إذ تحرك على مدارها معظم بحثه تحركا ضمنيا صامتا كما قال:"والمهم في خاتمة مطافنا هو أن الرؤية اللسانية البنيوية ذات التحرك الآني قد مكنتنا من النظر بعمق في تراث الفكري العربي بما مكننا من تجاوز إشكاليات السطحية كتقنين النحو وخطر اللحن ومدح الإعجاز، لتنفذ بنا إلى اللغة من حيث هي حدث منجز، فاكتشفنا تخلص الفكر اللغوي في أعماقه من ريقة المكتوب، وسلطان المعيارية، وتبينا ارتقاءه إلى منزلة الوصف الاختياري يتناول الحدث الكلامي بذاته ولذاته وتلك ذروة الحداثة اللسانية "[1].

والبنيوية رائدة الدراسات "وهي من وجهة المسدي الأقرب إلى النظرية العلمية والموضوعية في الدراسات اللغوية الحديثة"[2]؛ فهو يرى أن هذا المنهج يسعى للولوج إلى "بنية النص الدلالية من خلال بنيته التركيبية"[3].

ومن المعروف في اللسانيات الحديثة أن اللغة تدرس في قطاعاتها الأربعة الصوت، وبناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة ولئن تعرض المسدي في ثنايا بحثه للقطاعات الثلاثة (الصوتي والصرفي والتركيبي)، فإنه قد ألح على القطاع الرابع؛ لأن الدلالة كما قال لها الوظيفة المركزية في كل ما يتصل بالظواهر الإبلاغية .

[1]– عبد السلام المسدي ،**قضية البنيوية ـدراسة ونماذج** ـ دار الجنوب ،تونس ،1995،ص:370.

[2]– عبد القادر عبد الجليل ،**اللسانيات الحديثة**،ص:107.

[3]– عبد السلام المسدي ،**قضية البنيوية ـدراسة ونماذج** ص:77.

2 المنهج الوصفي والتاريخي

اعتمد المسدي على المنهج الوصفي، هذا الأخير الذي تقوم عليه كثير من الدراسات اللسانية المعاصرة، بعد أن أرسى دعائمه اللغوية المشهور (**سوسير**)، ويعني هذا المنهج بالنظر إلى اللغة في ذاتها يدرس نظاما في حالة من تطورها وفي زمن معين دون النظر إلى التحولات التي تطرأ على جزيئاتها عبر الزمن، فذلك شأن منهج آخر وهو المنهج التاريخي، الذي كان يبدو بين الحين والآخر بعض الضوء منه ينير للمؤلف بعض النقاط المعينة على مناقشة المسألة والمسائل المطروحة فقد قال في خاتمة بحثه :"جاء بحثنا عائما على صفيحة هذا الجدل الثنائي الآنية التي هي قطب الرحى، والزمانية مصباح كاشف بالسلب والإيجاب، ما أن يلتجئ إليه البحث حتى يعود منه إلى مدار الفحص الآني ؛ ليرتقي بالاستخلاص إلى مستوى التجرد الكلي"[1] .

والنتيجة التي استقيناها من هذا المبحث أن المنطلق في تحديد مرجعية **المسدي** المعرفية تعود إلى ما قاله هو عن نفسه "وإذ قد كتب على بعضنا أن يكون منذ ثلاثة عقود جزء من منظومة ثقافية مرجعها البحث اللغوي الحديث، ومستندها الانتماء إلى المؤسسة الأكاديمية أولا وأخيرا وعمادها الالتزام بمقومات الهوية الحضارية التي لا انفصال للعلم عنها ولا انفكاك للمعرفة عن ميثاقها، فإن حالنا في هذا المقام حال من يسوق شهادته على آليات الإنجاز المعرفي كما استقامت طيلة هذه الحقبة من الزمن الراهن دونما إغراق في السيرة ولا تنصل من تبعات الالتزام "[2].إن دل هذا على شيء فإنما يدل على مرجعية المسدي المعرفية الجامعة بين تليد التراث ومعاصرة الدرس اللساني.

---

[1]--عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:369.

[2]–عبد السلام المسدي ، **الأدب وخطاب النقد** ،ط1،دار الكتاب المتحدة ،بنغازي ،ليبيا ،2004،ص:11.

المبحث الثاني: المباحث اللسانية عند المسدي:

1/ اللغة والمعرفة العلمية:

إن مسألة العلاقة بين اللغة والفكر كانت ميدانا رحبا، تسابقت في مضماره اليراعات، وتشاكست فيه التوجهات، وتباينت فيه الأقوال، فلقد أسهم كثير من سدنة العربية قديما وحديثا على اختلاف توجهاتهم، وتطاول عصورهم وتنوع مشاربهم في تبيان وإبراز هذه العلاقة بين اللغة والفكر، ولكل واحد منطلقاته، ومسيرته البحثية، وتوجهاته وضوابطه، كما كانت لكل نتائجه.

وعلى مستوى اللغويين والباحثين المعاصرين الذين كانت لهم إسهامات وتصورات في إبراز هذه العلاقة **(عبد السلام المسدي)**، هذا الأخير الذي أدرك أن اللغة وعاء الفكر عن طريقها يمكن للفرد إخراج أفكاره الدفينة من حيز الكتمان إلى حيز الوجود "فاللغة هي وسيلة المواصلات للفكر أو هي التمثيل الطبيعي والخارجي لحالة داخلية، أو اللغة عبارة عن سلسلة من الكلمات عن تفكير كامل"[1].

ولقد عدها محور الحياة الاجتماعية والفكرية والوجدانية؛ لأنها وسيلة للتعبير والتواصل ونلفيه في هذا السياق يقول:"ربما كان الناس يعرفون منذ زمن بعيد أن كل شيء يفكرون فيه، فتفكيرهم فيه يمر من اللغة، وربما كانوا يعرفون أن ما يحسون به وما يستشعرون هو أيضا يتجلى من خلال اللغة "[2]، فهذه الظاهرة الإنسانية قد لازمت الوجود البشري منذ نشأته، فالإنسان يعبر عما يجول بخاطره وبذهنه بواسطة لسانه، باعتباره المحرك الفعلي في كشف خبايا الأفكار وعرضها فالفكر فعل، والبناء فعل، ونقول أن اللغة فعل والفاعل فيها هو اللسان، وفي كل أمة بحسب اصطلاحهم، وقد عبر **ابن خلدون** عن هذه الحقيقة بقوله:"اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة هي فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة

[1]– ينظر:عبده الراجحي ،**فقه اللغة في الكتب العربية** ،ص:77.79.

[2]– عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:09.

متقررة في العضو الفاعل، وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم "[1] فبعد اليقين بوعي الإنسان واستشعاره لأفكاره وتعبيره عنها بملكته اللغوية، بات التساؤل في طريقة تفكيرنا إزاء اللغة البشرية، هذه الأخيرة التي تفترض وجود العقل من حيث هو":أداة كلية يمكن أن تستعمل في كل أنواع المناسبات "[2].والسؤال المطروح هنا هو:هل ينظر إلى اللغة على أساس أنها لغة لا تقف وظيفتها على تحقيق التواصل؟

إذا كانت الحقيقة كذلك فإنه لا يمكن معرفة الوجود والأشياء ، لأن"اكتشاف أسرار اللغة هو الذي يعيننا على اكتشاف أسرار الأشياء في الوجود وكل الوجود .ليس ما نقوله جزافا وليس من البدع ولا هو من طفرات الذات الحالمة، وغير مجد لنا أن نظن بأنه من تيه العقل إذا عقل وإنما هو تبصرة بالذي تدركه النفس ويعز عليها أن تظن به لأنه من خالص جوهر العلم "[3] .

إذا حاولنا أن نستجلي كوامن هذه الفقرة، فإننا نستثمر الكثير من الدلالات والمعاني الموحية على أسرار اللغة الإنسانية، وما يكتنفها من لبس وغموض، فنحن نعرف أننا نفكر، ونحس من خلال اللغة، ولكن الذي لم يستقر في الأذهان حتى الآن هو أن معرفة الوجود والأشياء يقف على اكتشاف أسرار اللغة، لذلك يؤكد المسدي أن معرفة نفسك هدفا ومبلغا بعيدا لاتتم إلا بالخروج من طور الحقيقة الذاتية إلى طور الحقيقة العلمية، وهذا يؤكد أهمية اللغة بانتقالها من الذات إلى مستوى الاصطلاح أو التداول وهو مستوى اللغة، ولقد عرف عند البعض بـ"الفضاء الداخلي للغة "[4]، وذلك لتحقيق التواصل والدراسة العلمية على مستوى التداول، والمسافة الموجودة بين الحقيقة الذاتية والحقيقة العلمية هي حلقات تسلسلية لا يمكن القفز على إحداها "شأنها في ذلك الحساب

---

[1]– ابن خلدون ،عبد الرحمان،**مقدمة** ،مؤسسة الأعلمي ،بيروت ،ص:546.554.

[2]– سليفان أورو ،جاك ديشان ،جمال كولوغلي،**فلسفة اللغة** ،ط1،تر:بسام بركة ،مراجعة ميشال زكرياء ،بيروت تموز"يوليو"،2012،ص:308.

[3]– عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:09.

[4]– G.Genette : figures I ,Edition du Seuil,paris, 1966, p 209

،يستحيل عليك أن تقفز على حلقة من حلقات سلسلة دون أن تضطرب بك المسيرة"[1]، وهذا من سمات العلمية وعلى هذا الأساس فإن اللسانيات أسست جملة من المعارف، النظرية والتطبيقية وأصبحت في حقل البحوث الإنسانية تحتل منزلة استثنائية بلا مجادلة، فهي في وقتنا الراهن، كمن ينوه بالرياضيات أو الفيزياء أو علم الفلك، ولقد نالت الشهرة باعتمادها الدراسة العلمية للغة"فاستوعبت علوم الإحصاء وقواعد الإخبار وتقنيات الاختزال الآلي حتى أرست بمركبتها على ميناء المعلوماتية واتخذت مشروعيتها المطلقة في مجال الذكاء الاصطناعي "[2]، ولقد أسهمت كعلم إنساني لغوي حديث في بناء المعرفة العلمية "فكل العلوم تلتجئ في مناهج بحثها وفي تقدير حصيلتها العلمية إلى اللسانيات وإلى ما تتجه إليه من تقديرات علمية وطرائق الاستخلاص"[3].

والحاصل أن غاية ما بوسعنا أن نثبته تجسيد المسدي لعلاقة اللغة بالمعرفة العلمية، التي تكون وفق تطور اللغة من المعرفة بالنفس وهو"طور الحقيقة الذاتية إلى طور آخر وهو طور الحقيقة العلمية "[4]، وهو الجزء الخارجي في هذه العملية وهذا مرده بحسب المسدي إلى أن العامل الزمني أضحى ملابسا للعقل وعاملا مسهما في تطويره؛ أي أن تطور العقل البشري عبر المراحل الزمنية هو الذي أسهم بانتقال اللغة من طور الحقيقة الذاتية إلى تطور الحقيقة العلمية باعتبار أن اللغة ظاهرة إنسانية "لها كل مميزات الوجود الموضوعي الذي لا ينغلق منه شيء على سؤال العقل"[5]؛ لأن العقل أصل التفكير والتدبر، والفكر محرك اللغة.

2/ التوليد اللغوي في اللسان العربي:إن اللغة شأنها شأن كل اللغات تنمو وتتطور وتتولد فتموت بعض ألفاظها، وتولد بعض الألفاظ حسب حاجات الإنسان، ومحيطه الاجتماعي والثقافي،

[1]–عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:10.

[2]– المرجع نفسه ،ص:12.

[3]– المرجع نفسه،ص:10.

[4]– المرجع نفسه ،ص:10.

[5]– المرجع نفسه،ص:10.

وحتى السياسي والجغرافي...وقد عبر الدارسون اللغويون عن هذا التطور وأجملوا عوامله في أمرين اثنين:[1]

أ. عوامل خارجية:تتعلق بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية والنفسية، فاللغة هي الصورة اللفظية والكتابية لأنشطة الحياة ومعانيها وأنماط السلوك والعادات التي تتألف لتشكل ملامح المجتمع البشري.

ب. عوامل داخلية:وتتعلق بطبيعة اللغة ذاتها وبنيتها، وتطورها الذاتي عبر العصور، وما يتولد عنها من ألفاظ لها جذور من أصل اللغة، وما يدخلها من ألفاظ نتيجة احتكاكها أو مجاورتها للغة أخرى، فما من خروج عن قواعد عرفية متفق عليها جماعة ومتعارف عليها في زمن معين إلا وراءها قيمة تعبيرية تحتاج إلى استجلاء وكشف خصوصيتها .

"وبديهي أن المدلولات سابقة لدوالها في الزمن لذلك كانت الألفاظ وليدة للمعاني في أصل نشأتها، فإذا استقرت في الاستعمال وتواترت أصبحت المعاني وليدة للألفاظ بحكم التقدير والاعتبار "[2].

إن توليد المعنى يحتاج إلى توفير لفظ يعبر عن هذا المعنى، وفي اللغة العربية مرونة ذاتية وقدرة عالية على توليد الألفاظ والأساليب بما يواكب متطلبات العصر، ونتيجة لهذه المرونة يسعى التوليد اللغوي إلى كثرة معاني الحروف وتنوع مباني الجمل وتعددها.

"ومع اتفاق اللغويين على أهمية التوليد اللغوي، فإننا لا نجد اصطلاحا موحدا ، ويخلص المتتبع لأبحاثهم إلى أن حديث أكثر اللغويين عن التوليد اللغوي يأتي عرضا أو مجملا ضمن مباحث ثلاثة هي:نمو العربية وتطورها ،ووضع المعجمات العربية ،والتوليد الدلالي والمولد"[3].

---

[1]–ينظر :الشريف ولد أحمد محمود ،**وسائل نمو اللغة العربية** ،مجلة علوم اللغة ،القاهرة ،دار غريب مجلة11،العدد1،ص:127.128.

[2]–عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:64.

[3]- الكرملي أنستاس،**نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها**،المطبعة العصرية بالفجالة،القاهرة ،1938،ص:96 .97.

وقد بدت نظرة هؤلاء اللغويين مختلفة إلى التوليد؛ فمنهم من يرى أن التوليد اللغوي "هو ما يقوم على تحول اللفظ دلاليا، ومنهم من يشبه التوليد بالتصعيد، ويرى أن التوليد على نوعين الأول وهو صوغ كلمات جديدة لا عهد للعربية بها، ومثل لها باللامركزية والماهية والحيثية، والآخر وهو إسباغ معنى جديد على كلمة قديمة لم توضع له، ومثل لها بالقاطرة والمحرك والجريدة والهاتف ويقصد بالتصعيد قدرة اللغة على التجريد؛ أي تجريد الصورة المادية ونقلها إلى صعيد معنوي وطرقه التجوز والتوسع ومن أمثلة التصعيد (الروح والنفس والعقل)، وهي ألفاظ انتقلت من الحسية إلى التجريدية "[1]، ومنهم من حصر التوليد في أربع آليات هي الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب وهذا ما نجده عند **المسدي**.

لقد أدرك **المسدي** أن من خصائص العربية قدرتها على التطور والنمو وذلك باستخدام طرائق عديدة يعتمد عليها في توليد مصطلحات وتراكيب لغوية جديدة للتعبير عما يستجد من حاجات ومفاهيم في الساحة اللغوية وفي هذا السياق يقول :"وفي سياق هذه الطرائق يرد استعراض الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب، أما محط الإشكال ممكن الاستغراب، ففي تقديم هذه القضايا على مستوى نوعي متجانس، وكأنها متماثلات، بل كأنما هي بدائل في وضع مصطلح تتوازن في نوعيتها وتتفاضل في إجرائها على نهج التوليد الدلالي"[2] ، ولقد أدى هذا التعدد في تصور وضع المصطلح إلى خلق لغات علمية عربية عديدة قائمة الذات.

إن هذه الآلية المعروفة بالتوليد اللغوي، تعد الركيزة التي يعتمد عليها واضعوا المصطلحات والألفاظ، فهي تسمح بتوليد مختلف الألفاظ والمصطلحات بهدف إثراء رصيد اللغة العربية "فهي من أهم الآليات التي تفرزها اللغة لسد حاجات مستعمليها عندما يواجهون المفاهيم المستحدثة آلية التوليد التي يصنفها علماء اللسان إلى توليد لفظي وتوليد معنوي، وفي كلتا الحالتين تنبثق

[1]– ينظر :فريحة أنيس ،**نحو عربية ميسرة** ،دار الثقافة ،بيروت ،1955،ص:14.15.

[2]– عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:54.

دلالة تشق طريقها بين الحقول المترسخة في مصفوفة الخانات المخزونة لدى أهل تلك اللغة حتى تجد مستقرها بين زوايا المنظومة القاموسية"[1]، والرسم الموالي يوضح ذلك:

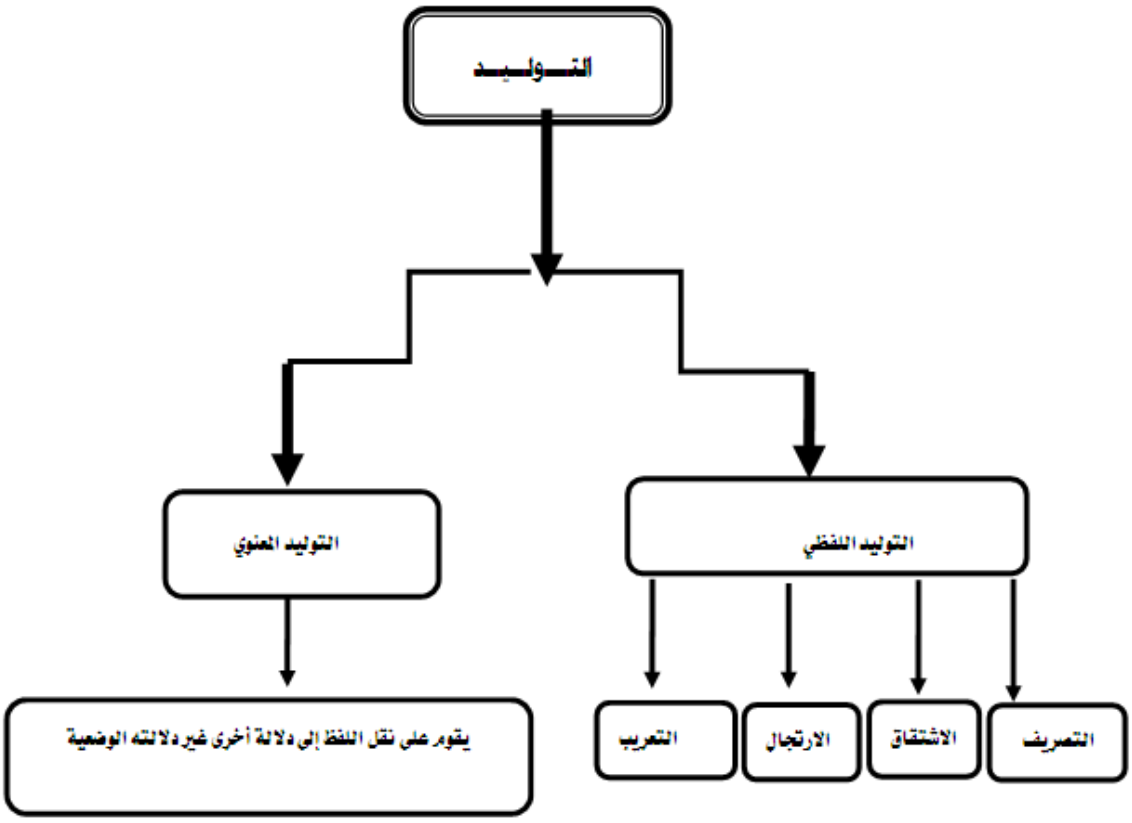

شكل يوضح أنواع التوليد

"فالمصطلح يبتكر فيوضع ويثبت ثم يقذف في حلبة الاستعمال فإما أن يروج فيثبت، وإما أن يكدس فيمحى، وقد يدلى بمصطلحين أو أكثر لمقصود واحد، فتتسابق المصطلحات الموضوعة وتتنافس في سوق الرواج ثم يحكم الاستعمال الأقوى فيسبقه، ويتوارى الأضعف"[2]؛ فمعنى هذا أن توليد المصطلح ووضعه متوقف على مدى انتشاره في استعمالات المتكلمين" لتصبح معالجة التوليد رصدا للإمكانات الإبداعية لدى المتكلم، وعلى هذا الأساس فإن جدلية المصطلح انبنت على خصوصية الاستخدام اللغوي؛ وهذا ـ لا شك ـ دليل على التفاعل المستمر بين اللسان **La**

[1]- عبد السلام المسدي ،**المصطلح النقدي وآليات صياغته ،علامات (كتاب نقدي يصدر عن نادي جدة الأدبي الثقافي)** المملكة العربية السعودية ،المجلد الثاني ،الجزء الثامن ،1993،ص:65.

[2]–عبد السلام المسدي،**مباحث تأسيسية في اللسانيات**،ص:54.

langue وبين الكلام **La parol**، ومعنى ذلك أن من يقرر حياة المصطلح هو الاستعمال وليس الوضع لأن المصطلح الذي يلقى القبول والاستعمال من قبل مستعمليه هو الذي يحظى بالبقاء والاستمرار؛ فكل مصطلح يستعمل ينمو ويكبر وكل مصطلح يهمل يصغر ويضمر"[1] .

ومن المفيد هنا أن نذكر الشعار الذي رفعه **وتكنشتاين** wittgenstein " لا تبحث عن الكلمة بل ابحث عن استعمالها"[2].فاللغة دائما في محاولة الوصول إلى توازن في حاجة إلى من يعطيها دلالة جديدة لتعود بها إلى الحياة مرة أخرى، بألفاظ فيها ربما تبقى ساكنة لفترة معينة حتى تصادف كاتبا أو عالما ليعيدها إلى الحياة بدلالة جديدة وأحيانا تتم هذه العملية بصورة تلقائية وأحيانا بطريقة منظمة، لربما قد يكون الهدف من محيها التخلص من الكلمات الأجنبية الدخيلة أو سد نقص ما تقترضه العلمية ، كما يمكن أن تنقرض بعض الألفاظ وتموت فتنساها اللغة، وكل هذا يدل عند (حلمي خليل) على أن "المعنى يلعب دورا هاما في بناء كلمة ما واستمرارها أو اختفاء كلمة أخرى وانقراضها، ذلك لأن القيمة الحقيقية للكلمة تكون بمقدار ما لدلالاتها من عموم وشيوع في المجتمع، ومن مرونة في الإحاطة بأكبر عدد من الصور الجزئية والتفاصيل المختلفة التي تدخل في نطاق هذه الدلالة، بحيث تسعف المتحدث في المناسبات التي يحتاج إليها ...تدل على معقول أو متصور"[3]، وبذلك تتضح الغاية من البحث والأسس التي ينبني عليها مشروعه، وهي إعادة صياغة المفاهيم الدلالية بطريقة تستجيب لمعطيات العصر ومقتضيات البحث العلمي الحديث ولا بد من إقامة ميزانية إخبارية لتحديد مظاهر المفارقة وعوامل الانفصال، الظاهرة والخفية القائمة بين التصورات السائدة والمعرفة اللسانية المتطورة.

---

[1]- زهيرة قروي ،**الاصطلاح اللساني بين مرجعية التراث وطموح الحداثة** ،مجلة العلوم الإنسانية ،مجلد ب،عدد43،جوان 2015،ص:117.

[2]- جون لينز ،**مقدمة في علم اللغة النظري** ،ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة ،و آخرون ،كلية الآداب ،جامعة البصرة 1980،ص:23.

[3]– عبد السلام المسدي ،**اللسانيات من خلال النصوص**،ط2،الدار التونسية للنشر،1986 ،ص:89.

3 اللسانيات وتعليم اللغات

إن ما يهدف المسدي في هذه القضية اللغوية هو تبيان علاقة اللسانيات بتعليم اللغات في توظيف المنهج العلمي، لأن تعليم اللغة بوصفها ممارسة بيداغوجية هدفها تأهيل المتعلم لاكتساب مختلف المهارات اللغوية، ومن ثم لا يستقيم لها أمر إلا إذا ارتكزت على الحصيلة العلمية للنظريات اللسانية والنفسية والاجتماعية لكونها تسعى في جوهرها إلى إيجاد التفسير العلمي لكثير من العوائق التي تعيق الممارسة الفعلية للحدث اللغوي لدى المتكلم ولقد حاولنا الوقوف في هذا الجانب على ما يمكن إدراجه ضمن الإجابة عن السؤال الآتي:

كيف تستنير هذه التعليمية من وجهة المسدي بما تمده اللسانيات من معارف علمية حول طبيعة الظاهرة اللغوية ؟

"إن الملاحظ أن الدراسات العربية قد أخذت حظا ملحوظا من ثمار اللسانيات، غير أن حظها في الجانب النظري أوفر منه في الجانب التطبيقي، مما يدفع الباحث اللساني إلى الحكم بحدود الدراسات النظرية ما لم تستغل في وصف لغوي جديد ويكاد اللغويون اليوم يسلمون بداهة بضرورة إعادة وصف اللغات عموما، حتى تتكشف نواميسها الخفية من جهة وتخلص مقاييس تلقينها وبلورتها من كل سمة اعتباطية أو معيارية من جهة أخرى"[1]؛ فاللسانيات النظرية ما فتئت تقدم الأدوات المعرفية لنظرية تعليم اللغات ، وهذا ما تم استخلاصه من كتابات المسدي حول هذا الموضوع ، فقد اقتنع بأن ما انتهى إليه كوردير يحقق ثمرة أساسية لذلك وفي هذا السياق يقول:"وأخيرا يضيف كوردير أن بين أيدينا زادا ضخما من المعارف المتعلقة بطبعة الظاهرة اللغوية، وبوظائفها لدى الفرد والجماعة وبأنماط اكتساب الإنسان لها، وثمرة أبحاث اللسانيين في هذا المضمار لما يتأكد اعتباره عند صوغ البرامج التعليمية التي موضوعها اللغة وعلى معلم اللغات أن يستنير بما تمده به اللسانيات من معارف علمية حول طبيعة الظاهرة اللغوية "[2].

[1]–عبد السلام المسدي ،**اللسانيات وأسسها المعرفية** ،ص:135.

[2] –عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:188.

"ولذلك فإن الإفادة من النظرية اللسانية في مجال تعليم اللغات يؤدي إلى تقاطع منهجي اللسانيات العامة وعلم النفس التربوي من جهة، وطرائق التلقين البيداغوجي من جهة أخرى، وفي ظل هذه التوأمة المنهجية يتحدد الإجراء التطبيقي للسانيات التطبيقية إذأنه يتمحور حول مباحث تتعلق بثلاثة عناصر أولية المعلم والمتعلم وطريقة التعليم"[1]، ولكن بشرط أن لا نربط بين اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة بطريقة آلية، "إذ من المشارب الأخرى ما يضطلع أهله بمهارات علمية للغة فيها أثر كلي، ومعارفهم الحاصلة تعين على فض المشاكل الناجمة ومن هؤلاء :المختصون بعلاج عاهات الكلام، والمهتمون بدرس الخطاب الفني وعلماء المواصلات "[2].

وفي ظل الاهتمام باللغة، فإن معلم اللغة للناطقين أو لغير الناطقين بها يستخدم النظرية اللسانية لا بطبيعة استلزامية، ولكن يستعملها بما يقتضيه الدرس، وتعليم اللغات اختصاص قائم بذاته وليس جوهر متضمن في اللسانيات التطبيقية إلا أن اللسانيات المعاصرة قامت على مبدأ الشمول المعرفي "فاقتحمت حوزة الاكتساب :ما اتصل منه باللغة ذاتها وما ارتبط بالمعرفة والإدراك جمة"[3]، وما سمح للسانيات بولوج حقل اكتساب اللغة من منظور المسدي ثلاثة أشياء:[4]

1. ازدهار اللسانيات التطبيقة في حقل تعليم اللغات سواء عند تلقين الطفل قوانين لغته التي اكتسبها بالأمومة أو عند تعليم اللغة لغير الناطقين بها .
2. بروز علم النفس اللغوي، وهو فن ظهر ضمن أفنان اللسانيات العامة ويدرس كيف تطفو مقاصد المتكلم ونواياه على سطح الخطاب في شكل إشارات لسانية تنصهر في اللغة .كما يدرس سبل توصل المتقبلين لذلك الخطاب إلى تأويل تلك الإشارات، فهذا العلم يعكف أساسا على عمليتي (التركيب والتفكيك)، وكيف تلابسان الحالة التي يكون عليها كل من

[1]– أحمد حساني ،**مباحث في اللسانيات** ،ص:17.18.

[2]–عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:188.

[3]– المرجع نفسه ،ص:189.

[4]– ينظر :المرجع نفسه ،ص:189.بتصرف.

الباث والمتقبل، ولقد اتسع هذا العلم ، فتحدد موضوعه بدراسة ظاهرة الكلام كيف تنشأ لدى الباث وظاهرة الإدراك كيف تتحقق لدى المتقبل.

3. بروز علم التحكيم الآلي(السيبرنتية) وهي الطرق التي تدرس تفاعلات الكلام، وطرق اكتسابه.

"وهكذا غدا طبيعيا أن تعكف اللسانيات على قضايا اكتساب اللغة وحصول الكلام فعملت على ربط مراحل هذا الاكتساب لدى الطفل بمراحل نشوء اللغة أصلا ، وحللت بوادر عملية التواصل الكلامي من مستوى الإدراك الشمولي إلى مستوى التقطيع المزدوج، وفسرت مرور الطفل بالمرحلة العلامية، وهي المرحلة الإشارية السيميائية، قبل بروز العلامة اللسانية ودققت تراكم المخزون الصوتي فالنحوي فالمعجمي"[1] .

إذا حاولنا أن نستقرأ كوامن هذه الفقرة فإنه يمكن القول أن قاعدة التحليل السيميائي تكمن في العلامات، هذه الأخيرة تعد أول مرحلة يمر بها الطفل، والعلامة السيميائية تكون قبل بروز العلامة اللسانية، ولقد أشار "إمبرتو إيكو"لهذه المسألة، وهي مسألة العلامة السيميائية قبل بروز العلامة اللسانية بقوله:"فما تدركه العين هو علامات وليست موضوعات معزولة ، والعالم تسكنه العلامات وليس خزانا للأشياء ...فالمعنى داخلها يستدعي استحضار التجربة الثقافية كشرط أولي للإمساك بممكنات التدليل ...يحق لنا الاعتقاد إذن أن هذه العلامات هي لغة مسننة أودعها الاستعمال الإنساني قيما للدلالة والتمثيل ، فهي في جوهرها خاضعة لمبدأ التواضع (La convention)."[2]

[1]– المرجع السابق، عبد السلام المسدي ، **مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:196.

[2]– إمبرتو إيكو ،**سيميائيات الأنساق البصرية** ،تر: محمد التهامي العماري ،محمد أودادا ،تقديم :سعيد بن كراد ،ط1،دار الحوار والتوزيع ،سوريا ،2008،ص:10.

"إن الاكتساب والتحصيل من المواضيع المبدئية في الدراسات الإنسانية قاطبة هو من القضايا المعرفية ذات الطابع الشمولي ،سواء في توفيره نموذج تقاطع الاختصاصات واشتراك المعارف أو في اتصاله بقضايا التنظير التأسيسي والمواصفة التطبيقة في آن معا"[1].

وأول ما يعكف على قضية الاكتساب من حيث طرقه الاختبارية ووسائله العلمية علم التربية فلقد نوه المسدي إلى فضل العالم اللساني **عبد الرحمان الحاج صالح** في لفت انتباه المؤسسة التربوية إلى أهمية اللسانيات وفي هذا السياق يقول:"لقد كان للعالم اللساني عبد الرحمان الحاج صالح الفضل في لفت انتباه المؤسسة التربوية في الوطن العربي إلى أهمية اللسانيات وتطورها في بلورة رؤية تعليمية جديدة تطور بها آليات تدريس اللغة العربية "[2]؛ فقد أكد الحاج صالح رحمة الله عليه ضرورة الإلمام بما جد في صعيد البحث اللساني ،حيث أنه لا يمكن لمدرس اللغة اليوم، أن يجهل ما أثبته العلم في عصرنا الحاضر من حقائق وقوانين، ومن معلومات مفيدة ومناهج ناجعة في التحليل اللغوي "فاللسان البشري يمكن أن تحلل عناصره الصوتية بآلات إلكترونية لتشخيص أنواع الأداء الصوتي بمقاييس موضوعية وأيضا يمكن أن ترتب وتحصى بالرتابات (الأدمغة الإلكترونية) جميع ما يرد في نص من النصوص مفرداته تراكيبه ومواده الأصلية، وأبنيته، وسياقاته، وقد أدى ذلك إلى اكتشاف علاقات ثابتة بين العناصر اللغوية لفظا ومعنى ، ويمكن أن تصاغ صياغة رياضية"[3]، لذلك يمكننا أن تعتبر بأن الدراسة اللسانية عامة تمر بمراحل ثلاثة:[4]

- الدراسة الصوتية :وتقوم على محاولة الإلمام بهيكل اللغة الصوتي سواء من الناحية الفيزيائية أو من الناحية الدلالية .
- دراسة الكلمة :من حيث بناؤها، واشتقاقها وخطوط مسالكها في الاستعمال، وهو جانب من الدراسة تزدوج فيه الصيغة المعجمية بالصيغة الصرفية .

[1] –عبد السلام المسدي ، **مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:190 .

[2] –المرجع نفسه،ص:198.

[3] –عبد الرحمان الحاج صالح،**بحوث ودراسات في علوم اللسان** ،ص:181-182.

[4] –عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:198.

- دراسة الكلمة مؤلفة مع غيرها في أصغر صورة من صور التعبير وهي الجملة، وتعني هذه الدراسة بكل ما يطرأ على الجملة من حالات تركيبية كما تعنى بأحوال أجزائها الرئيسية لتنتهي إلى تقديرات الجملة من حيث هي كل.

وفي الأخير يمكن القول أن نجاح خطط تعليم اللغات بحسب ما استخلصه (كوردير)متوقف على كل الأطراف :أولها المجتمع ممثلا بالسلطة التربوية، ثم عالم اللسانيات التطبيقية على أن "الطرق المتبعة في تعليم اللغات بالتطبيقات النظرية اللسانية ردحا من الزمن ...تتفطن للمتعلمين كعنصر هام في العملية التعليمية فتوليهم أهمية يتجلى أثرها فيما يستنبط من أغراض متعلقة بتحليل حاجات المتعلمين وباختيار المحتوى المطابق لاهتماماتهم وباتباع تدرج في التعليم يوافق الخطة التي يسلكها التعلم"[1].

4 الزمانية والآنية:إن اللسان في نظر سوسير هو واقع قائم بذاته من جهة ، وتطور تاريخي من جهة أخرى، في ظل هذا التصور للسان ،يمكن لنا التمييز بين النظام اللساني الآني؛ أي اللسان في حالة زمنية محددة وبين تاريخ هذا النظام ، الأمر الذي جعل دي سوسير بين دراستين لغويتين :[2]"

الأولى التعاقبية:وهي تعني طريقة لدراسة اللغة من خلال وصف تطورها التاريخي؛ أي وصف التطور التاريخي للعلة اللغوية عبر الزمن، وملاحظة هذا التطور الذي لحق بها عصرا بعد عصر، وزمنا بعد زمن حتى اكتشاف الحالات التي خضعت لها ، وسهلت وصولها إلى الشكل التي تتخذه حاليا استنادا إلى أقدم الوثائق المتوفرة؛ أي أنها تعالج الموقف اللساني في لحظة بعينها من الزمن، أما الثانية فهي التزامنية :وهي الدراسة القادرة على تفسير صيرورة اللغة في حالتها الحاضرة، لأنها قادرة أن تشرح الظواهر التي تتصل بهذا الشكل اللغوي أوذاك، ولأنها

[1]– عبد السلام المسدي ،**اللسانيات من خلال النصوص**،ص:157.

[2]–جرجس ميشال جرجس،**المدخل إلى علم الألسنية الحديث** ،ص:72.74.

تتناول الجانب السكوني في اللغة وليس الجانب المتحرك فيها؛ أي أنها تتناول حالة لسانية لا علاقة لها بالتطور التاريخي لهذه الحالة .

إن هذه الثنائية اللسانية تشكل قسما هاما في البحث اللساني المعاصر، ولذلك نجد المسدي قد تحدث عنها في مواطن كثيرة من كتبه، وأوضح المفاهيم حول العلاقة بينهما ونلفيه في هذا السياق يقول:"إنه من المفيد في هذا المقام التذكير بأن المنهج الآني الذي قامت عليه اللسانيات المعاصرة وتولد عنها بموجبه المنهج البنيوي ليس إلا مصادرة من المصادرات، هو مصادرة منهجية في البحث لأن الآنية في حقيقة أمرها لا تنفك عن الزمن ولكنها تستند إلى زمن افتراضي يرمز إليه بنقطة على المحور الزمني المتعاقب، إلا أن حيز هذه النقطة قد يكون يوما أو سنة أو عقدا أو قرنا أو عصرا من العصور، فالآنية ليست إقرار بالزمن ولا نقضا له، وإنما هي استيعاب للأبعاد الزمانية في تجمعها، فهي تعكس المنطق الصوري للأحداث، لأن الزمانية تبدو متركبة من سلسلة نقط الآنية؛ أي أن الزمانية تحتوي الآنية فإذا بالآنية تستحيل منهجا مستوعبا لأبعاد الزمانية بمقتضى أنه يدرك الحواجز التطورية فيصهر التعاقب في بوتقة التواجد"[1] .

إذا حاولنا استقراء هذه الفقرة فإننا نلفي المسدي يلم بتكامل الثنائيتين، ويوضح كيف أن الزمانية تحتوي على الآنية موضحا ما في الآنية من دلالة زمانية، ففي ظل واقع لغوي متغير بتغير الحياة الاجتماعية يصبح التمايز اللغوي الحاصل من هذه التغيرات بدوره محطة أخرى للدراسة التاريخية المقارنة، بحيث يقتضي كل طرف من هذه الثنائية منهجا علميا مناسبا للدراسة اللسانية موضوعيا ومنهجيا، إذ بمقتضى هذه الثنائية تكون التزامنية (التعاقبية) حصيلة لتراتب الآنيات بما يجسد مبدأ التغير اللغوي مع مرور الزمن، وهذا ما عناه المسدي بقوله(الزمانية تبدو متركبة من سلسلة نقط الآنية)، وعليه فإنه كلما كانت هذه الآنية أكثر انحصارا زمانا ومكانا كانت مظاهر التغيير

[1]– عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:184.

أقل حدوثا، وكلما طالت ازدادت وتراكمت بحكم توالي التغيرات والتبدلات في أداء الأفراد وانتشارها في الاستعمال بحكم التداول الاجتماعي.

"فإذا كانت الزمانية تحاول التوسل بالزمن الطبيعي ...وكان النحو يتوخى سبيل الزمن اللغوي الذي تترتب بحكمه أجزاء الكلام في غير تطابق ضروري مع منطق الزمن الطبيعي .فإن مقولة الآنية تستند إلى الزمن التقديري الذي هو زمن افتراضي لأنه زمن منهجي لاغير "[1]

والزمن التقديري في هذا الضرب هو لب الفكرة البنيوية ولكن سيظل ناقصا إلا إذا التحق مع الزمن الطبيعي التوسل به وعلى هذا الحد يحدث التصاهر الأولي فيما بين اللسانيات والبنيوية .

"غير أن اللسانيات في نمائها وسعيها إلى الاكتمال كأنما أدركت نسبية القيم في تعارض المقولتين بل كأنها أدركت أن الزمانية (قضية)، وأن الآنية (نقيضة)، فأحست بأنها مدفوعة إلى البحث عن التأليف حسب الثلاثية الجدلية، فالزمانية قد أخفقت في مشروعها المعرفي يوم اختطت لنفسها غاية ابتعاث اللغة البشرية الأم من غيابات الوجود الماضي، والآنية قد أنكرت الزمن وتجاهلت فعله فأمهلها ثم غافلها حتى أظهرها على تناقض أمرها وعندئذ بدأ منعرجها إلى المأزق المعرفي"[2].

5 بين المعرفة الموضوعة واللغة المحمولة:

إن الوضع والحمل ثنائي " مفهومي يبسط تلقائيا معضلة تحويل مادة العلم إلى موضوع للمعرفة وبين طرفي الوضع والحمل تقوم كل عملية تفسيرية يشرح فيها الموضوع بالمحمول على حد ما يشرح المسند في علم التركيب اللغوي المسند إليه ، إذ يخبر عنه ويتم له الدلالة"[3].فإنشاء خطاب جديد على الخطاب الأصلي هو ما يعرف بالوضع والحمل.

[1]– المرجع السابق، عبد السلام المسدي، **مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:184.

[2]– المرجع نفسه ،ص:185.

[3]– المرجع نفسه ،ص:33.

فالمحمول عند المسدي هو بالضرورة خطاب لغوي، وفي هذه الضرورة إشكال إذا كان الموضوع في حده هو خطاب لغوي، فما هي صياغة الحامل على المحمول في هذه الحالة؟

"فإذا كان الموضوع ذاته خطابا لغويا فإن صياغة المحمول عليه تنشئ خطابا حول الخطاب فتشتق لغته من لغة فتكون لغة محمولة على لغة موضوعة...وبأن القراءة صوغ لمقال دون من حيث ينشد به انبعاثه باللفظ الحاكي عبر الخط الرامز :

فالكتابة بنية مقولة قائلة ،والقراءة بنية قائلة عن بنية مقولة .

الكتابة خطاب مسند إليه ،والقراءة هي الخطاب المسند .

الكتابة نص بالوضع الأول ،والقراءة نص بالوضع الطارئ

القراءة بنية حاكية ،والكتابة بنية حاكية ومحكي عنها .

فكل كتابة هي لغة موضوعة ،وكل قراءة هي لغة محمولة"[1] .

ويرمي **عبد السلام المسدي** من هذا التحليل إلى أن كل مدونة في البحث اللغوي هي البنية القائمة أي اللغة الموضوعة، وأما الاستقراءات المستخلصة من هذه المدونة هي البنية المشتقة أو الخطاب اللساني الذي ننتجه.

فخطاب المتكلم باللغة وضع بذاته، وخطاب عالم اللسان حمل بغيره، وبين الوضع والحمل تكمن إشكالات معرفية متراكبة .كيف تتحول اللغة من أداة وظيفية إلى أداة تنظيمية ؟وإلى ماذا استند العقل في الانتقال من نظام معرفي إلى نظام علامي ؟

هذا السؤال ينحو بنا إلى الأنساق التي تحتكم في تفكيرنا لنستحضر في ذلك ما قاله كل من (جورج لا يكوف) و(ماركس جونس) على أن " جل التفاصيل التي نسلكها في حياتنا اليومية

[1]– المرجع السابق ،ص:33 -34.

نفكر ونتحرك أقل أو أكثر آلية، وذلك تبعا لمسارات سلوكية ليس من السهل القبض عليها وتشكل اللغة إحدى الطرق الموصلة إلى اكتشافها، ربما أن التواصل مؤسس على نفس النسق التصوري الذي نستعمله في تفكيرنا وفي أنشطتنا، فإن اللغة تعد مصدرا مهما للبرهنة على الكيفية التي يشتغل بها هذا النسق"[1].

وتتشكل اللغة في هذه الحالة طريقة موصلة إلى اكتشافها، وبذلك تتحول الكتابة باللغة الشكل ـ إلى قراءة في اللغة- تفكير. ويرى جان بياجيه أن اللغة " مؤسسة اجتماعية تحكمها نواميس مفروضة على الأفراد تتناقلها الأجيال بضرب من الحتمية التاريخية ،إذ كل ما في اللغة- راهن . إنما هو منقول عن أشكال سابقة هي الأخرى منحدرة من أنماط أكثر بدائية ،وهكذا إلى الأصل الأوحد أو الأصول الأولية المتعددة "[2].

ويفضي المسدي إلى القول بأن " منطقية العلاقة بين الدال والمدلول تتناسب تناسبا عكسيا مع طاقة النظام العلامي المعنى في الإبلاغ، فيكون معيار الاعتباط هو النموذج الأوفى المجدد للجهاز الإبلاغي، فكلما ثقلت كشافة التعسف الاقتراني في أي نظام إبلاغي نزع جهازه التعبيري إلى طاقته القصوى، فالشحنة الاعتباطية في كل حدث تواصلي هي المولد الدائم لسعة النظام الإبلاغي الذي فيه يندرج ذلك الحدث"[3].

6 قانون التجريد الاصطلاحي:

يعالج الباحث في هذا الباب مراحل نشوء المصطلح واكتماله ولقد عرف هذا الباب بمصطلح آخر وهو هجرة المصطلح من لغة إلى أخرى .فالمسدي يرى أن نشوء المصطلح يمر بثلاث مراحل وهي: مرحلة التقبل، ومرحلة التفجير ، ثم مرحلة التجريد، وفي هذا السياق يقول:"لقد أوقفنا النظر

[1]–جورج لايكوف، ومارك جونس ،**الاستعارات التي نحيا بها** ،تح:عبد المجيد جحفة ،دار توبقال للنشر ،المغرب ط1 1996،ص:21.

[2]– عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:36.

[3]– المرجع نفسه ،ص:41.

في تاريخ المصطلحات العلمية وخصوصيتها على ما يشبه القاموس المطرد ، وهو الذي سنسميه قانون التجرد الاصطلاحي، وبمقتضاه يمر المتصور الطارئ بمراحل ثلاث تتعاقب في الزمن وتترادف في الصيرورة .

فالمفهوم المستحدث يقتحم المجال الذهني السائد في المجموعة الاجتماعية التي يحولها الرابط اللغوي إلى مجموعة ثقافية حضارية، وبقدر قرب ذلك المفهوم من المتصورات الرائجة في منعطفات قاموس تلك المجموعة، يتيسر على اللغة استيعابه ضمن أحد حقولها الدلالية عبر ألفاظها"[1]؛ فالمرحلة الأولى من مراحل نشوء المصطلح تتمثل في التقبل؛ فالتقبل :يمثل تحول صيغة لغوية إلى مدلول تضعه الجماعة التي تستعمله لأجل الدلالة به على متصور رائج لديها ويبدأ بالتأرجح بين قبوله لدى هذه الجماعة من عدمه، ويكون هذا المفهوم غريبا عن اللغة حتى يتحول تدريجيا إلى مفهوم مألوف بعد كثرة استعماله وشيوعه ؛ مثل (الستيليستيك) "فأما المطرد مما يبلور قانون المراتب الاصطلاحية الذي نحن بصدد صياغته فأن يمثل الدخيل ـ عرب قالبه أم لم يعرب مرحلة أولى من مراحل التعامل بين المفهوم الطارئ والقاموس القاتم .

ذلك أن الاستخدام يكرس المدلول فيحتضنه ثم يشتد نفوره من اللفظ الدال عليه لقوة منزع اللغة وأهلها إلى حب البقاء وحب الإبقاء فيقوى الميل إلى فصل الدال عن مدلوله باستبقاء هذا ورفض ذاك"[2].

أما المرحلة الثانية فهي التفجير:الذي يراد به استحداث مفهوم جديد في لغة ما مما ينتج من ذلك النفور عن داله، أي النفور على سبيل المثال من الستيليستيك وتفكك مفهومه إلى مكونات عدة تقوده إلى وضع عبارة متعددة الكلمات؛ مثل (علم الأساليب الأدبية)، وفي هذا السياق يقول المسدي " عندئذ ينتج قانون صوغ المصطلح مرتبته الثانية بعد مرتبة التقبل الجملي معنى ومبنى، وتتجسم هذه المرحلة الثانية قي تفجير المصطلح وفرقعته لفصل مدلوله عن داله استشعارا بزوال

[1]– المرجع السابق، عبد السلام المسدي ، **مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:77.

[2]– المرجع نفسه ،ص:78.

الغربة القائمة في البدء بين المتصور المدلول عليه والناطقين باللسان المتقبل مع بقاء هذه الغربة بينهم وبين اللفظ الدال على ذلك المدلول .وتلتجئ اللغة في هذا المقام إلى عملية تحليلية يتفكك المفهوم الموحد بمقتضاها إلى أجزائه المكونة له فيقع التعويل على عبارة متعددة الكلمات فيها إطناب أدائي يسد خلل التوازن الذي طرأ بموجب انسحاب اللفظ الدال وبذلك تتخلى اللغة عن قانون الاقتضاء بما أن ناموسا أقوى منه تسلط عليها وهو قانون رفع اللبس الذي ترتهن به وظيفتها الإبلاغية"[1].

أما المرحلة الثالثة وهي مرحلة التجريد:الذي يلجأ فيه إلى إبداع مقابل عربي عن طريق القدرة التأليفية التي تتمتع بها اللغة العربية مثل (الأسلوبية) (stylistics)بدلا من علم الأساليب الأدبية "وفي نظر المختصين صوغ الكلمة المفردة للمصطلح ما أمكن أفضل، إذ العربية تميل في الأسماء والمصطلحات إلى الألفاظ المفردة، وأيضا فإن ذلك يساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة "[2] .ونلفي عبد السلام المسدي يتحدث عن المرحلة الثالثة من مراحل نشوء المصطلح فيقول:"وعندئذ تنتهي المرحلة الثانية من مراحل نمو المصطلح فيدخل مرحلته الثالثة والأخيرة وهي المرحلة الحاسمة ولنصطلح عليها بمرتبة التجريد وفيها يعمد العقل بقدرته التأليفية إلى اشتقاق الصورة الذهنية المتفردة في غير إسهاب تحليلي، فهذه المرتبة تتنزل إذن ضمن حركة التدرج الاختزالي الذي هو ثمرة تآزر اللغة والعقل والذي تعول فيه الظاهرة اللسانية على الطاقة الإيحائية وعلى القدرة التضمينية بصورة يصبح معها الجزء المذكور دالا على نفسه وعلى الأجزاء التي تم اختزالها ولذلك كثيرا ما يستقر من بين ألفاظ العبارة لفظا يحوصل مفاهيمها ليصبح هو المصطلح الدال على المجال الكلي، وقد يحل لفظ آخر محل العبارة فيعوض مداليلها جميعا"[3].وقد أكد **المسدي** أن التجريد مرحلة لا بد منها في الأبنية الاصطلاحية العربية.

---

[1] المرجع السابق ،ص:78.

[2] ينظر:شوقي ضيف ،**مجمع اللغة العربية في خمسن عاما** ،ط1،مطبعة المجمع ،مصر ،1984،ص:134.

[3] عبد السلام المسدي ،**مباحث تأسيسية في اللسانيات** ،ص:78.79.

تلك إذن مراحل الترقي نحو صوغ المصطلح التأليفي أولها تقبل ثم تفجير فتجريد.

خلاصة الفصل:

- إن المرجعية المعرفية للفكر اللساني عند المسدي، تكمن في الجمع بين الأصالة والمعاصرة، بين ما هو غربي وما هو عربي، بين اللسانيات التي عدها علم قيادي؛ أي أنها في مقدمة العلوم المتقدمة بحيثيات الإنسان والتي تقودها نحو العلمية والموضوعية وبين الركام المعرفي المتناثر في تاريخ الفكر العربي القديم، فبرأيه لا التمسك بالتراث وحده يمكن من إعلان الثورة اللغوية المنتظرة، ولا اللسانيات المتدفقة من الغرب لوحدها يمكن من إقامة عقل لغوي غربي أصيل ، فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصرا، لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر المعاصرة وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر العربي، والمطلوب هو أن نستوحي لنخلق الجديد سواء عبرنا الزمن لننشر عن العرب الأقدمين، أو عبرنا المكان لننقل عن الغرب.
- إن منهج المسدي في بحثه اللساني، هو ما يعرف بمنهج القراءة ، أو إعادة القراءة للتراث اللغوي العربي بكل ثقله المعرفي والمنهجي وفق ما تقتضيه الآليات اللسانية الحديثة، ثم إقامة المقارنات بين المعنيين، التراثي العربي واللساني الغربي ، لكشف مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما ، وبالتالي البرهنة على أصالة الفكر اللغوي العربي وتميزه.
- إن ما يميز منهج المسدي؛ محاولته توخي المنهج العلمي، عن طريق انفتاحه على المنطق الأرسطي، بالإضافة إلى انفتاحه على النظريات اللسانية الغربية الحديثة ومناهجها، بالإضافة إلى ما عرف به من معرفته العميقة للتراث اللغوي العربي.
- لقد كان للمسدي إضافات واضحة في الدرس اللساني العربي، من خلال المباحث اللسانية التي تطرق إليها في كتاباته وأعطى لها بعدا معرفيا جديدا .

الفصل الثالث

الجهود التأصيلية للمسدي في ضوء كتابه ـ التفكير اللساني في الحضارة العربية ـ

توطئة:

إن التراث اللغوي العربي جدير بالدراسة، بل يستحق مزيدا من الدراسات الدقيقة الشاملة "باتخاذ آلة البحث العلمي المتطورة من خلاصات مناهج البحث العلمي الحديث بصفة عامة ومناهج البحث اللساني الحديث بصفة خاصة، وقد تركز هذا النداء على شكل قناعات عند عدد من اللسانيين العرب وبخاصة في نهاية السبعينيات مرورا بالثمانينيات إلى أواخر التسعينيات من هذا القرن"[1] ولذلك سلكت الدراسات بناء على هذا المنظور اتجاهين :

1 قيام دراسات توازن بين المناهج اللسانية العربية الحديثة ،والتراث اللغوي العربي .

2 قيام دراسات أخرى تعالج التفكير اللساني في الحضارة العربية بصفة شاملة[2].

ويمثل الاتجاه الثاني **عبد السلام المسدي** الذي عد من أبرز الدارسين العرب الذي استطاع أن يتجاوز الأسس التقليدية للموازنة فقد استطاع بفكره الثاقب تفكيك بنية التراث الفكري العربي برؤية لسانية بنيوية ذات تحرك آني .فتمكن من تجاوز إشكالية السطحية التي غرقت فيها كثير من الدراسات اللغوية العربية في مطلع هذا القرن " واستطاع أن ينفذ إلى اللغة من حيث هي حدث منجز"[3]،"فاكتشف بتحليله تخلص الفكر اللغوي العربي في أعماقه من رقة المكتوب وسلطان المعيارية، وبين ارتقاءه إلى منزلته، وذلك ذروة الحداثة اللسانية"[4] .

إن **عبد السلام المسدي** لم ينكر فضل المحدثين في الإتيان بنظام جديد لدرس اللغة، لكن النظرة اليسيرة إلى هذا الوافد الجديد، تؤكد أنهم لم يزيدوا عما ذكره الأوائل شيئا سوى التنسيق والتنميق

[1]–سلمان عباس عيد ،**تقويم الفكر النحوي عند اللسانيين العرب** ،دار الكتب العلمية ،لبنان ،بيروت،1971،ص: 198.

[2]–المرجع نفسه ،ص:379.

[3]– المرجع نفسه ،ص:428.

[4] –عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:271.

فأما حقيقة البحث وجوهره بحسب رأي المسدي فهو قديم متأصل في القدم مأخوذ من أربابه من عباقرة اللغويين .

وفي مساق تأصيل هذه المعرفة الحديثة، أكد المسدي أن اللسان العربي قد درسه أهله الدرس المستفيض الذي أتوا فيه على كل خصائصه ودقائقه، درسوه وهم يؤسسون لقواعده وقوانينه حفظا له من التغير والانسلاخ عبر التاريخ ، درسوه وهم يستكشفون ما به من أسراره التي كانت قوائم إعجاز النص القرآني "فالعرب بحكم مميزات حضارتهم وبحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات قد دعوا إلى تفكر اللغة في نظامها وقدسيتها ومراتب إعجازها ، فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب بل قادهم النظر أيضا إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخرا، بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين "[1] ، وهذا ما سنلمسه في كتاب عبد السلام المسدي الموسوم بـ التفكير اللساني في الحضارة العربية.

التعريف بالمدونة ووصفها:

كتاب التفكير اللساني في الحضارة العربية، هو رسالة دكتوراه دولة تحصل عليها المسدي عام 1979 ، ثم طبعت إلى كتاب عام 1981 من الدار العربية للكتاب الطبعة الأولى ، ثم الطبعة الثانية من عام 1986، ثم الطبعة الثالثة عام 2009.

هذا الكتاب يقع في ست عشرة وأربع مائة صفحة ، مهد لها المؤلف بمدخل إلى حوافز البحث وغاياته عقد بعده ثلاثة فصول هي :الإنسان واللغة والمواضعة ومقومات الكلام ، في صدر كل فصل فصلين من التراث اللغوي العربي يتناولان أهم قضايا الفصل ، يعرض بعدها ست مسائل يندرج تحت كل منها عدد من القضايا الفرعية ،وينتهي الفصل بخاتمة فيها حوصلة ما تناثر فيه من فكر ثم تجتمع الخواتيم الثلاثة في خاتمة عامة موسومة (نحو إخصاب الفكر اللساني) فيها

[1]– عبد السلام المسدي، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:26.

خلاصة ما انتهى إليه البحث، وأعقبه بقسم سماه المؤلف الملاحق، فيه مصادر البحث ومراجعه العربية والأجنبية، وثبت بالمصطلحات العربية التي ورد ذكرها في البحث مع ما يقابلها في الفرنسية، ثم فهرس للأعلام ، وفهرسان لمحتويات البحث أحدهما تفصيلي والآخر عام ، والمتأمل في الصفحات الأولى من الكتاب يقرأ قول المؤلف:" هذا الكتاب مراهنة على مشروع حضاري فكري إذا تحقق تسنى للذات العربية أن تضع غدا علميا لها ولمن سواها وليس حظ الفرد من كل مشروع متعاظم ألاحظ الجزء النزير من الكل المتشامخ "[1]، وهذا الكلام من يرى أن في تراثنا زادا معرفيا ضخما يمكن أن يسهم في بناء الحضارة العربية أولا ودفع ركب الحضارة الإنسانية إلى الأمام ثانيا.يقول المصري عبد الفتاح منوها بمجهودات المسدي في كتابه الموسوم بـ (التفكير اللساني في الحضارة العربية):" ها هو ذا أحد هؤلاء اللغويين قدم إلينا واحدا من الكتب المنهجية التي نحن بأمس الحاجة إليها يسهم به في شق الطريق في مجال التراث اللغوي العربي ليسلكه غيره نيرا واضحا فيستطيع أن يصل فيه إلى غايته من إبراز لدور العرب في بناء صرح الحضارة الإنسانية في غابر الزمن وحاضره"[2] .

تأصيل قضايا لغوية في ضوء كتابه التفكير اللساني في الحضارة العربية

1 اعتباطية الحدث اللساني:

تمتاز العلامة اللسانية بخصائص أساسية استمدها سوسير**F.saussure** من جوهر طبيعتها التكوينية ، وأهمها خاصية الاعتباطية ، والتي تعني أن **Arbitrary**العلاقة بين الدال والمدلول في نظره هي علاقة عشوائية أو اعتباطية؛ أي أنها علاقة لا سببية، لا تعليلية " وترجع إلى السلوك الجمعي **collection behavoir** المستند إلى المواضعة **convention** التي تقف وراء

[1]– المرجع السابق،فرديناند دي سوسير ، **علم اللغة العام** ،ص:06.

[2]–عبد الفتاح المصري، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،مجلة الموقف الأدبي ،العددان 135-136- تموز أب،1982،ص:266.

إطلاق الأسماء على المسميات "[1]، ولذلك فإن الاعتباطية في العلامات اللسانية في نظر سوسير ـ" لا تعني أنها عائدة إلى اختيار حر يقوم به متكلم اللغة وإنما يعني بالاعتباطية أن الدال غير معلل؛ أي اعتباطي بالنسبة للمدلول الذي لا تربطه به أية علاقة في الواقع"[2]، فرب قائل قال:إذا كانت العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية فما الرابط الأساسي الذي يربط بينهما ؟يمكن في نظر دي سوسير الرد على هذا التساؤل بأن اللسان بوصفه نسقا من العلامات، هذا النسق هو الذي يضبط هذه الاعتباطية ويقوي مكانة الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول ويقدم سوسير مثالا توضيحيا للعلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول فيقول: "ففكرة الأخت sister لا ترتبط بأية علاقة داخلية بتعاقب الأصوات s,o,r التي تقوم بوظيفة الدال في اللغة الفرنسية فهذه الفكرة يمكن التعبير عنها باستخدام أي تعاقب صوتي آخر"[3] وعليه فإن النواة التصورية لمفهوم اعتباطية العلامة عند دي سوسير تكمن في الواقع في حقيقتها التواضعية، إلا أن دي سوسير يتحفظ في إطلاق هذا المبدأ على جميع العلامات اللسانية ، إذ يقول في هذا السياق :" إن اختيار الدال ليس دائما اعتباطيا، لكن هذه الدوال التي ترتبط ومدلولاتها عن طريق محاكاة الأصوات Les onomatopées ليست أبدا عناصر عضوية في نظام لساني فعددها أقل جدا مما نعتقده، مثل كلمة سوط Fouet، أو كلمة جرس Glas فهي وإن كان بإمكانها أن تصل إلى بعض الآذان عن طريق أصواتها الإيحائية ،إلا أنها لا تملك هذه الصفة في بنيتها الأصلية يكفي أن نعود إلى شكلها الاشتقاقي من اللاتينية فكلمة Fouet مشتقة منFAgus Hêtre وكلمة Glas من Classiscum لنعرف أن نوعية أصواتهم الحالية أو بالأحرى تلك المنسوبة إليهم هي نتيجة حتمية

[1]– كريم زكي **حسام الدين** ،**أصول تراثية في علم اللغة** ،ص:85.

[2]–ينظر :ميشال زكرياء ،**الألسنية (علم اللغة الحديث) ،مبادؤها وأعلامها** ،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت 1980 ،ص:183.

[3]– فرديناند دي سوسير ،**علم اللغة العام** ،تر:يوئيل يوسف عزيز ،دار الآفاق العربية ،بغداد ،(دت) ،ص:87.

للتطور الصوتي"[1]، وبالتالي فإن دي سوسير يؤكد على قوة مبدأ الاعتباطية أمام المحاكاة الصوتية.

ولقد تابع بعض الباحثين ما ذهب إليه **سوسير** ،فهذا **ماريو باي** يقول :" القيمة التي يدل عليها الرمز تتم بطريق التحكم والفرض، وأنه ليس هناك أي رابطة فطرية بين اللفظ ومدلوله ولو صح افتراض القائل بوجود علاقة فطرية بينهما لكان حتما أن يتكلم الناس لغة واحدة ...، اللغة المتكلمة إذن تعتمد على الاصطلاح والاتفاق الجماعي مهما قل عدد أفراد الجماعة اللغوية "[2].

إن هذه العلاقة التي عرض لها **سوسير** في لسانياته لم تكن غريبة على التراث اللغوي العربي بل كانت معروفة بشكل أو بآخر، وهذا ما عبر عنه **ميشال أريفية** بقوله:" إن اللغويين العرب قد أولوا دراسة اللغة أهمية بالغة وتوسعوا في تحليلها من منطلقات علمية واضحة وفق منهجية وصفية وتفسيرية، لا تبتعد عن التحليل عن المنهجية العلمية المتبعة حاليا في إطار النظريات اللسانية الحديثة"[3].

لقد وقف **عبد السلام المسدي** عند هذه القضية اللغوية ، وبين أن مسألة المواضعة في العلاقة بين الدال والمدلول قد عولجت بإسهاب في التراث اللغوي العربي ، فقد أصل لها وفق منهج القراءة المجردة أو ما يعرف بمنهج إعادة قراءة التراث أو المنهج الإحيائي"فلقد أدرك اللسانيون العرب بدورهم أهمية قراءة التراث اللغوي العربي، بشكل يكشف عن وعيهم بأهمية ما أفرزته قرائح العلماء العرب القدماء، وما انتهت إليهم تجاربهم في معالجة قضايا اللغة العربية ، ليس على

[1]–المرجع السابق،فرديناند دي وسير، **علم اللغة العام** ،ص:87.

[2]–ماريو باي ، **أسس علم اللغة** ، تر:أحمد مختار عمر ،عالم الكتب ،القاهرة ،1998،ص:41.

[3]-ميشال أريفيه ، **البحث عن فرديناند دو سوسير** ،تر:محمد خير محمود البقاعي،ط1،دار الكتاب الجديدة المتحدة 2009،ص:94 .95.

مستوى قيمة هذا التراث العلمية فحسب، إنما على مستوى أهمية هذا المنجز في سلسلة الدراسات اللغوية عند مختلف الشعوب وعبر مر العصور كذلك"[1].

لقد بين أن العرب قد سبقوا الغرب في مثل هذه القضايا اللغوية ، فإذا ما قارنا أعمالهم بما وصل إليه المحدثون نجدهم لا يقلون أهمية عندهم في المضمون العام لرؤيتهم للعلاقة بين الدال والمدلول، والفرق الوحيد يكمن في افتقار المسلمين إلى صياغة نظرية ومنهج دقيق ،ولقد عبروا عن العلاقة بين الدال والمدلول بمصطلح آخر وهو (الصلة بين المباني والمعاني والألفاظ)، ولقد أبدى المسدي رأيه في هذه القضية اللغوية بقوله:" إن من أشد القضايا النظرية اتصالا بتحديد الظاهرة اللغوية عامة، وبحصر نظرية المواضعة خاصة الحديث في الاعتباط كصفة مبدئية تسم الحدث اللساني إطلاقا"[2].

إن هذه القضية اللغوية تتركز عند المسدي في مشكل الدلالة ،فلقد أوضح أن نقطة الانطلاق في مفهوم الظاهرة اللغوية من تحديد طبيعتها المعرفية قد يسر على أعلام التراث العربي الوقوف على حقيقة العلاقة الحاصلة بين ألفاظ اللغة ومعانيها ،والتي هي ضرب من الاقتران الوضعي، الذي لا يستند في منشئه لا إلى سبب طبيعي ولا إلى قرينة منطقية؛ بمعنى أن الاقتران الحاصل بين دوال اللغة ومدلولاتها لا تقوم على علاقة منطقية أو طبيعية كما يراها بعض الدارسين، بل هي محض مصادفة " على أن ما توازى مع جداول الفكر الموضوعي من احتمال القول بأن بين الاسم والمسمى رابطا طبيعيا تمليه خصائص الأصوات حينا وتركيبة المقاطع حينا آخر في الإيحاء بقرائن الدلالات، أو كاحتمال القول بأن من المدلولات ما يستدعي داله استدعاء سببيا يستنبطه العقل بوجه من الوجوه قد استثار نوازع الفكر الموضوعي، فانبرى رواده يؤسسون قواعد الاستدلال البرهاني لإثبات اعتباطية العلاقة بين الدوال ومدلولاتها في الجهاز اللغوي"[3] ، فطبيعة

[1]– نسيمة قطاف،**اللسانيات العربية ورهانات التموقع الإبستيمي** ،مجلة آفاق للعلوم،الجلفة،جوان 2018،ص:5.

[2]–عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:107.

[3]– عبد السلام المسدي ،**حد اللغة في التراث اللساني العربي** ،ص:409.

العلاقة بين اللفظ والمعنى عند العرب تتحدد من خلال ثنائية " الموقف القصدي والموقف العلمي، وذلك من خلال معرفة ما إذا كانت هذه العلاقة طبيعية؛ أي هل يحمل كل صوت جرس دلالته لينشأ ذلك التناسب بين الأصوات والدلالات؟أم هي صلة تواضعية طبيعية أوجدها الإنسان باختياره وغير حامله لأية صفة تلازمية أو علاقة طبيعية بين الدال والمدلول"[1]، وهو الموقف الذي يدعم فكرة الاعتباطية ويؤسس له، والذي تناوله عدد غير قليل من علماء التراث العربي الإسلامي عند تعرضهم للدلالة الاصطلاحية أو العرفية، ومن بين الذين وفقوا في ذلك **أبو يعقوب السكاكي** " الذي اتضحت جهوده النظرية في عملية تصنيف المعارف المتصلة بعلوم اللغة وما قاده من ذلك إلى تأسيس مبحث علم الأدلة في معناه اللغوي والمنطقي فكان بذلك نواة للتشكيل الصوري"[2].

لقد اهتم صاحب مفتاح العلوم بما أسماه " وجه دلالات الكلم على مفهوماتها مستعرضا جملة الحجج التي تدل على أن دلالة الكلمة على المعنى موقوفة على الوضع ، وحيث كانت اللغة في حد ذاتها مؤسسة عرفية بحكم أنها تقوم جوهريا على مبدأ المواضعة لزم تحديد مفهوم الوضع بأنه تعيين الكلمة بإزاء معنى بنفسها "[3] ، ولقد لخص مبدأ الاعتباط في قوله عن الكلام " إنه صناعة مستندة إلى تحكمات وصفية واعتبارات ألفية"[4]، ورأيه هذا يوافق رأي **المسدي** عندما جعل العلاقة بين الدال والمدلول محض المصادفة ، حيث بين **المسدي** أن لهذا الاعتباط حدان:حد أقصى وحد أدنى.

أما الحد الأقصى : فيبدو في مستوى دلالة الألفاظ مجردة؛ أي في محور العلاقات الاستبدالية العمودي في اللسانيات الحديثة (أي جدول الاختيار)، وأما الحد الأدنى ففي مستوى التشكيل البنائي في الحدث اللساني ؛أي في محور العلاقات الركنية الأفقي (أي جدول التوزيع).

---

[1]–عبد القادر عبد الجليل ،**اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة** ،ط1،دار الصفاء ـساسلة الدراسات اللغوية ـ عمان ،الأردن 1417هـ1997م ص:65.

[2]–عبد السلام المسدي ،**حد اللغة في التراث اللساني العربي**،ص:409.

[3]–السكاكي ،أبو يعقوب ،**مفتاح العلوم** ،ط1،القاهرة ،1937،ص:168.169.

[4]– المرجع نفسه ،ص:110.

لقد لاحظ **المسدي** أن علماء العربية القدامى، وهم يتناولون قضية الاعتباط اعتمدوا التفسير بدل الوصف ، **فالفارابي** (339هـ)يؤكد أن الألفاظ " ليست تحاكي شيئا من المعاني أصلا، ولا عرضا من أعراضه"[1]؛ أي أن الكلمات تدل ما تدل عليه بموجب الاصطلاح ، وهو الرأي الذي تبناه **ابن رشد** (ت 595هـ)، ونلفيه في هذا السياق يقول:" إن الألفاظ التي ينطق بها هي دالة أولا على المعاني التي في النفس، والحروف التي تكتب دالة أولا على هذه الألفاظ .وكما أن الحروف المكتوبة أعني الخط، ليس هو واحد بعينه لجميع الأمم ، كذلك الألفاظ التي يعبر بها عن المعاني ليست هي واحدة بعينها عند جميع الأمم، ولذلك كانت دلالة هاتين بتواطؤ، لا بالطبع، وأما المعاني التي في النفس فهي واحدة بعينها للجميع، كما أن الموجودات التي في النفس أمثلة لها ودالة عليها هي واحدة وموجودة بالطبع للجميع"[2]؛ فهذا يعني أن لكل شعب من الشعوب لفظ خاص به للتعبير عن شيء ما مع أن الصورة الذهنية لذلك الشيء واحدة عند هذه الشعوب كلها .وبذلك يتسنى أن نتصور إمكانية تبدل التركيب اللغوي مع بقاء مادته المدلول عليها دون أن تتبدل " فمحاكاة تركيب المعاني بتركيب اللفظ هي مصطلح عليه فكأنه اصطلح على أن يكون محاكيا له، لا على أنه في طباع الأمر أن يكون تركيبه مشابها لتركيب اللفظ بالطبع ومحاكاة التركيب في اللفظ للتركيب المشار إليه في المعنى هو بالاصطلاح "[3] .

وفي نظر المسدي أنه من النتائج الطبيعية لسمة الاعتباط في مجال علاقة الإنسان باللغة أمرين اثنين:

الأول: أن الدلالة شيء طارئ على حدث الكلام، وليست لصيقة باللغة في أصل تطورها.

---

[1]–أبو نصر محمد بن محمد الفارابي ،**شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة** ،تقديم :ولهام كونش وستانلي مارو بيروت دار المشرق ،1971،ص:57.

[2]–أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ،**تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة** ،ت:محمد سليم سالم ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،مطبعة دار الكتب ،1978،ص:12-13.

[3]–عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:107.

الثاني: أن الدلالة ترتبط بإرادة الإنسان واختياره مصدرها الذات وهذا ما أشار إليه **ابن حزم** بقوله: " تأليف الكلام فعل اختياري متصرف في وجوه شتى"[1]، **فابن الحزم** لم يقف عند هذا الحد أي اعتبار الدلالة من حيث الوجود مردها الإرادة الخاصة بالإنسان لحاجاته الضرورية المختلفة التي مصدرها الذات الإنسانية، "بل كان واقفا بالمرصاد في الرد على من قال بوجود علاقة طبيعية بين الجهاز الكلامي ومنظومة الموجودات في الطبيعة ، ويوسع ابن حزم استدلاله لينقض به رأي القائلين بأن المناخ الطبيعي هو المتحكم في خلق اللغة المتلائمة معه ،وبأن الطبيعة هي التي توجب على ساكنيها أنساق الكلام على اختلافها"[2]، فا**بن حزم** يرفض نظرية المحاكاة الطبيعية، هذه الأخيرة التي لا تبحث في واضع محدد للغة بل تحصره في جملة من النواميس الطبيعية التي تعد الإنسان أحد العناصر المركبة للوجود الطبيعي فاللغة عند هذه النظرية إفراز طبيعي ترشحه الأرضية المناخية، وهذا ما يتنافى وآراء **ابن حزم الأندلسي**.

أما **القاضي أبو الحسن عبد الجبار** ،فقد تناول هذه القضية في كتابه الموسوم بـ (المغني في أبواب التوحيد والعدل)؛ فيقرر مبدأ الاعتباطية والتواطؤ في انتظام الكلام مبدأ أساسي في الظاهرة اللسانية، ويرى بأنه خطأ القول بالمحاكاة الطبيعية في إفرازات اللغة " إذ أبان أن دلالة الكلام على ما يدل عليه ليست من الاستتباع الطبيعي، ولا من الاقتضاء الحتمي، مما يجعل علاقة دوالها بمدلولاتها علاقة اعتباطية في نشأتها وملابسات ترابطها"[3] ، فالعلامة اللغوية في رأيه لا تتسق إلا بالعرف الجماعي، وهذا ما أفضى إليه بقوله:" كل اسم إنما يصح أن يجعل في اللغة بدله غيره"[4] ،فلقد ناقض وجادل القائلين بتطابق الدال والمدلول مركزا عناصر الفصل بين بينة الدال ومحتوى المدلول جاعلا العلاقة بينهما علاقة اعتباطية وعشوائية .

---

[1]– ينظر:ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي ،**الإحكام في أصول الأحكام** ، ط2، مطبعة الإمام ،مصر،ج1،دت ،ص:116.

[2]– عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:.108.

[3]– المرجع نفسه ،ص:109

[4]–المرجع السابق، عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية**،ص:109.

أما **عبد القاهر الجرجاني** (ت471هـ) فقلد بين **المسدي** أنه قام بتعميم مبدأ الاعتباط على نظم الحروف؛ أي تواليها في النطق وهو ما يعرف اليوم في باب البلاغة والأسلوبية بنظرية النظم " نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما في العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد "[1]**فالجرجاني** يرى أنه لو كان في اللفظ ما يدل على معناه، أو في المعنى ما يستلزم أن يعبر عنه لفظ محدد لما اختلفت جميع اللغات، فالنتيجة من هذا أن اختيار الدال لمدلول معين ، إنما هو عمل عشوائي اعتباطي كما نعته سوسير لا يخضع لمنطق أو تعليل .فإذا نظرنا في أصوات كلمة (ضرب) مثلا في اللغة ، وتأملنا سبب اختيار العرب لهذه الأصوات بالذات للتعبير عن معنى الضرب فلن نجد علة منطقية تفسر سبب الاختيار، بل كان بإمكانهم أن يستعملوا (ربض) أو أي لفظ للدلالة على هذا المعنى، والمثال الذي جاء به **سوسير** في القرن العشرين هو نفسه ما ذكره الجرجاني في القرن الحادي عشر، فالجرجاني مثل بكلمة (ربض و ضرب)و**سوسير** مثل بكلمة s ,o,r وبدلا من تقديم وتأخير في الأصوات كما فعل **عبد القاهر الجرجاني** استخدم عبارة (فهذه الفكرة يمكن التعبير عنها باستخدام أي تعاقب صوتي).ويستدل سوسير على اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول بقوله:" وخير دليل على ذلك اللغات المختلفة التي تستخدم إشارات مختلفة ،فالمدلول (ثور) له دال b,o,f على طرف من الحدود(الفرنسية ،الألمانية) وoks/o,K,Sعلى الطرف الآخر"[2].

إن فكرة اعتباطية اللغة عند **الجرجاني** (المدلول ليس له أي رابط طبيعي موجود في الواقع) يوافق ما نجده عند **سوسير** في تركيزه وبيانه على أن اللغة نظام من الدلائل المتميزة مطابقة لأفكار متميزة هدفه دراسة اللغة كواقع قائم بذاته ولذاته.

[1]– عبد القاهر الجرجاني ،**دلائل الإعجاز في علم المعاني** ، القاهرة ،1961،ص:35.

[2]– فرديناند دي سوسير ،**علم اللغة العام** ، ص:87.

ومن اللغويين المسلمين الذين سبقوا **سوسير** في هذه القضية اللغوية وفطنوا إلى حقيقتها **ابن سيده** (ت 505هـ)و**الأسفراييني** ،فنجد **ابن سيده** في هذا السياق يقول:" فعلمنا بذلك أن اللغة اضطرارية وإن كانت موضوعات ألفاظها اختيارية ،فإن الواضع الأول المسمى للأقل جزءا وللأكثر كلا وللون الذي يفرق شعاع البصر فيبثه وينشره بياضا وللذي يقبضه فيضمه ويحصره سوادا، لو قلبت هذه التسمية فتسمى الجزء كلا والكل جزءا والبياض سوادا والسواد بياضا لم يخل بموضوع ولا أوحش أسماعنا من مسموع"[1].

وما هذه الاختيارية التي قال بها **ابن سيده** إلا قول **سوسير** بعده بالاعتباطية أو العشوائية، وما قول **الأسفراييني** عن اللغة أنها تدل بوضع واصطلاح إلا قول **سوسير** بعده بالموافقة التي تقف وراء إطلاق الأسماء على المسميات، وهذا يعني أن هناك اتفاق ثلاثي يكمن في إنكار الصلة أو العلاقة بين الكلمة ومعناها ، ولقد عدوها بالاعتباطية أو العشوائية.

ويلتقط **ابن جني** (ت392هـ)الخيط ويحاول أن يكشف لنا في فصول أربعة من كتابه الخصائص عن هذه الصلة بين المباني والمعاني فيقول: "وجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه، ومنهاج ما مثلاه، وذلك أن المصادر الرباعية المصنفة تأتي للتكرار نحو الزعزعة والقلقلة والقعقعة، والجرجرة والصعصعة والقرقرة، ووجدت أيضا أن (الفعلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو الَبشَكَى والجَمَزَى، والوَلَقَى"[2] .

إن المستقرئ لنص **ابن جني**، يجده قد ركز القواعد التأسيسية لنظرية المحاكاة، إذ جعل للمحاكاة مراتب أربعة : المحاكاة الصوتية؛ أي تسمية الأشياء بأصواتها، ومحاكاة هيكل اللفظ لجملة الدلالة كأن يدل مصدر فعلى على السرعة، وفعلان على الحركة والاضطراب، ثم ما أطلق عليه المسدي اسم المحاكاة التعاملية، وفيها تتعامل دلالة الأصوات الفيزيائية ودلالة الهيكل الوزني

[1]– أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده ، **المخصص**، تقديم :خليل إبراهيم جفال ط1،ج1 ،بيروت ،دار إحياء التراث العربي 1996،ص:33.

[2]– ابن جني ،**الخصائص** :1/164 .165.

لقوالب الألفاظ كتكرير مثلا عين الفعل دلالة على تكرير الحدث نحو :كسّر ،فتّح...الخ.فهذه النظرية لا تبحث في واضع محدد للغة، بل تحصره في جملة من النواميس الطبيعية ، واللغة عند هذه النظرية إفراز طبيعي ،ترشحه الأرضية المناسبة على حد تعبير **المسدي** وتقوم على مبدأ التماثل الطبيعي .

" إن العلاقة التي تصورها **ابن جني** بين اللفظ اللغوي بوصفه رمزا وبين الشيء الذي يدل عليه وقناعته العقلية بهذه القضية كان له الأثر فيما سماه الاشتقاق الأكبر"[1] .

"وبالرغم من اجتهاد ابن جني في هذه القضية اللغوية ، إلا أن علماء اللغة المحدثين لا يقرون على ما ذهب إليه، لأنهم لا يعترفون بوجود صلة أو علاقة بين المباني والمعاني ،أو بين الأسماء والمسميات، فلا علاقة ولا صلة بين كلمة باب وتذكيرها في العربية وتأنيثها في الألمانية والفرنسية La porte,Dié,ture وحيادها في اللغة الإنجليزية"[2].

أما عن رؤية التوحيدي لطبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى " فنجده لا يجزم القول بمبدأ الاعتباطية Arbitraire ولا بالعلية Motivation بل يرجع ذلك تحت تأثير المنزع التداولي الذي غالبا ما تخضع له طريقة بحثه في اللغة ـ إلى ظروف الاستعمال الوضعي الأول للألفاظ ـ هذه الظروف إما أن ينشأ اللفظ فيها على أساس من العلية وإما على أساس من الاعتباطية فهو يرى أن اللفظ إن خلا من العلة جرى مجرى الاصطلاح ، على غير غرض مقصور"[3].

أما **أبو حامد الغزالي**، فيرى أن الثنائية الموضوعية (الدال والمدلول)أساسها الوضع والاصطلاح فلا علاقة في الأصل بين الدال والمدلول، أو بين التسمية والمسمى، والدليل على ذلك أنه إذا تم

---

[1]– عبد الحسين موسى ولدي، **البحث اللغوي عند عالم سبيط النيلي** ،ط1،دار المحجة البيضاء،1432هـ 2011م، ص:175.

[2]– كريم زكي حسام الدين ، **أصول تراثية في علم اللغة** ،ص:88

[3]– ينظر :أبو حيان التوحيدي ومسكاويه ، **الهوامل والشوامل** ،نشر أحمد أمين وسيد أحمد صقر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،ص:266.267.

حذف أحد الفونيمات اختل المعنى فهي علاقات مترابطة، ولقد أطلق عليها **المسدي** بمصطلح الوشائج، ويمكن فهم ذلك بالتبسيط لنقول أن التسمية عرفها اصطلاحي والجزء فيها (أو العلامة) فيها جزء متكامل " هذا وإن عد اليوم من المسلمات فإننا نجد ما يخالفه لدى اللساني **(أوتوجيسبرسن)** الذي تحدث في بداية العشرينيات من القرن الماضي عن الرمزية الصوتية التي تبدو جلية في اللغة الإنجليزية، كذلك خرج اللساني المستعرب **جورس بواس** Gorges Bohas في القرن الواحد والعشرين بنظرية، مفادها أن هناك علاقة سببية بين مصفوفات صوتية تتسم بخصائص محددة، ودلالات الكلمات التي تنتظم فيها تلك المصفوفات "[1].

إن النتيجة التي يمكن استخلاصها من هذه القضية اللغوية هي أن فكرة الاعتباطية قد وردت عند كثير من علماء التراث اللغوي العربي " غير أنهم يتصورونها، في دراستهم للسان العربي بشكل مختلف ومتميز، فهم لا يرون الاعتباطية في الكلمات العربية إلا حينما يعجزون عن تعليلها ولذلك لم يتوقفوا عن تتبع مختلف ظواهر التعليل Motivation في اللسان العربي ،تلك التي تهيمن على وحداته بشكل ظاهر ومتميز؛ ومن الظواهر الدالة على ذلك نجد :الاشتقاق بكل أنواعه، والترادف، وأثر الكمية الصوتية وبعض الأبنية الصرفية ، والمناسبة الطبيعية بين الدال والمدلول، والقيم التعبيرية للحروف، وغيرها من الظواهر التي ترجع إلى خصوصية في اللسان العربي تتمثل في كون العلاقة بين ألفاظه ومعانيه قابلة للتعليل، وحتى الألفاظ التي لم يستطع العلماء إثبات التعليل فيها وهي تمثل في الغالب الأصول الوضعية للوحدات المعجمية فإنهم لا يقضون باعتباطيتها إلا حينما يعجزون عن إدراك عللها"[2].فيظهر مما مضى أنه لا يمكن أن نقبل أو نرفض نظرية العلاقة بين اللفظ والمعنى بأسره، إذ لا تقنعنا دلالة بعض الأوزان كالفعلان في قول **سيبويه** أو الأصوات في قول **ابن جني** كما مرت .لأن ألفاظ اللغة وعباراتها جم غفير

[1]– لبانة مشوح ، **اللسانيات في التراث اللغوي العربي** ،ندوة اللسانيات الأولى ،نظمها مجمع اللغة العربية بدمشق في 30 حزيران 2010،ص:346.

[2]– ينظر:الطيب دبة ،**مبادئ اللسانيات البنوية ـدراسة تحليلية إبستيمولوجية** ،جمعية الأدب للأساتذة الباحثين ،دار القصبة للنشر ،ط1،الجزائر ،2000م،ص:83

ولا نستطيع أن نطبق كهذه الظواهر في اللغة العربية ولا في أي لغة أخرى تماما .وربما حمل العرب ـ كما مر ـاعتزازهم بلغتهم وفصاحتهم على هذه الأقوال .وما نحن بصدده أنه يمكن القول بأن ألفاظ اللغة يمكن أن يكون لبعضهم علاقة بالمعاني ويندرج في هذا الباب في رأي ما سماه **ابن جني** تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، الاشتقاق الأكبر ...الخ ويمكن أن لا يكون لبعضهم الآخر أية علاقة بين الألفاظ والمعاني.

2 **المواضعة والعقد :**

لقد تطرق **دي سوسير** إلى هذه القضية اللغوية، فاللغة عنده مؤسسة اجتماعية " لأن وجود اللغة يشترط وجود مجتمع، وهنا يتضح الطابع الاجتماعي للغة، فليس هناك نظام لغوي يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتعامل به"[1].

إن هذا المصطلح الذي استخدمه دي سوسير (اللغة مؤسسة اجتماعية) يقابل العقد الجماعي الذي تبناه **المسدي** في كتاباته، فقد تنبه إلى هذه القضية اللغوية وبين أن هناك علاقة قانونية بين اللغة والمواضعة يمثلها عنصر القصد في العملية الكلامية" فاللغة ليست غاية في حد ذاتها وإنما هي أداة يتوصل بها أفراد مجتمع معين لتستقيم علاقاتهم، وتسير أموره حياتهم ، ولهذا كانت معرفة اللغة أو تعلمها ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية التي تستقر وتستقيم بها حياة الفرد في المجتمع الذي يعيش فيه"[2]، ونلفي **المسدي** في هذا السياق يقول :" ومن مفاصل الحديث عن ارتباط الاصطلاح اللغوي بفكرة القصد، تتبوأ النظرية العربية في تحديد اللغة نموذجا موضوعيا دقيقا، فقد انصبت المقارنة المبدئية على فكرة التعاقد الضمني بين أفراد المجموعة البشرية الناطقة بلسان واحد كشرط أساسي لاستقامة بناء اللغة بما يمكنها من أداء وظيفة الإبلاغ والتواصل"[3]؛ **فالمسدي** يرى بأن المتكلم عندما يتكلم، فالغاية والهدف من ذلك تحقيق فائدة معينة ،فالحدث اللساني لا يكتمل إلا إذا تكاملا فيه شرطا المواضعة والقصد ، فإذا اختل أحدهما اختل بناء

[1]–غازي مختار طليمات ،**في علم اللغة**،ص:22.

[2]–مسعود طواهرية ،**جهود محمد الخضر حسين اللغوية ـدراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث** ،رسالة دكتوراه جامعة باتنة2015،2016.1 ،ص:47.

[3]– عبد السلام المسدي ،**حد اللغة في التراث اللساني العربي**،ص:410.

الكلام وخالف أنساق الكلام ، وشبكة المواضعة بأنواعها مما يؤدي إلى اختلاف التواصل بين المرسل والمرسل إليه، فيحدث التشويش على نحو يخل بأداء الكلام وظيفته في التواصل ،وإبلاغ الرسالة الدلالية وفي هذا السياق يقول: "ومتصور القصد... هو قبل كل شيء يعني القصد إلى الفائدة بعد العلم بسنن المواضعة ، بل هو في كل لحظة من لحظات استعمال اللغة قصد لفائدة معينة طبقا لسنن المواضعة العامة في جهاز تلك اللغة مع تكريس مظهر من مظاهر العملية في الممارسات الكلامية[1]، كما بين **المسدي** أيضا بأن القصد متعدد الأطراف "فهو قصد للمواضعة العامة في الظاهرة اللغوية إطلاقا، وقصد لمواضعة مخصوصة في لغة معينة وقصد للمخاطبة ، وقصد للفائدة بإيصال شحنة دلالية من مرسل إلى مرسل إليه "[2]، كما أن للقصد شروط لا يصح إلا بها ليقوم الترابط بين المتكلم وكلامه من جهة وليفهم السامع ما يقوله المتكلم من جهة أخرى منها :الإرادة والاعتقاد ،واتباع الفائدة والاطراد وقد تحدث عنها العرب القدامى ؛مثل **ابن حزم والخفاجي وعبد الجبار** " فمبدأ القصد لما تبين أنه المحرك الكامن وراء قانون المواضعة فإنه يصبح متعلقا رأسا بمفهومين ملابسين له في حقله الدلالي ، وفي اقتضائه التصوري وهما:مفهوم الإرادة ومفهوم الاعتقاد ...لذلك نرى **ابن حزم الأندلسي** يربط محتوى القصد بما يقوم في العقل مبرهنا على أن القصد لا تقترن بموجبه دوال اللغة بمدلولاتها إلا طبقا للمواضعة المستقرة ...ويحلل **الخفاجي** هذه العلاقة القائمة بين مبدأ القصد ومختلف المعاني الحافة مبرزا فكرتي الإرادة والاعتقاد[3].

"وينفذ **أبو حامد الغزالي** إلى صميم القضية من نافذة أخرى هي نافذة التمييز بين الكلام المنجز فعلا وحديث النفس متخذا من القصد معيارا للتمييز بينهما ، فبعد أن يدرج جنس الخبر ضمن أقسام الكلام القائم بالنفس يلاحظ أن العبارة ليست إلا أصوات مقطعة تحكي صيغتها صيغة ما قائم في النفس"[4]؛وتأكيدا لهذا الفهم يشرع بالتنويه بأمثلة الانفعالات التي تقتضي تصويتا يضطلع بوظيفة نفسية لا تخاطبية ، والإنسان إذا لحقه أسف أو رحمة أو غضب أو غير ذلك من

[1]– عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:145.

[2]– المرجع نفسه ،ص:147.بتصرف.

[3]- المرجع السابق، عبد السلام المسدي،**التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:148.149.

[4]– المرجع نفسه،ص:146.

الانفعالات صوت أنحاء من الأصوات المختلفة ،وأمثال هذه الأصوات والنغم إذا استعملت ربما يحصل عنها انفعال ما أو ازدياده وربما زال الانفعال أو انتقص .وبنفس المقياس عرف **ابن حزم** (ت 456هـ)الكلام جملة، فجعل القصد المؤشر المبدئي في كل نظام إبلاغي تواصلي مما يجعل القصد مبدأ علاميا مطلقا.

إن السمة التي تدمغ الأصوات اللغوية عند **ابن حزم** في إجرائه التفريق بين أصوات الحيوان والإنسان هي سمة القصد " أما الصوت الذي يدل بالقصد فهو الكلام الذي يتخاطب الناس به فيما بينهم ويتراسلون بالخطوط المعبرة عنهم في كتبهم لايصال ما استقر في نفوسهم من عند بعضهم إلى بعض"[1] ؛ فمثلا أصوات الحيوانات تدل بالطبع ضمن الإشارة إلى بعضها الآخر إلى حاجتها الغريزية، فهي لا تعدو التنبيه والأخطار، ولا يقتصر الأمر على الحيوان، فالإنسان في انفعالاته تصدر عنه أصوات تعبر عن مختلف أنواعها، كما يبين أن سمة الإعلام ، والقصد توجد في لغة الحيوان على حد سواء على الرغم من تركيبة اللغة الإنسانية "... ولكل صوت من هذه الأصوات عند الحاسة السامعة كيفية وماهية .فماهية صوت الإنسان أنه غرض مفهوم دال على معنى فتحتاج القوة المفكرة إلى أن تفكر فيه، وتفتش عن معناه وأصوات الحيوانات غير مفهومة ، ولكن القوة تقضي عليها أنها صوتت لحاجة وما أرادت به إلا سبب أكل وشرب ...الخ"[2].

بعد أن حصر **المسدي** التراث اللغوي العربي اللغة في شرطي المواضعة والقصد، عرفها بأنها عقد جماعي بين أطراف المجموعة اللغوية الواحدة " وفعلا فإن جدلية المواضعة ما انفكت تثري المخاض الفكري في شأن اللغة حتى أوقفت رواد التنظير على مفتاح ذهبي جمع إليه خصائص المتصورات المتباعدة في حقول دلالية متنوعة ، فعرف اللغة بعد حصرها في شرطي المواضعة والقصد في كونها عقدا جماعيا بين أفراد المجموعة اللسانية الواحدة ، وهو من القوة والسلطان

[1]– ابن حزم الأندلسي ،**التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية** ،ص:12.

[2]– **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء** ،تأليف مجموعة من العلماء في القرن الرابع الهجري ،منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت ،لبنان ،2005،ج3،ص:108.

بحيث إنه عقد صامت "[1]، وهذا ما نلفيه عند **دي سوسير** الذي عرف اللغة بأنها مؤسسة اجتماعية وعدها البعض ضرب من الاتفاق والتفاهم consensus بين أفراد الجماعة اللسانية واللغة لا تنفصل عن المجتمع ؛لأن" العلاقة بينهما علاقة جدلية، فلا وجود لها من دونه، ولا وجود له من دونها، لذلك فإن إدراكنا للغة لا يتم من خلال ملاحظة ظواهرها فحسب، وإنما من خلال دراسة المجتمع الذي نشأت فيه ونمت وترعرعت ،كما أن معرفتنا لمجتمع ما بكل بناه تبقى ناقصة ،إن لم نقل مشوهة ما لم تستند إلى اللغة التي تشكل أهم أركانه"[2].

ويعالج **ابن رشد** هذه القضية اللغوية "بمنهج اختياري يكشف به عن فكرة التعاقد من حيث يحلل محتواها ،مركزا في ذلك على مبدأ تطابق الدلالة بين المتكلم والسامع لسلامة وظيفة اللغة وهذا يعني أن المتكلم يعالج أدوات الجهاز اللغوي بما يعرب عن مضمون دلالي هو قائم بالفعل في ذهنه، ولكنه أيضا ممكن الانبثاق بنفس الصورة في ذهن السامع عند لحظة المحاورة ، والسبب في هذا التناظر هو تجاوز سنن الاصطلاح بين المتخاطبين طبقا للعقد الضمني القائم بينهما حول شبكة الدلالات "[3]، فابن رشد يعزو التفاهم إلى التعاقد الضمني، ويعبر عنه بمبدأ تطابق الكلام عند الباث والمتقبل في الوقت نفسه، وقد عد اتفاق الطرفين على الدلالات نفسها شرطا أساسيا يسبق كل عملية تخاطب باللغة ، فينبغي للطرفين إذن أن يسلما ببنود العقد ليتم التواصل بينهما .

لقد تناول المنظرون العرب فكرة العقد من جوانب مختلفة، **فالجرجاني** رأى العقد ملزم في الدلالة المستمدة من معاني الألفاظ مجردة(محور الاختيار الاستبدالي)وملزم أيضا في نظم الكلام حين تدخل الألفاظ في سياق التركيب (محور التوزيع التراكني)وفي هذا السياق يقول المسدي:" ويذكر الجرجاني من جهة أخرى بأن العقد ملزم في جدولية :الجدول الدلالي المستمد من معاني الألفاظ مجردة والجدول النظمي المجسم لدخول الألفاظ في سياق التركيب ، وهو ما يجعل القانون معمما على مبدإ الاستبدال ومبدأ التراكن في اللغة "[4].

---

[1]– عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:145.

[2]– ينظر:محمد علي عبد الكريم الرديني ،**فصول في علم اللغة العام** ،دار الهدى ،الجزائر ،دط،2009،ص:15.

[3]– ينظر:عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص157.بتصرف.

[4]– المرجع نفسه ،ص:160.

أما ابن **حزم الأندلسي** فقد تناول هذه القضية اللغوية (العقد الجماعي)" ويعرف الكلام بما يقربه من صورة المرآة التي تتوسط إدراكين فيكون التخاطب بمثابة المكاشفة المباشرة لحقيقة قائمة في أحد الطرفين فتصبح ملزمة للطرف الآخر، وكل ذلك بفضل هذا التعاقد الضمني على نواميس المواضعة اللغوية "[1]، وفي رأي **المسدي** "سر هذا التكامل بين صورة الرسالة الدلالية كما ينسجها المتكلم ويركبها طبقا لمخزونه من ألفاظ اللغة وصورتها التي يتلقاها عليها السامع فيفككها حسب نفس النماذج والمثالات المتواضع عليها كامن في هذا الاتفاق القائم بين أفراد المجموعة اللغوية "[2]، فعند **ابن حزم** أن اطراد العقد اللغوي على مر الزمن كفيل بوقاية التعامل مع اللغة من كل تحكم، إذ إن الإخلال بعقد الدلالة في اللغة يفسد البيان ويعطل التفاهم " ويفحص **ابن حز**م نفس الظاهرة من منظور دلالي محض، فيقرر أن اطراد العقد اللغوي بين أفراد المجموعة اللسانية وعلى مر الزمن هو الكفيل بوقاية التعامل مع اللغة من كل تحكم وذلك بالاعتماد على أن خرق تراتيب العقد في اللغة يفضي إلى إفساد البيان الذي يقع به التفاهم"[3] .

لقد بين **المسدي** أن **عبد الجبار** وهو يتناول هذه القضية اللغوية يرى بأن العقد اللغوي كعقود المعاملات ،يتمتع بمرونة ذاتية تجعله قابلا للبقاء أو التعديل ،والتنقيح والنسخ، وهذا السؤال ينحو بنا نحو سؤال مهم ألا وهو :هل من تناقض بين مبدأ العقد في المواضعة وهو مبدأ صارم مطلق ،ومبدأ حيوية اللغة المتمثل في طاقاتها على استيعاب إملاءات الفكر المتجددة عبر الزمن.والجواب عن هذا السؤال يكمن في قضية تحول الدلالة وتطورها، هذه القضية التي عدت أحد منطلقات التطور اللغوي عامة .وفي تراثنا كلام كثير عن هذه القضية ، فقد تناولها المفسرون وعلماء الإعجاز والبلاغيون...الخ.

---

[1]– ابن حزم ، **التقريب لهذا المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية** ،تح:إحسان عباس ،بيروت ،1959 ص:4.

[2]– ينظر: عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:156.بتصرف .

[3]–عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:161-162.

" إن مسألة التحول الدلالي قد استوجبت استقراء صيرورة العلاقة بين الدال والمدلول انطلاقا مما يحدث في الاستعمال من اقتضاءات تجعل الدال ينزاح عن حقله المعنوي ، ليكتسب قدرة الإيعاز بحقل آخرقد يكون مستحدثا أصلا قد يكون متعارفا ومدلولا عليه بلفظ غيره قبل ذلك وهذه الحركة في جهاز اللغة تستوجب قيام قنوات تسلكها المدلولات عبر شبكة الدوال مثلما نستنتج حدوث مسالك تتوخاها الدوال لتتبادل مدلولاتها فيما بينها، ولكل هذه التقلبات سند مبدئي ألا وهو المجاز"[1].

لقد بين **المسدي** أن تحول دلالة اللفظ من الحقيقة يشترط فيه الدليل أو القرينة؛ ومن نماذج هذا التشريح الفني لقضية التحول الدلالي ما يقدمه **السكاكي** " منطلقا من تحديد ثنائية الحقيقة والمجاز في دلالة الألفاظ مؤكدا أن الضرب الأول هو من دلالة اللفظ على المعنى والضرب الثاني هو من دلالة المعنى على المعنى، ولذلك فالألفاظ حينما يستعملها الإنسان قد يكون قاصدا بها معناها الذي موضوعة له وقد يكون طالبا بها معنى معناها "[2].

ولكن مبدأ انبناء اللغة على التحولات الدلالية لا يمكن أن يكون عشوائيا ؛ "لأن ذلك يؤدي إلى تعطيل اللغة عن وظيفتها الإبلاغية، وهذا ما جعل المجاز محكوما بقانون القرينة وهي مفتاح عبور الدوال إلى حقول المدلولات الطارئة"[3] .

إن تحول دلالة اللفظ من الحقيقة إلى المجاز يشترط فيه الدليل أو القرينة وقد استعمل العرب كلا المصطلحين ، وهو متصور عقلي محض ،فيه التنبيه الصريح على عصيان الباث لأحد بنود العقد اللغوي عن عمد، والدليل جسر رابط بين اختلال توازن أنسجة المواضعة والمحافظة على الطاقة الإبلاغية في الحدث اللساني، ومن كلام المفكرين العرب في هذه القضية يستنبط

[1]–عبد السلام المسدي ،**حد اللغة في التراث اللساني العربي** ،ص:415.

[2]– السكاكي ،أبو يعقوب ،**مفتاح العلوم** ،ص:168.169.

[3]– المرجع نفسه،ص:170 .

المسدي"أن المجاز تحويل لنص العقد اللغوي يدل عليه مساق اللغة ذاتها حيث تصبح دالة لمعانيها "[1] .

ومما يتصل بقضية التحول الدلالي الحديث عن مدى حرية التصرف ببنود العقد اللغوي مقيد إذ أن ما يحدثه الفرد من مواصفات جديدة أو ما يحوره في المواصفات القائمة تابع للمصادفة ،ولا يقبل إلا إذا تواتر واطرد ،واعترفت به المجموعة اللسانية ،وهكذا يمكن للمواصفة الفردية أن تصبح جماعية، إذا استوعبتها شبكة العقد اللغوي في تلك المجموعة ، إلا أن التصرف في العقد اللغوي من تعديل أو تنقيح سواء كان فرديا أو جماعيا "لا يجوز البتة أن يتطرق إلى كل بنود المواضعة اللغوية دفعة واحدة، إذ يحتم عليه في لحظة المواضعة الإبقاء على حد أدنى من الاتفاق الضمني يمثل مجموعة من المسلمات في عملية التخاطب والتحاور "[2]، على أن التصرف حين يقع لا يستدعي حضور أطراف التحاور جميعها ،وهذا أحد أسرار مفهوم الضمنية في متصور المواضعة اللغوية.

أما **ابن سينا** فإن الذي تطرق به إلى هذه القضية اللغوية إنما هو مشكل التحولات الدلالية في صلب اللغة وكيف يخرج ويعدل اللفظ عن "دلالته بالوضع الأول التي هي الحقيقة ، إلى دلالة بالوضع الطارئ وهي المجاز .وهو إذ يفسر عملية الخروج والتحول يربط كل ذلك بشيئين أساسيين ،أولهما إرادة المتخاطبين باللغة ،وثانيهما اعتباطية الاقتران بين الدال والمدلول، ثم يخلص من هذا التقرير المزدوج إلى ربط ظاهرة التفاهم عن طريق اللغة بمبدإ التعارف الذي هو اعتراف من المتكلم والسامع معا ببنود المواضعات في تلك اللغة المعنية بالتحاور "[3] .

"ولعل **عبد القاهر الجرجاني** بحكم سعيه الدؤوب إلى ربط حقائق اللغة بقوانين التركيب والأداء والإعجاز هو الذي أتقن كشف خفايا هذه الظاهرة إتقانا حاسما حتى ارتقى بالقضية إلى أبعادها

[1]– عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**،ص:164.

[2]– المرجع نفسه ،ص:164.

[3]– ابن سينا ، **المقولات** ،القاهرة ،1959،ص:169.

الشاملة فصاغ لها قوانين على مضرب الكليات مما يصدق على الكلام البشري مطلقا"[1]، وذلك لأن وصف اللفظة بأنه حقيقة أو مجاز حكم فيها من حيث إن لها دلالة على الجملة لا من حيث هي عربية أو غير عربية، وهذا حكم قاطع يجعل قضية المجاز مبحثا في مدلولات اللغة قبل أن يكون مبحث في دوالها." ونظير هذا أن تضع حدا للاسم والصفة في أنك تضعه بحيث لو اعتبرت به لغة غير لغة العرب وجدته يجري فيها جريانه في العربية لأنك تحده من جهة لا اختصاص لها بلغة دون لغة، وهكذا يعي الجرجاني مبدأ اندراج المجاز في باب الكليات وعيا صارما بحيث انبرى يكشف غفلة الناس عنه حتى لكأنه يفضح من ذهب منهم إلى الظن بأنه ليس لهذا العلم قوانين عقلية (...) ولقد فحش غلطهم فيه "[2].ومن الطبيعي أن يقف **الجرجاني** ـ ومنطلقاته على ما هي من إحكام وحصافة ـ على أسرار عملية التحويل الدلالي فيأتينا بأوضح تعريف للمجاز وأدقه فإذا بالمجازات باب تسلكه اللغة من أداء وظيفتها الإخبارية إلى أداء الوظيفة الإبداعية.

3 .اكتساب المواضعة :

يعد اكتساب المواضعة من الموضوعات التي شغلت بال المفكرين القدامى والمحدثين، وقد استدعت هذه المسألة اللغوية انتباه **المسدي** فراح وأصل لها في التراث اللغوي العربي القديم عند مجموعة من الدارسين العرب القدامى، وتعود أهمية دراستها عنده إلى أن اللغة جزء من المعرفة الإنسانية، ودراسة اكتسابها تسلط الضوء على قضايا اكتساب المعرفة بصورة عامة وفي حديثه عن هذه القضية اللغوية نلفيه في هذا السياق يقول :" وموضوع الاكتساب والتحصيل من المواضيع المبدئية في الدراسات الإنسانية قاطبة وهو من القضايا المعرفية ذات الطابع الشمولي سواء في توفيره نموذج تقاطع الاختصاصات واشتراك المعارف، أو في اتصاله بقضايا التنظير التأسيسي والمواصفة التأسيسية في آن معا"[3].

---

[1]– الجرجاني ،**أسرار البلاغة في علم البيان** ،تح:عبد المنعم خفاجي ،ج2،القاهرة ،ص:218-220.

[2]– عبد السلام المسدي ، **حد اللغة في التراث اللساني العربي** ،ص:416-417.

[3]–عبد السلام المسدي، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**،ص:209.

لقد بين **المسدي** أن المفكرين العرب قد تعرضوا لهذه القضية اللغوية وقد استطاعوا أن ينفذوا إلى خصائص الظاهرة اللسانية بالاعتماد على ملابسات اقتنائها، وطرائق تحصيلها .وهنا نلاحظ جانبين متصلين هما:تحديد خصائص اللغة، وطرائق تعلمها .ومن المفكرين العرب الذين طرقوا أبواب هذه القضية اللغوية **ابن جني** (392هـ).فلقد نظر إلى اللغة على أنها طبع فطر عليها الإنسان والحال على غير ذلك ،فهي عملية يتم اكتسابها والدليل " على أن اللغة في أصل وضعها تمارس بالطبع" [1]، نطق العرب في عصر الاستشهاد باللغة الصحيحة الفصيحة كانت سليقة لهم وطبعا ملازما وفطرة فطرهم الله عليها فكأنما ولدوا وهي تسري في عروقهم شأنها شأن سحنتهم وطباعهم.

أما المحدثون "فيرون أن هذه النظرية غير صحيحة ، وأن اللغة اكتساب وعرف، وأن هناك فرق بين الاستعداد للتكلم والتكلم نفسه، والأول هو الذي يصح أن نطلق عليه الخليقة والفطرة، وأما الثاني فيكتسبه الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه كما يكتسب كل المظاهر الاجتماعية الأخرى"[2] .

لقد وقف **ابن جني** في كتابه الخصائص عند قضية اكتساب الإنسان لغة غيره ،ولذلك عقد بابا بعنوان " العربي يسمع لغة غيره أيراعيها ويعتمدها أم يلغيها ويطرح حكمها "[3].

لقد بين أن العرب متباينون في تلقي الواحد منهم لغة غيره وفي هذا السياق يقول : " واعلم أن العرب يختلف أحوالها في تلقي الواحد منهم لغة غيره، ومنهم من يخف ويسرع ، فيقول ما يسمعه ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة"[4]، ويستشهد على من يقيم على لغته البتة في قصة أوردها أبو حاتم قال:قرأ علي أعرابي قوله تعالى:" طُوبِىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ"[5].فقلت طوبى:فقال

---

[1]– المرجع نفسه ،ص:214.

[2]– ينظر :إبراهيم أنيس ،**من أسرار اللغة** ،ط1975،،5،ص:19

[3]–ابن جني ،**الخصائص**:14/2.

[4] –المرجع نفسه : 383/1.

[5]– سورة الرعد :الآية :29

طيبي، فقلت :طوبى ،فقال :طيبي، فلما طال علي قلت :طوطو، فقال :طيطي ويعلق ابن جني على ذلك قائلا :" أفلا ترى إلى استعصام هذا الأعرابي بلغته وتركه متابعة أبي حاتم "[1] إن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن اللغة طبع فطر عليها الإنسان منذ ولادته ،فهي صفة راسخة في الذات الإنسانية **فابن جني** " ما انفك يؤكد أن اللغة في أصل وصفها إنما تمارس بالطبع الذي يغدو في الممارسة اللسانية "[2].

أما **أبا حيان التوحيدي** فقد رأى أن اكتساب اللغة مردها عامل الغريزة فهو يرى أن كل إنسان مزود بغريزة خاصة تحمل الإنسان على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة " معتبرا أن ممارسة الإنسان للحدث الكلامي لا بد أن يستند إلى بناء وترتيب قائمين في غرائز أهل اللغة المقصود بالذات "[3]، وهذا الكلام يوافق نظرية بووه بووه pooh pooh التي تعد من بين النظريات الأربعة في علم اللغة الحديث "فوفقا لهذه النظرية فإن اللغة قامت بدافع غريزي لدى الإنسان للتعبير عن انفعالاته تماما كانفراج أساريره وضحكه وبكائه ،ليعبر عن السعادة أو الفرح أو الحزن ،فيصدر أصواتا مثل؛ أف ، أووه ، وكانت هذه الألفاظ متطابقة في دلالتها لدى الجماعة الإنسانية بأكملها مما أحدث تفاعلا بين الجماعة "[4].

أم **ابن وهب** ،فقد نظر إلى اكتساب المواضعة على أنه ناجم من حواصل العادة لأنها وسيلة قديمة مؤثرة في حياة الإنسان كلها، ولا نستثني أي جانب منها :ولقد قيل بأن العادة تتم عن طريق التكرار " قيل فما العادة ؟قال:حال يأخذ بها المرء نفسه من غير أن تكون مسنونة يجري عليها، مجرى ما هو مألوف طبيعي، قال أبو سليمان المنطقي :كأن هذا الاسم ليس يخلص إلا لمن أتى شيئا مرارا ، وأما في أول ذلك ،فليس له هذا النعت ،وإنما يصير مألوفا بالتكرار "[5].

---

[1]– ابن جني ، **الخصائص** :384/1.

[2]– عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:214-215.

[3]– المرجع السابق، عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:215.

[4]– ينظر محمد بوعمامة ،**قضايا لغوية ـتراث ومعاصرة** ـ،دار الكتب المصرية ،ص:88-89.بتصرف.

[5]– أبو حيات التوحيدي ،**الإمتاع والمؤانسة** ،صححه أحمد أمين ،مكتبة الحياة :132/3.

أما **ابن خلدون** ،فقد تناول هذه القضية مستعملا مصطلح الملكة اللسانية "فلم يرد في التأليف العربي القديم أن استعملت الملكة اللسانية لتدل على أبنية أو صور أو أي اسم آخر مطبوعة في حيز من الدماغ ولا يمكن أن يستعملها أحد بهذا المعنى وإلا ناقض الطبيعة المسندة إلى قوى النفس المعرفية والتعلمية في بدء وجودها بل أينما استعملت ملكة"[1] قصد بها صفة راسخة مكتسبة، فالملكة اللسانية عند **ابن خلدون** يعني بها قدرة اللسان على التحكم في اللغة والتصرف فيها ؛ إذ يقول: "اللغة ملكة في اللسان وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد "[2].

لقد بين **المسدي** بأن اللغة عند **ابن خلدون** ملكة صناعية، ولقد ربطها بالمؤهلات الفطرية لدى الإنسان دون وعي لقوانينها وانفصال المفردات عن التراكيب " إذ أن الملكة في الحدث اللساني تستند إلى حصوله كلا لا يتجزأ؛ أي أن ممارسة الإنسان للغة بالملكة تنفي عنه أن يكون واعيا بانفصال مفرداتها عن تراكيبها "[3]، فاللغة عبارة عن ميزة إنسانية يكتسبها الإنسان بشكل متدرج غير مقصود فتبدو هذه المقدرة وكأنها طبيعة وفطرة؛ لأن "الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل "[4].

أما في طرائق تحصيل اللغة فقد رسخ المسدي متصورا لذلك أطلق عليه " مبدأ الارتياض بالمعاودة "[5]؛ أي أن " الملكة تنتج من تكرار الأفعال بداية مضروبا في الزمن"[6]، فالملكة بمفهومها العام عند **ابن خلدون** صفة راسخة في النفس نتيجة استعمال الفعل وتكراره مرات عدة وبذلك تتكون هذه الملكة عنده بالتكرار إلى أن تصبح عادة أو طبع " فالملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال ...ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها

---

[1]– محمد الأوراغي ،**اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم** ،ط2،دار الأمان ،الرباط،1435هـ2014م ،ص:132.

[2]– ابن خلدون ،**مقدمة** ،تح:علي عبد الواحد وافي ،نهضة مصر للطباعة والنشر ،2004 :1149/4.

[3]–عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:216.

[4]– ابن خلدون ، **مقدمة** ،القاهرة ،دار الطباعة العامرة ،بولاق ،1974،ص:289.

[5]–عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:226.

[6] –المرجع نفسه، ص:226.

فيلقنها أولا .ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها بعد ذلك .ثم لا يزال سماعه لذلك يتجدد ...واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة..."[1].

وهكذا يبين **ابن خلدون** أن خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة واحدة ، فلا بد لها من زمان وتكرار مرات عدة ؛ أي لا بد لها من ارتياض ومعاودة كما سماها **المسدي** ويعد مبدأ السماع من المبادئ التي أقرها **ابن خلدون** في تحصيل اللغة حين قرر مبدأ مهم انطلق منه وهو: السمع أبو الملكات اللسانية ، فقد اهتم به في مقدمته، ورأى أن الطفل يكتسب لغة محيطه الاجتماعي الذي تربى ونما فيه من خلال هذه الحاسةالسمع فالطفل عندما يترعرع في بيئة معينة، تتلقى أذنه التراكيب، والصور البلاغية والكيفيات الكلامية فيقوم بالتعبير عن أغراضه بواسطة هذه الكيفيات، ويستمع إليها فيختزنها ليعبر بها في مقامات يحتاجها ، **فابن خلدون** من خلال حديثه عن مفهوم الملكة، فإنه يوضح الفرق بينها وبين الطبع ، بحديث العرب الفصحى وهو أن كلامهم هذا ليس طبعا جاهزا هكذا دون تعلم، وإنما هو ملكة تكونت ورسخت فيهم وأصبحت لا شعورية وفي هذا السياق يقول:" ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم إعرابا وبلاغة أمر طبيعي، ويقول:كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت ، فظهرت في بادئ الأمر أنها جبلة وطبع" [2]فالفرق بين الملكة والطبع عند **ابن خلدون** هو أن الملكة تكون قبل اكتسابها أمرا شعوريا، أما بعد اكتسابها فتكون لا شعورية .أما الطبع فإنه منذ البداية غير شعوري لأنه فطري ولد مع الإنسان .

ومجمل ما يقال عن آراء **ابن خلدون** في قضية اللغة واكتسابها أنها شابهت ما اعتمد عليه **تشومسكي** في نظريته اللغوية، ولذلك لوجود وشائج بينهما فيما يتعلق بالملكة اللغوية **فتشومسكي** بين الكفاية اللغوية" التي هي المعرفة الضمنية غير الشعورية بقوانين اللغة التي تمكن الإنسان

[1]– ابن خلدون ، **مقدمة** ،ص:289.

[2]– المرجع السابق، ابن خلدون ، **مقدمة** ، ص:289.

من إنتاج الجمل وفهمها وبين الأداء اللغوي الفعلي وهو الاستعمال الآني لهذه المعرفة في الكلام "[1]، وهذا لا يختلف عن التفريق الذي ميزه ابن خلدون بين الملكة اللسانية التي يقصد بها"قدرة اللسان على التحكم في اللغة والتصرف فيها"[2]وبين صناعة العربية التي هي "معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة"[3]، **فابن خلدون** يرى أن ملكة اللغة عند الإنسان ليست وراثية أو طبيعية ولكنها تحتاج إلى ممارسة وتدريب وحفظ لكلام أهل اللغة حتى يصبح الناطق بها كأنه واحد منهم، وهذا ما نادى به **تشومسكي** في أن اللغة فطرة خاصة بالإنسان وأن اكتسابها فطرة وقدرة عقلية مغروسة فيه منذ الولادة.

إن ما أثبت في شأن الملكة اللسانية يوافقه كلام **القاضي عبد الجبار** في أجزاء من كتابه(المغني)، عن مصطلح الكلام " أما القاضي عبد الجبار فإنه يثير مشكلة الاكتساب اللغوي من باب العلاقة المعقودة بين الكلام والعقل، فتبين منها أن الكلام يندرج في محصول المكتسبات لدى الإنسان لأنه مندرج ضمن مفعولاته، وعن هذا البسط المبدئي ينتج انفصام سببي بين علاقة الإنسان بمادة العقل لديه وعلاقته بملفوظه الكلامي، فينتفي عندئذ مبدأ صدور الكلام صدور العلة المباشرة، ويلتحق بصنف الملكات المكتسبة بالمران"[4]، ولقد استدل في مواضع غير قليلة على أن الكلام مفردات وتراكيب موضوع، ومما يبين ما استدل عليه سؤال متوقع محتواه:" فإن قيل :لم اختار العاقل المواضعة على الكلام وجنس الأصوات دون الحركات وسائر ما في مقدوره ؟والجواب عنه :و إنما اختار أهل المواضعة الكلام في ذلك دون غيره لأنه أوسع بابا من غيره"[5].

---

[1]– ميشال زكرياء ،**قضايا ألسنية تطبيقية** ،ط1، دار العلم للملايين،1993،ص:61 .

[2]– محمد عيد ، **الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون** ،عالم الكتب ،القاهرة ،ص:05.

[3]– ابن خلدون ، **مقدمة** ،ط1،دار الفكر ،بيروت ،2004،ص:636.

[4]–عبد السلام المسدي ،**التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:217.

[5]–القاضي عبد الجبار ،**المغني في أبواب التوحيد والعدل** ،**الفرق غير الإسلامية** ،تح:محمود محمد الخضيري ، القاهرة 1965 .162/5

وإذا كان الكلام موضوعا فإن كل ما ينتمي إليه يجب دخوله في المدركات الحاصلة المكتسبة بحيث لا يقدر عليه إلا من حصل له العلم بكيفية عمله .وهذه قضية ثابتة تسري في الفكر العربي على اختلاف ميادينه ،وبها يقترن سؤال مهم في صوغه يمكن القول :إذا كان اللسان موضوعا لا يقوى عليه إلا من حصل له العلم بكيفية عمله فبأي قدرة تمكن ابتداء من صنع اللسان وإنشائه.

وبعبارة **القاضي عبد الجبار** ،وقد أسندها إلى سائل متوقع " فإن قال قائل :وكيف يخطر ببال المواضع لغيره هذه الحروف، وكيفية نظامها بالبال حتى يواضع عليه؟ولو صح أن يبتدئ بذلك من غير علم متقدم لصح في سائر الأفعال المحكمة أن تقع من غير عالم بكيفيتها"[1]، والنتيجة اللازمة " أن اللسان نظر إليه من جهة النشأة والوضع أو من جهة اكتسابه، يجب أن يكون محكوما بملكة عليها هي الملكة العقلية بواسطة هذه الملكة يقوى الواضع على استنباط ما يجب أن يعمل وعلى أي وجه يجب أن يعمل اللسان، ويكون اللسان عندئذ كأي صناعة متعلقة بالملكة العقلية العملية الحائلة للإنسان"[2].وهذا يعني أن المنظرون العرب عندما تحدثوا في الاكتساب المباشر للغة الأم، فإنه لم يفتهم أن يتحدثوا في الاكتساب الطارئ حين تصل الملكة اللسانية إلى حد العقلية .ويمكن أن نسمي هذا الاكتساب عندها، الاكتساب العقلي، لأنه خرج باللغة من الفطرة إلى الفطنة على حد عبارة التوحيدي، ويبدو هذا الاكتساب في مظهرين اثنين أولهما :تعلم قوانين اللغة الأم ووصف هياكلها . والثاني تعلم لغة أجنبية.

وفي مجال الازدواج اللغوي، أي تحصيل لغتين نلاحظ" امتزاج الثقل الحضاري بالميزان الديني وانصهار المضمون العقائدي في ذات اللغة نصا وتشريعا وتعبدا، كل ذلك قد جعل البناء اللغوي في الحضارة العربية نازعا نحو التوحد حتى لكأن الازدواج اللساني أو التعدد اللغوي قضيبة معزولة عن حاجة البسط والمطارحة"[3].

---

[1]– المرجع السابق ،ص:161.

[2] –محمد الأوراغي ،**اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم** ،ص:134.

[3]–عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:232.

ومع هذا نلفي في التراث اللغوي العربي نفثات استقرائية كما وسمها **المسدي** ـدلت على نظر عميق في هذه القضية، ف**الجاحظ** مثلا يرى أن متى ازدوجت تجربته اللسانية يواجه نمطين من المواضعة لهذا يمكن القول أنه كلما تجانست أضرب المواضعة في اللغتين سهل على المتكلم بهما التحول من لغة إلى أخرى، كما أنه رسم قانون التناسب الطردي بين الحاجة إلى اللغة الطارئة معللا بفارق السن في الاكتساب والتحصيل ويسبق الملكة الأولى ورسوخها في النفس.

"غير أن موضوع ازدواج التحصيل قد قاد صاحب الخصائص في سياق آخر إلى تقرير طريف هو على غاية من بعد النظر ودقة .فقد صاغ قانونا نظريا يتصل بما نسميه اليوم مضمون اللسانيات العامة ويتمثل في القول بأن اللغات تتداخل في قسط من النواميس المشتركة حتى إن العالم بمواضعات لغة إذا سعى إلى تحصيل مواضعات لغة أخرى استقام له من معرفته الأولى ما به يفك أسرار المواضعة الطارئة"[1]. **فابن جني** توصل بحسه اللغوي الدقيق إلى قانون تداخل اللغات في قسط من قوانينها المشتركة وهو قانون يتصل بمضمون اللسانيات العامة اليوم .

والنتيجة المستخلصة من كل هذا أن اللغة قد شغلت بال الدارسين على مر العصور من حيث اكتسابها وتعلمها، وعلاقتها بالتفكير، وإن اتباع المنهج السوي والسليم في الدراسات يفضي الوصول إلى نتائج مقبولة مما يفسر لنا بعض التقارب والمطابقة أحيانا بين مختلف الآراء رغم البعد الزمني واختلاف الثقافة وتباين المعتقد.

4.الكلام والزمن

لقد طرق **عبد السلام المسدي** أبواب هذه القضية اللغوية، وبين أن الفكر العربي قد وفق في حصر الظاهرة اللغوية في حيزه الزماني والمكاني بحيث لا يمكن الفصل بين الاثنين في دراسة مقدرات الكلام فهما وجهان لعملة واحدة، ولقد ميز بوضوح بين الكلام كخطاب يقع في مكان وزمان محددين وله وظيفة إخبارية واضحة، فالإنسان من حيث " هو كائن مكلف في هذا الكون

[1]– المرجع السابق، عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:235-236.

مضطر باستعداده الخلقي والنفسي إلى الخطاب لاضطراره إلى الحياة الاجتماعية ،فهو مؤهل سلفا لإنتاج الصوت بوصفه ظاهرة فيزيولوجية وفيزيائية واستخدامه لتحقيق عملية التواصل بين أفراد المجتمع البشري "[1] .

ولما كان منطلق التصور النظري في الحقيقة العضوية للغة هو التحديد العلامي بما يحمله من بعد اصطلاحي وموضوعي فإن التوفق إلى الإمساك بأركان بنية الكلام قد كان متيسرا اهتداء أعلام التفكير اللغوي في التراث العربي إلى اقترانه بخصائص الظاهرة الفيزيائية أولا وبالذات " فالكلام في حد ذاته يعرف بأنه حروف منظومة وأصوات متقطعة "[2]، ومرد ذلك أن الكلمة هي عبارة عن حروف، والحروف عبارة عن أصوات متقطعة " وهذا ما يقود إلى التحديد الاستقرائي المتصاعد من الجزء إلى الكل؛ لأن الحروف أصوات مفردة إذا ألفت صارت ألفاظا، والألفاظ إذا ضمنت المعاني صارت أسماء، والأسماء إذا تتابعت صارت كلاما والكلام إذا ألصق صار أقاويل"[3]، فتتكامل على هذا النمط هوية اللغة من خلال رسم معالم الكلام الذي هو العبارة المتجسدة في إنجاز فعلي يتخذ شكل التحقق الفيزيائي المرتبط بعامل الزمن.

ومما يلفت انتباه **المسدي** في التراث اللغوي العربي القديم والمستجلي لكوامنه عبر منطوق نصوصه ومضمونها في هذا السياق إدراك العرب أن الصوت لا ينفك عن الزمن تصورا وإنجازا وهذا ما ذكره **ابن حزم والفارابي** وغيرهما وفي هذا السياق يقول:" أما عن ظاهرة اندراج الكلام في صلب الزمن فتتمثل في خصوصية الصوت الملازم للحدث التعبيري بالضرورة ،والصوت لا ينفك عن الزمن تصورا وإنجازا ،ويحدد ابن حزم بأنه هواء مندفع من الحلق والصدر والحنك واللسان والأسنان والشفتين إلى آذان السامعين" [4]، **فالخفاجي** يرى أن " ربط فكرة الزمن بإنجاز الفعل اللغوي قد اقتضى جلاء الفارق النوعي بين عملية التصويت المطلق وعملية التصويت اللغوي

---

[1]– أحمد حساني ،**مباحث في اللسانيات (صوتي ،تركيبي ،دلالي)** ،ص:66.67.

[2]–عبد الجبار القاضي،**المغني** :3/7.

[3]–عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:254.

[4]–المرجع نفسه ،ص:255.

وفي هذا السياق اكتشف مبدأ التقطيع" [1]؛ والمعنى المراد من هذا النص أن الترابط بين الصوت والزمن اقتضى من العرب أن يميزوا بين مجرد التصويت وإنجاز الحرف الكلامي في المخرج على أساس أنه يحدد اللحظة التي ينجز فيها الحرف على محور الزمن ،كما استطاعوا ضبط مدارج التقطيع ويمكن التمثيل لهذا بالإشارات البحرية مثلا وعلامات المرور التي تقرأ عبر المكان وفق مبدأ الجشطلت، وتدرك دفعة واحدة ،فنحن نشاهد الجملة مرة واحدة ودفعة واحدة، لكن قراءتها أو نطقها أو كتابتها تتم وفق بعد زمني ترتيب وحداتها واحدة تلوى الأخرى فمثلا : كتب :ك+فتحة+ت+فتحة+ب+فتحة خلافا لـ(كتب) حيمنا نشاهدها في شكل وحدة تشغل حيزا مكانيا :كَتَبَ قابل للانعكاس والآنية " فالتمثل الذهني للغة يختلف عن تمثل الصورة الخارجية، فاقتضاء الزمن في الثانية هو اقتضاء أني لحظي، يتجسد في الانعكاس المباشر، أما خطية الجملة في المنطوق اللساني، فتستلزم أزمنة متعاقبة اقتضاها التقطيع في إنتاج السلسلة الكلامية في توالي مقاطعها الصوتية"[2] .وإلى ذلك يذهب **سوسير** أيضا بعده سمات العلامة اللسانية، ومنها " الطبيعة الخطية للدال .لما كان الدال شيئا مسموعا (يعتمد على السمع) فهو يظهر إلى الوجود في حيز زمني فقط ويستمد منه هاتين الصفتين (أ)أنه يمثل فترة زمني و(ب) وتقاس هذه الفترة ببعد واحد فقط :فهو على هيئة خط. إن المبدأ الثاني هذا واضح كل الوضوح وقد أهمله علماء اللغة، لا شك أنهم وجدوه بسيطا جدا ومع ذلك فهو أساسي له نتائج لا تحصى .فأهميته تضاهي أهمية الصفة الأولى :إذ إن عمل اللغة بأكمله يعتمد عليه ...ويختلف الدال السمعي عن الدال البصري في أن الدال البصري؛ كإشارات الملاحة مثلا يوفر إمكانية قيام مجموعات على عدة أبعاد في آن واحد في حين أن الدال السمعي له بعد واحد فقط وهو البعد الزمني .وعناصر الدال السمعي تظهر على التعاقب .فهي تؤلف سلسلة وتتضح هذه الخاصية عندما نعبر عن الدال

[1]–ينظر: الخفاجي ،**سر الفصاحة** ،ص:15.الرازي ،مفاتيح الغيب :16/1.

[2]–كريم عبيد علوي ،**كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات** ،ط1،دار الأمان الرباط 1434هـ2013م،ص:98.

كتابة، فيحل الخط المكاني لعلامات الكتابة محل التعاقب الزمني"[1] ، ونلفي المسدي في هذا السياق يقول: " فإذا استقامت جملة هذه المبادئ العامة في طرح إشكال التزامن بين عامل الزمن وعنصر الكلام تسنى للناظر اللساني أن يضبط مدارج الزمن على حدث الكلام، ونعني بذلك استقراء المراتب التي تتنزل فيها أجزاء التصويت على نقط المحور الزمني فيزيائيا، بحيث نستكشف وحدات الزمن الطبيعي محددة بفترات الإنجاز الكلامي ،كما لوكان الحدث اللغوي عقارب الساعة الزمنية على محور الوجود الفيزيائي ذلك ما نصطلح عليه بمدارج التقطيع "[2]، وتتمثل مدارج التقطيع في أربعة حروف : الحروف الشديدة والحروف الرخوة والحركات ثم المقطع، وهذا الأخير هو الوحدة الأساسية، وقد عرفه المسدي بأنه " القذفة الصوتية المحصورة بين انطباقين من انطباقات الجهاز الصوتي"[3].

لقد بين عبد **السلام المسدي** أن هذا المصطلح الموسوم ب**(المقطع)** قد كان موجودا عند التراثيين العرب، ولقد عرض له **الخفاجي** بقوله: " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا " [4]، ويفهم من قول **الخفاجي** هذا أن المقطع عنده له دلالتان إحداهما مكان خروج الصوت، والأخرى الصوت نفسه.ثم يعود **الخفاجي** لنفس الموضوع بضرب التصوير المحسوس المدقق لجهاز التصويت فيضيف " والحروف تختلف باختلاف مقاطع الصوت حتى شبه بعضهم الحلق والفم بالناي ،لأن الصوت يخرج منه مستطيلا ساذجا فإذا وضعت الأنامل على خروقه ووقعت المزاوجة بينها لكل حرف منها صوت لا يشبه صاحبه فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم بالاعتماد على جهات مختلفة سمعت الأصوات المختلفة التي هي حروف، ولهذا لا يوجد في صوت الحجر وغيره لأنه لا مقاطع فيه للصوت"[5]. إن **الخفاجي** في

---

[1] –فردينا ندي سوسير ،**علم اللغة العام** ،ص:89

[2]–عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:257

[3]– المرجع نفسه ،ص:261

[4] -الخفاجي ، **سر الفصاحة** ،تح:علي فودة ،ط1 ، القاهرة ،1932،ص:15

[5]- المرجع نفسه،ص:18.

نصه هذا يدرك معنى الجهاز النطقي ووظيفته وطبيعته إنه يشبه هذا الجهاز بالناي، ويقارن عملية النطق وما ينتج عنها من أصوات بحركات أصابع اليد على ثقوب الناي فكما أن هذا التحريك من وضع أصابع اليد ورفعها ينتج نغمات مختلفة، فكذلك أعضاء النطق حين تعترض الهواء أو تسمح له بالخروج من هذه النقطة أو تلك .

أما **ابن سينا** فإنه يعالج القضية من زاوية البحث عن سبب حدوث الحروف مستعملا في ذلك مصطلح المحبس، ويعد الأول من استعمله ونلفيه في هذا السياق يقول : " وأما حال التموج من جهة الهيئات التي تستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه فتفعل الحروف" [1].

لقد بين المحدثون ومنهم **إبراهيم أنيس** أن لكل من المخرج والمحبس في هذا النص دلالة خاصة به، إذ يقول: " وأغلب الظن أنه يريد بالمخارج مجرى الهواء أو طريقه الذي يكون : إما في الأنف وذلك مع (الميم والنون)، أو من الفم مع باقي الحروف، أما المحابس فيبدو أن ابن سينا يريد بها ما أراده القدماء بمصطلحهم المخارج "[2]، ولعلي أتفق مع الدكتور **إبراهيم أنيس** في غلبة هذا الظن؛ لأنه الدقة في كلام **ابن سينا** ترجح ذلك، إذ يشير العطف بالحرف (الواو) إلى أن المخرج شيء والمحبس شيء آخر و إلا لم لَمْ يعطف ابن سينا ب(الواو)؟

إن مفهوم المخرج عند المحدثين ، فإن أهم ما يميزه هو التركيز على العائق أو العارض الذي يعترض النفس في أثناء عملية التصويت وقد عرفه الدكتور بسام بركة بأنه : " الموضع الذي توجد فيه العقبة أو العائق التي تتكون من تطبيق أو إغلاق الممر الفمي أثناء النطق" [3].

لقد تنبه العرب القدامى إلى ظاهرة صوتية لا يمكن إنكار وجودها في نظام لغتنا العربية ألا وهي ظاهرة النبر، ولكن أغلب اللغويين العرب القدامى حتى لا نجمع لم يستخدموا مصطلح النبر بهذا المفهوم الحديث، بل استخدموا مصطلح الهمز للدلالة عليه، ويؤكد هذا الكلام فوزي الشايب

---

[1]-ابن سينا ،**أسباب حدوث الحروف** ،تح:محي الدين الخطيب ،مط:المؤيد ، القاهرة ،1332هـ ،ص:04.

[2]- إبر اهيم أنيس ، **الأصوات اللغوية** ،مكتبة الأنجلو مصرية ،ط5،2007،ص:134.

[3]–بسام بركة، **علم الأصوات العام** ، مركز الإنماء القومي ،بيروت ،1988، ص:73.

بقوله :" والنبر بهذا المفهوم شيء جديد على الدراسات اللغوية ،فلم ينتبه إليه السلف فقد عرفوا النبر بمعنى مرادف للهمز "[1]، وفي تأكيد هذه المسألة " أعرض إلى ذكر مقولة هنري فليش الذي يرى أن نبر الكلمة كان مجهولا لدى اللغويين العرب، لأنهم لم يذكروه بين مصطلحاتهم "[2].

إن إنكار (هنري فليش)معرفة اللغويين العرب للنبر بادعائهم جهلهم لمصطلحه فإنكار مردود لأنهم يعدون النبر والهمز شيئا واحدا، فقد جاء في لسان العرب أن " النبر بالكلام : الهمز، قال: وكل شيء رفع شيئا فقد نبره، والنبر : مصدر نبر الحرف ينبره نبرا همزه"[3].

وفي مجال الدراسات اللغوية " النبر بالكلام المهموز، وكل شيء رفع شيئا فقد نبره، ونبر الحرف ينبره نبرا همزه " [4] ؛فالمستقرئ لكوامن هذا النص يستخلص أن النبر رفع وهمز والهمز في مفهومه العام غمز وإثارة، وفي مجال الدراسة الصوتية وقفة حنجرية ينتج عنها صوت مجهور شديد عند القدماء كما أن له تأثير واضح في براز الحجم الكمي والتكثيف النوعي لعملية إنجاز الحدث اللساني .وعند **ابن سينا** أن للنبر وظيفة تمييزية من حيث الدلالة الإبلاغية وبها يتحدد طابع الجملة إن كان نداء أو تعجبا أو سؤالا .كما أن لها وظيفة على صعيد البنية التركيبية، ونلفي **المسدي** في هذا السياق يقول: "ثم يستوفي موضوع النبرة حظه عند **ابن سينا** في الفن الثامن من جملة المنطق الموسوم بالخطابة، وأول ما يبرز في هذا المضمار اعتباره نغم الجملة ذا وظيفة تمييزية من حيث الدلالة الإبلاغية ، فيما يسميه النبرة يتحدد طابع الجملة إن كان نداء أو تعجبا أو سؤالا ، بل إن للنبرة دورا وظائفيا على صعيد البنية النحوية أحيانا ولا سيما في أقسام اللفظ المركب"[5]، فالنبر عند **ابن سينا** فونيمي ويؤدي وظيفة تمييزية في العربية ويشاطر هذا

---

[1]–فوزي الشايب ، **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية** ،ط1،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،إربد ، الأردن 1425هـ .2004م،ص:158.

[2]–هنري فليش،**العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد** ،تر: عبد الصبور شاهين ،دار الشروق ،بيروت ،1983،ص:49.

[3]– ابن منظور ،**لسان العرب** ،ط3، دار صادر بيروت ،1994،،ج5،،ص:189،(نبر).

[4]– المرجع نفسه ،ص:189.

[5]– عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:265،266

الرأي **محمد علي الخولي** في كتابه (الأصوات اللغوية) حين يقول: " أما اللغة العربية فالنبر فيها فونيم أيضا، فلو قلنا (كان) مع النبر على المقطع الأول، ثم قلناها والنبر على المقطع الثاني لأصبحت (كانا) وهي ذات معنى مختلف، ولو قلنا (ذهب) مع النبر على المقطع الأول ثم قلناها مع النبر على المقطع الأخير لأصبحت (ذهبا) وهي ذات معنى مختلف أيضا، وهذا يدل على فونيمية النبر في اللغة العربية " [1] .

ومهما يكن التباين بين القدامى والمحدثين، فإن النبر موجود في الدراسات اللسانية العربية والمصطلح موجود كذلك مع أن القدماء استخدموا مصطلح الهمز، وهو عندهم نبر وخروج شديد بإجهاد الصوت، والمحدثين وظفوا النبر واعتبروا الهمز جزء منه، ويكون في غيره مع تفاوت درجة الضغط بحسب موقعية النبر .

من خلال ما سبق نستنتج أن قدماء اللغويين العرب" لم يعرفوا النبر بمعنى الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة وهذا هو وجه الاختلاف بينهم وبين علماء اللغة المحدثين، ولعل ذلك يرجع إلى كونه ـأي النبرـ لا يقوم بوظيفة دلالية في العربية الفصحى، سواء أكان ذلك عن طريق الضغط أم المطل أم الإشباع"[2].

وعن مبدأ التصويت ومبدأ التقطيع انبثقت في تيار الفكر اللغوي قضية هي من أغرز القضايا النظرية وأدق المسائل التجريدية ألا وهي قضية الانتظام .ومفهوم الانتظام هذا قد مثل مسربا وجيها أماط اللثام عن كثير من أسرار الظاهرة اللغوية العامة انطلاقا من كشف خصائص اللسان عبر استقراء مميزات الكلام " **فابن حزم** بعد أن حلل عملية الأداء الصوتي تحليلا يضاهي التحليل الاختباري استنادا إلى البحث في ظاهرة التقطيع تطرق إلى استجلاء حقيقة نظام اللغة في ضوء مبدأ تعاقب أجزائها الأدائية "[3].ولكن الأهمية في ذلك قد جاءت في استخلاصه لقضية ارتباط

[1]- محمد علي الخولي ، **الأصوات اللغوية** ، ط1، مكتبة الخريجي ،الرياض ، السعودية ،1407هـ .1987،ص:162

[2]– محمد بوعمامة، **قضايا لغوية** ـ تراث ومعاصرة ـ،ص:61.

[3]–عبد السلام المسدي ، **حد اللغة في التراث اللساني العربي** ،ص: 406.407.

الدلالة بهذه الصفة الأساسية معللا ذلك بأن " لهذه الحروف ترتيبا في ضم بعضها إلى بعض ، يقوم من ذلك الترتيب فهم المعاني في الكلام"[1].

لقد بين **المسدي** أن المفكرين العرب قد اهتدوا في ضوء الأمور السابقة جملة من خصائص الكلام ومقوماته بالاحتكام إلى عامل الزمن ، أما الخصيصة الأولى، فهي أن الكلام سمة الخطية وفي هذا السياق يقول:" ومن أهم ما تولد عن فكرة الانتظام هذه في تحليلات المنظرين من رواد التراث العربي تكشف ركن آخر من أركان الظاهرة اللغوية في حقيقتها العضوية وسماتها التركيبية، وهذا الركن التعريفي هو اتصاف الكلام ضرورة بالتسلسل التعاقبي بحكم اندراجه ـ خلال عملية إنجازه في عامل الزمن الطبيعي، وهو ما يضفي عليه مبدأ الخطية الزمنية حتى أنها تصبح الخاصية المميزة للكلام عن سائر الأنظمة العلامية في الإبلاغ والتواصل، فتقيد الظاهرة اللغوية بعامل الزمن إبان عملية الأداء الكلامي ليس مجرد تفاعل خارجي بين ظاهرتين تتماسان عرضا ثم تنفك إحداهما عن الأخرى، وإنما هو ارتهان مداره الاقتضاء الداخلي"[2]، وهذه السمة الخطية هي التي تميز الكلام من سائر الأنظمة العلامية في الإبلاغ والتواصل، وتعني الخطية أن أجزاء الحدث الكلامي يتعذر عليها التطابق على النقطة نفسها من محور الزمن .فالتعابير الصوتية وهي ذبذبات صوتية هي التي تمنح الكلام البشري طبيعته الخطية .

ففي الدرس اللساني الحديث عند **دي سوسير** لما كانت العلامة اللسانية هي سلسلة من الوحدات الصوتية المتتابعة فإن نطقها لا يتم دفعة واحدة ، بل تدرك بواسطة السماع كسلسلة ذات مسافة مقاسة على شكل خط متصل غير قابل للانعكاس وتحدث في الزمان مما يمنح عنها كل ما يشبه الآنية .وتتعلق الطبيعة الخطية linear بالدال فقط ، أي الصورة الصوتية دون المدلول " إذ لما كان الدال شيئا مسموعا (يعتمد على السمع)، فهو يظهر إلى الوجود في حيز زمني فقط ، ويستمد منه هاتين الصفتين (أ) إنه يمثل فترة زمنية (ب) وتقاس هذه الفترة ببعد واحد فقط ،فهو على

[1]–ابن حزم ، **التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية** ،ص:50.

[2]– ينظر :عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:267.

هيئة خط"[1]؛ فإذا ما قلنا في العربية مثلا كلمة(رجل) فإننا نلحظ أن هذه الكلمة جاءت على شكل أصوات متوالية في الزمن، مبتدئة بصوت الراء تتبعه فتحة، ثم صوت الجيم الذي تتبعه ضمة ، ثم صوت اللام ،ويجري ذلك كله في تتابع زمني محدد.

إن كلام **دي سوسير** يوافق ما ذهب إليه **عبد السلام المسدي** في نصه السابق ؛ أي لا يمكن التلفظ بصوتين في آن واحد والتكرار، أي يستحيل تكرار نفس الأصوات عند النطق بها وكذا نفس الترتيب نحو الكلمات مثلا :لمس، ملس، سلم، فهي مركبة من نفس الأصوات ولكنها تختلف في معانيها لاختلاف نظام ترتيبها وحدوثها في الزمن ، ويصدق هذا على المنطوقات الصوتية عند تلفظها أو سماعها أو تأويلها وإن لم تراع هذه الخطية في عمليتي السمع أو النطق أدى ذلك إلى تشويش في الرسالة مما يؤدي إلى صعوبة تأويلها وترتبط الخطية بمورفيم الترتيب أو قرينة الرتبة، وبذلك فإن العلامات السمعية (الدوال) لا تدرك إلا تدريجيا ،وبتمييز الحروف والكلمات من بعضها البعض حتى يتسنى لنا فهم الرسالة بكاملها وبذلك فإن الدوال السمعية لا تعتمد إلا على الخط الزمني بحيث تأتي عناصرها متتالية متتابعة ،ومن البديهيات التي قررها العرب أن من حق الكلام أن يكون مرتبا في الحدوث، فالخطية إذن نقيض للجمع والتراكم . ويقترب مبدأ الخطية بمبدإ آخر وهو التعاقب ،فعند **فخر الدين الرازي** أن الكلمة لا تكون كلمة إلا إذا كانت حروفها متوالية .

أما **الخفاجي** فقد جعل الانتظام من شروط الكلام ،ونلفيه في هذا السياق يقول:" وإنما شرطنا الانتظام لأنه لو أتى بحرف ومضى زمان وأتى بحرف آخر لم يصح وصف فعله بأنه كلام وذكرنا الحروف المعقولة لأن أصوات بعض الجمادات ربما تقطعت على وجه يلتبس بالحروف ولكنها لا تتميز وتتفصل كتفصيل الحروف التي ذكرناها "[2].

[1]– فردينا ندي سوسير ،**علم اللغة العام** ،ص:89.

[2]– الخفاجي، **سر الفصاحة** ،ص:25

أما **القاضي عبد الجبار** فقد ربط بين خاصية التأليف والنظم والاتصال في الكلام من جهة ومعقوليته من جهة ثانية، وذلك في سياق يرتقي فيه إلى درجات من التجريد الذهني الذي آلت به خاتمة مطافه إلى إعادة النظر جذريا في مقولة تأليف الكلام وانتظامه بما يعيد بناء موازين الفكر وضوابط التقدير في شأن الظاهرة اللغوية كليا وفي هذا السياق يقول:" إن المراد بتأليف الكلام ونظامه معقول، لأنا لا نرجع بذلك إلى مثل تأليف الأجسام لاستحالة ذلك على الكلام لأنه عرض يستحيل كونه محلا؛ ولأنه من حق التأليف أن يحصل بين الموجودين وفي الكلام لا يصح ذلك لأن ثاني الحروف إذا وجد بطل الأول، فلو أثبتنا البقاء فيهما لأدى إلى كون الموجود مؤلفا بالمعدوم، وهذا محال، وليس يجب إذا استحال ذلك أن يكون المراد بتأليفه ونظمه غير معقول :لأنا نعني بذلك تواتر حدوثه واتصاله على الطريقة التي وضعت للفائدة ،وأنه لو تقطع لم يفد ،وإنما يعتبر إذا حصلت فيه طريقة الاتصال فشبه بالأجسام المتصلة: وقيل فيه إنه مؤلف منظوم متصل"[1] .

هكذا تتجلى طرافة تحديد اللغة انطلاقا من مبدأ الخطية المتحتمة عند إنجاز الكلام، وفي هذا المقام يبرز مفهوم النظام أو التأليف كمحدد أساسي للحدث اللغوي، فاندراجه في الزمن يجعل فكرة الانتظام فيه شيئا نسبيا لا يعدو أن يكون ضربا من الاصطلاح الافتراضي يتعذر على مقطعين من سلسلة الخطاب الأدائي أن يجتمعا في لحظة زمنية واحدة، فاعتبار الكلام نظاما أو تأليفا لا يعدو أن يكون تصورا تقديريا يدخل ضمن التصنيفات المنهجية إذ لا يتصل بواقع الظاهرة كما هي منجزة في الوجود الطبيعي.

فلئن تسنى لرواد النظر اللغوي في تاريخ الفكر العربي أن يهتدوا إلى أخص خصائص الكلام من خلال مقولة الخطية نفسها فإنما كان الفضل في ذلك إلى صرامة المنهج الاختباري ودقة التناول

[1]–عبد الجبار ، **المغني** :227/16.

النظري مما وفر المناخ المعرفي لتجلي حقائق الحدث اللساني وانكشاف نواميسه المحركة لوجوده"[1].

أما **الجرجاني** فقد اتخذ من فكرة التقطيع أصلا جوهريا في تكامل نظرية النظم عنده" فقد اتخذ من اندراج الكلام على مسار الزمان طبقا لمبدإ التقطيع أسا جوهريا في تكامل نظرية النظم عنده"[2]، وتتمثل نقطة التقاطع في تفاعل الكلام والزمن في عده ظاهرة معرضة للفناء حال وجوده، إذ يتعذر على الكلام الثبات في الزمن بالقدر الذي يتحتم اندراجه في الزمن وهذا ما أطلق عليه **المسدي** سمة الغازية، ويؤخذ من هذه السمة أن الكلام ذو طبيعة انفجارية لا يأخذ من الزمن إلا القدر الحتمي الأدبي الذي بموجبه وبوساطته يتسنى إنجازه كما يتسنى إدراكه فهو مقترن بالحينية ؛ أي أن وجوده لا يتنزل إلا في لحظته على نحو فوري خاطف.

أما الخصيصة الثانية من خصائص الكلام وهي قابليته للحكاية، وتعني هذه طواعيته للتواجد المتجدد ،فهو كالكائن الحي، إذا فني وانعدم جاز أن يبعث مستقبلا، وهذا ما يكسبه طاقة التولد على مدار الزمن، وقد تطرق المنظرون العرب إلى الحكاية في مدوناتهم ولعل أوضحهم في هذا **عبد الجبار**"الذي رأى أن الحكاية لا تستقيم إلا بشرطين هما:محاكاة البنية اللفظية والبنية الدلالية في الوقت نفسه، وقد حلل علاقة المتكلم بخطابه تبعا لكونه واضعا له أو حاكيا إياه وذكر في ذلك مصطلحين هما:الابتداء والاحتذاء ،فالاحتذاء حكاية وترديد تبعا لمعرفة كيفية المواضعة ،والابتداء تصرف وابتكار ،وبهذه الخصوصية ينفرد الكلام عن سائر الملكات الصناعية الأخرى"[3].

---

[1]–عبد السلام المسدي، **حد اللغة في التراث اللساني العربي**،ص:408 .

[2]– الجرجاني ،**دلائل الإعجاز في علم المعاني** ،ص:35.

[3]– ينظر: عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:284.

5.الكلام والشمول:

إن هذه المسألة الموسومة **بالكلام والشمول** تتعلق بالمرجع ؛ونعني به في الدر اللساني الحديث ما يحيل عليه المدلول في المثلث الدلالي من أشياء وظواهر في عالم الواقع . فبعد قطبي المعنى المتمثل في الدال والمدلول لدى سوسير ذهب أوجدن و**ريتشاردز** إلى شخصنته في قطب ثالث وهو وجود الشيء في العالم الخارجي " وقد عبر أوجدن و**ريتشاردز** عن نظريتهما في المعنى عن طريق الثالوث العلائقي الذي أسمياه بمثلث الإحالة لأن الدلالة في نظرهما هي هذا الإرجاع إلى مرجع معين "[1].

ويربط المثلث بين الرمز والفكرة والشيء أو المرجع "[2].

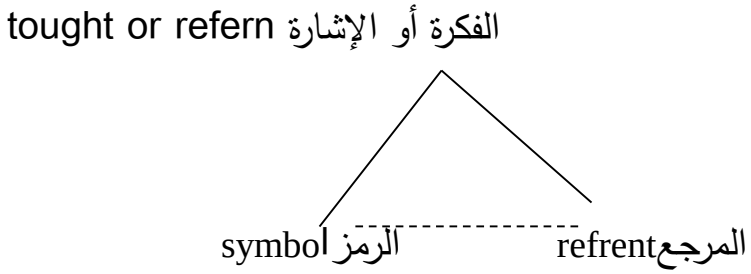

"فالرمزو هو الدال عبارة عن شكل صوتي منطوق مسموع، أو شكل بصري مكتوب مقروء أما الفكرة فهي المفهوم أو المدلول، وهي الصورة أو الصفات التي يختزنها الدماغ لشيء ما والمرجع عبارة عن المشار إليه أو المدلول عليه، وهو موجود خارج الذهن وخارج البنية اللغوية"[3].

لقد تناول المسدي هذه المسألة(الكلام والشمول) والمتعلقة بالمرجع ، فالمرجع عنده" يعني ما تعني به اللسانيات المعاصرة عند بناء المثلث الدلالي الذي يتكون من دال محيل على مدلول هو ذاته

---

[1]– ينظر: عدنان بن ذريل ، **اللغة والدلالة ـآراء ونظريات ـ** منشورات الاتحاد الكتاب العرب ،دمشق،1981،ص:45.

[2]–خالد خليل هويدي ،**التفكير الدلالي في الدرس اللساني الحديث ،الأصول والاتجاهات** ،ص:51.

[3]-ينظر:رمضان عبد التواب ، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** ،مطبعة الخانجي ، القاهرة 1983،ص:124.125.

مرتبط بمرجع فتكون مصادرتنا متصلة بالأشياء كما توجد في عالم الواقع ، أي هي قضايا الكون كما تتصور صامتة وكأن الوجود خال من الكلام المعبر عنها"[1].

إن هذا المصطلح الموسوم بـ(الشمول) يعني عند المسدي أن الكلام طاقة تسمح له باستيعاب ما في الوجود عامة، فهو يغطي صورة الكون فيفحص عالم الأشياء والصور والخيال بعدسة المزدوجة إذ أنه كما يقول:" تكبر الصغائر فتنفذ إلى دقائق الحقيقة في أرق شقوقها، وتصغر الكبائر فتجعل المتشامخ العملاق في قبضة الرؤية اللغوية المحيطة به عن طريق الكلمة والحرف"[2].

لقد بين **المسدي** بأن التراثيين اللغويون العرب على اختلاف اتجاهاتهم العلمية طرقوا أبواب هذه المسألة اللغوية في التراث العربي فتوفقوا في معالجتها بمنهج حكيم اللغوية، **فابن سينا** يقرر أن " لكل حقيقة من الوجود مطابقة من اللفظ"[3]؛ فالمعنى المراد من كلام ابن سينا أن " القول دليل على ما هوفي الذهن وما في الذهن صورة لما في الوجود مطابقة له ولو لم يكن وجود في الأعيان لم ينطبع صورة في الأذهان، ولو لم ينطبع صورة في الأذهان ،لم يشعر بها إنسان ولو لم يشعر بها الإنسان لم يعبر عنها .فإذن اللفظ والعلم والمعلوم ثلاثة أمور متباينة ،فالشعور علم بالصورة ومنطلق للتدليل عليها في التعبير اللفظي"[4]، فهذا يعني أن كل لفظ إلا وعنده مرجعيته وهنا نتحدث عن المعنى باعتباره الصورة الذهنية للأشياء الموجودة في العالم الخارجي، ولقد اهتم العلماء قديما وحديثا بالمعنى، ودارت جل دراساتهم حوله، فبالنسبة لقدماء العرب؛ اتصل المعنى بالأصل الذي صدرت عنه حركتهم العلمية والعقلية كلها وهو ما نجده في كتبهم التفسيرية والفقهية والأصولية.

---

[1]–عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:323.

[2]– المرجع السابق، عبد السلام المسدس ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:323.

[3]– ابن سنا ، **المقولات** ،ص:7.

[4]– كريم عبيد علوي ،**كليات المعرفة اللغوية عند الفالسفة المفسرين في ضوء اللسانيات** ، ص:90.

إن رأي **ابن سينا** هذا يوافق ماذهب إليه **الغزالي** عندما عد المرجع طرفا أساسيا في العلامة فهو يرى أن الأشياء في الوجود لها أربع مراتب ، ونلفيه في هذا السياق يقول :" إن للشيء وجود في الأعيان ثم في الأذهان ثم في الألفاظ ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان"[1].

إن أدنى تأمل فيما أومأ به **الغزالي** ،يرشدنا إلى أنه قد كان أدرك أهمية اللغة الإنسانية التي تعكس قدرة الإنسان العقلية في إبداع نظامه التواصلي لتحقيق إنسانيته في الوجود " إذ أنه يكيف تعامله مع الواقع الخارجي من خلال الكفاية العقلية التي تسمح له بإبداع النمط الترميزي الدال، وتحديده وفق ما يسمح به التصور الحسي ،وما يوفره الوسط من إشارات ترتبط بعالم الأشياء" [2].

ومن ههنا أمسى هذا التصور لعالم الأشياء قطب الرحى في النظرية الدلالية الإحالية التي قال بها أوجدن وريتشاردز OGDEN et RITCHRDS في كتابهما (معنى المعنى)،حيث أشار إلى أهمية التحليل المزدوج الذي يتناول العلاقة بين الكلمات والأفكار من جهة والأشياء المشار إليها من جهة أخرى .وقد اختصر فكرتهما في شكل مثلث اشتهر في الدراسات الدلالية وقد أشرنا إليه سابقا.

أما **القاضي عبد الجبار** فإنه " يستطرد في مساق حديثه عن الإشارة وبيان حدود طاقتها التعبيرية ينتهي إلى ترسيخ التحليل العلامي المقارن بين طبيعة العلامة اللغوية وهوية سائر العلامات الأخرى وكان مستنده في ذلك مبدأ العرفية في الجهاز الكلامي، وقد تمثل مردود هذا التحليل في اكتشاف أن النظام الإشاري لما كان قائما على المعرفة الاضطرارية ضعفت طاقة الاصطلاح

1–الغزالي، **معيار العلم في فن المنطق** ، ت:أحمد شمس الدين،ط2 –دارالكتب العلمية ،بيروت ، ص:47.

2–أحمد حساني، **مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي ،مبحث تركيبي ،مبحث دلالي)**،ديوان المطبوعات الجامعية 1999،ص:143.

فيه ،وبالتالي قصرت عن درجة اللغة إخبارا وتبليغا، فكل محاولة تعبيرية مستندة إلى علاقة منطقية أو طبيعية بين شبكة الدوال وأنسجة المدلولات إنما هي محاولة محدودة قاصرة"[1] .

ومن هذا التحليل المستفيض عند **القاضي عبد الجبار** يتسنى أن نشتق قانونا نصطلح عليه " بقانون التناسب الطردي بين عرفية أي نظام علامي ،وسعة إبلاغه ،وهو ما يفضي إلى القول بأن منطقية العلامة بين الدال والمدلول تتناسب تناسبا عكسيا مع طاقة النظام العلامي المعني في الإبلاغ، فيكون معيار العرفية هو النموذج فى المحدد للجهاز الإبلاغي ،فكلما ثقلت كثافة العرفية في أي جهاز تواصلي نزع نظامه التعبيري نحو طاقته القصوى .فالشحنة الاصطلاحية في كل حدث إبلاغي هو المولد الدائم لسعة النظام التواصلي الذي يندرج فيه ذلك الحدث" [2].

كما قرر قانونا أصوليا معناه لا شيء يبعد عن الكلام إن هو هم باستيعابه وصقله.

وتبدو سمة الشمول في محوري الاختيار والتوزيع، أي في مستوى اللفظ المنفرد ضمن الرصيد المعجمي في اللغة ،ومستوى تركيب الألفاظ لتصبح كلاما، في المستوى الأول هناك المثلث الدلالي وجدليته الباطنية " فنشوء مرجع في عالم الأشياء ، يؤدي إلى تبلور مدلول به في عالم التصور، وكل ذلك يحدث ضغطا على اللغة تنجب إثره بالضرورة صياغة تستوعب المتصور فتكون دالة عليه وتكتمل بها أضلاع المثلث"[3].

أما **ابن حزم الأندلسي** فيرى أن اللغة شاملة لعوالم الفكر والحس والشعور " فهو ينطلق في بعض استطراداته اللغوية من تحديد وظيفة اللغة التعبيرية أولا .وذلك بالاستناد إلى منظور المتكلم وبقدرتها الإبلاغية ثانيا. وذلك بالاحتكام إلى موقع السامع، فينتهي به التجريد إلى تقرير شمولية اللغة على صعيد الألفاظ المجردة لكل عوالم الفكر والحس والشعور"[4].وإلى مثل هذا ذهب **إخوان**

---

[1]–عبد السلام المسدي ، **حد اللغة في التراث اللساني العربي**،،ص:403.

[2]–عبد الجبار، **المغني** :162/5. 164.

[3] –عبد السلام المسدي، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:326.

[4]– المرجع نفسه ، ص:326.

الصفا وقد تصور العرب رصيد اللغة على أساس المستعمل والمهمل أو المنفق والمختزن ،**فالخليل بن أحمد الفراهيدي** أفاد الدارسين العرب في مباحث معجمه (العين)،حيث بحث في تراكيب الكلمة من مواردها الأصلية وتتبعها في الجذر البنوي والحرفي ،وبالتالي تقسيمه على ما يحتمله من ألفاظ مستعملة وأخرى مهملة عند التقليبات داخل الكلمة الواحدة "لإيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها في الدلالة والمهمل دون استعمال ،فمهمته في هذا المعجم كانت لغوية إحصائية ، ولكنها على كل حال تشير إلى دلالة الألفاظ كما يفهمها المعاصرون" "[1] .

لقد بين المسدي أن علماء العرب قد أدركوا في رصيد اللغة على أساس المستعمل والمهمل طاقتين أو رصيدين، رصيدا محفوظا غير محدود، ورصيدا فعليا متداولا مشتقا من الرصيد المحفوظ، فهي عند **ابن جني** جهاز فعلي مشتق من نظام أوسع منه بكثير .وعند **عبد الجبار** إنجاز لبعض الممكن، ومن الحقائق المعروفة أنه لا يوجد إنسان يستخدم كل المعجم الذي تعرفه لغته، وقصارى أكثر الناس معرفة بالغة أن يستخدم قطاعا منها في حديثه وتأليفه ،وهو في ذلك مرتبط بعلاقاته الاجتماعية ومستواه الثقافي وضرورات عمله .

وعند **الجرجاني** أن النظم هو العمود الفقري في طاقات اللغة كلها على المستوى الاخباري وعلى المستوى الإنشائي كذلك، وتتولد مثالات التركيب اللغوي بصفة آلية كلما جدت المعاني والأغراض التي تؤم " وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليست لها غاية تقف عندها ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها من بعض"[2].

[1]– محمد حسين علي الصغير،**تطور البحث الدلالي ،دراسة تطبيقية في القرآن الكريم** ،ص:28 .

[2]– الجرجاني ، **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ،ص:60.

لقد نظر الإمام **عبد القاهر الجرجاني** (ت471هـ) إلى الكلام على أنه كل لا يتجزأ ،بل وظف النحو لخدمة العملية التواصلية وأكد على أن السياق الكلامي لايتأتى إلا من خلال معرفة علامات الإعراب في التراكيب، وما هي إلا عوامل إلا ليكون خطاب الباث مفهوما لدى المتلقين ،حيث يقول في هذا السياق:" واعلم أن ما ترى أنه لابد من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص، ليس هو الذي طلبته بالفكر، ولكنه شيء يقع بسب الأول ضرورة من حيث الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواضيعها"[1] .وقد انتقى **الجرجاني** معنى النحو وأعطاها الخاصية التواصلية " وفي هذا المعنى يؤكد **المسدي** على النهج الذي سلكه **الجرجاني** في تحديد الطاقة الاستيعابية للنحو ووضعه في المرتبة الأولى لا لشيء إلا لأنه يعبر عن مقاصد المتكلم ،وأغراض الناطق ، والعملية التواصلية الخطابية ، أما عن الحدث الكلامي فإن **الجرجاني** ركز على وجوب علم التخاطب بمحتوى الخطاب حتى تكون الفائدة ويصل الفهم إلى المتلقي بسرعة وسهولة واستنباط قانون من التناسب بين طاقة التصريح في الكلام وعلم السامع بمضمون الرسالة "[2]، هذا ما يتوافق مع طاقة الخطاب إذ يتجاوب كل من الباث والمتلقي كي تتم عملية التواصل بنجاح ،ويستطيع الخطاب أن يمر من ذهن المخاطب إلى فكر السامع ،وتكون بذلك العملية الخطابية ناجحة كل النجاح ،ويؤكد **الجرجاني** كل ذلك من خلال شرحه للطاقة التي يتضمنها الخطاب والتي يكون على إثرها قابلا للامتداد والتقلص فيقول:" لا يخلو السامع أن يكون عالما باللغة وبمعاني الألفاظ التي يسمعها مستطلعا أو يكون جاهلا بذلك ،فإن كان عالما لم يتصور أن يتفاوت حال الألفاظ معه، فيكون معنى اللفظ أسرع إلى قلبه من معنى لفظ آخر ،وإن كان جاهلا كان ذلك في وصفه أبعد"[3].

إن بنية الخطاب عند **الجرجاني** هي التي تساعد على فهم محتوى الخطاب من خلال النظم والتركيب المحكم للألفاظ التي تكون خادمة للمعاني ،فحسن التأليف وتوخي المعاني النحوية

---

[1]– الجرجاني ، **دلائل الإعجاز في معاني النحو** ، تح : محمد عبده ،ط3،دار المعرفة ،بيروت ،2001،ص:53.

[2]–عبد السلام المسدي، **اللسانيات وأسسها المعرفية** ، الدار التونسية للنشر ،تونس،ص:767.

[3]–عبد القاهر الجرجاني ،**دلائل الإعجاز في معاني النحو** ، تح: محمد عبده،ط3، دار المعرفة ،بيروت ،2001،ص:180

وأحكام النحو هي التي تجعل الفهم أسهل، وأكثر نفوذا، وعملية التواصل دائمة ومستمرة وفي هذا السياق يقول:" إذا كان النظم سويا والتأليف مستقيم، كان وصول المعنى إلى قلبك تلوى وصول اللفظ لئلا سمعك، وإذا كان على خلاف ما ينبغي.وصل اللفظ إلى السمع وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه"[1].

ومما يكشف في هذه التوجيهات اللغوية أن عبد القاهر الجرجاني انطلق من أساس اللغة وهو النحو المنسجم مع مقصد التأليف الكلامي الذي يراعي عنده الدلالة والسياق الكلامي وأقامه على النظم وعلى المعاني .

أما **حازم القرطاجني** (ت684هـ) فيرى أن المعاني المركبة من الأوصاف على حسب الأغراض لا يمكن إحصاؤها، وطواعية اللغة وقابليتها لاستيعاب الشامل هي التي تجعلها قادرة على الإخبار بالمدركات الحية أو المتصورة وذلك باستغلال طاقة التعبير بالإيحاء، ونلفيه في هذا السياق يقول:" فأما تفسير الظاهرة من وجهة النظر المبدئي، أي من موقع التحليل الكوني في خصائص الإنسان ومستمليات طبيعة العقل فيه ،فيأتينا به حازم القرطاجني عندما يقرر كيف أن الموضوعات والأوصاف وجهات انتساب بعضها إلى بعض أو تعلق الأغراض بها لا تحصى كثرة وهو ما يستوجب أن تكون المعاني التي هي مركبة من تلك الأوصاف على حسب الأغراض أجدر بأن لا يستطاع إحصاؤها"[2]، فهو يؤكد أن " المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن وإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإن عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة في أفهام السامعين وأذهانهم"[3] .

---

[1]– المرجع السابق، عبد القاهر الجرجاني ،**دلائل الإعجاز في معاني النحو** ،ص: 183.

[2]–حازم القرطاجني ، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ،تح: محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ،تونس 1966،ص:37.38.

[3]–المرجع نفسه ،ص:18.

لقد ربط رواد الفكر العربي تحول التعبير من التصريح إلى التضمين بشمولية اللغة، فسن **أبو سليمان الخطابي** مثلا قانون التبعية المباشرة بين الأمرين حين قال :" المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به"[1].ورأى **سيبويه** أن التفاهم هو المعيار الضابط للمظاهر الطارئة على بنية التراكيب النحوية في اللغة، وقد استنبط قانون التناسب العكسي بين طاقة التصريح في الكلام وعلم السامع بمضمون الرسالة الدلالية ونلفي المسدي في هذا السياق يقول :" والذي يعنينا من كل استقراءات سيبويه في هذا المضمار ونحن على مسار تحديد الطاقة الاستيعابية في اللغة هو استنباطه لقانون التناسب العكسي بين طاقة التصريح في الكلام وعلم السامع بمضمون الرسالة الدلالية وبموجبه تكون الطاقة الاختزالية ممكنة بقدر ما يكون السامع مستطلعا على مضمونها الخبري"[2].على أن أهم مقومات الشمول على صعيد العلاقات الركنية هو مطاطية الجهاز اللغوي امتدادا وتقلصا.

بقي أن نشير في حديثنا عن الشمول إلى أن الطاقة الانعكاسية للظاهرة اللغوية هي إحدى مظاهره، ونعني بها طواعية اللغة في الرجوع بنصها على نفسها حين نتحدث عن اللغة فتكون اللغة عند ذاك كالمرآة العاكسة التي ترى فيها نفسها بضرب من الاستبطان الذاتي.

خلاصة الفصل:

إن تتبع تراث العرب اللغوي في كثير من مظانه المختلفة، مكنت **المسدي** أن ينفذ إلى أعماقه وحفرياته، ويستنطق نصوصها بعين الحداثة والمعاصرة ، ولقد أثبت أن للعرب باعا طويلا في علم اللسانيات .والمتأمل في فكره يلفي ذلك في كتابه "التفكير اللساني في الحضارة العربية" فقد استطاع رد الاعتبارات للدراسات اللغوية العربية القديمة، فاكتشف كثيرا من أسرارها الخفية ووقف عند عدد من نواميسها العامة، فجاءت جهوده التأصيلية للقضايا اللغوية وفق منهج إعادة قراءة

[1]–سليمان الخطابي ، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن** ،تح:محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ط2،دار المعارف ،مصر ،1968،ص:52.

[2]–عبد السلام المسدي، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:332.

التراث، بمثابة بادرة تأسيس لحاضر مستقبلي ذي أواصل حضارية منتقاة من الزخم المصدري الثابت في وجدان عالمنا اللغوي العربي العريق، ولقد أدرك أن وصل القديم بالحديث مهم، لتجديد ما عسى أن يكون قد حال دونه ،وليكبح التعقل من غلواء الانطلاق دون قيود ،ليقوم التوازن والاعتدال والائتلاف في العناية باللغة والتمكن من السيطرة على توجيهها حتى تستقيم على الجادة ،وتحيا حياة القوة والاكتمال، وذلك انطلاقا من معاودة النظر في مكوناتها وفي بنائها على أسس معرفية صلبة وجديدة لا إفراط ولا تفريط.

الفصل الرابع

الجهود النحوية لعبد السلام المسدي في ضوء كتابه العربية والإعراب

توطئة:

لقد كثر الحديث عن طبيعة العلاقة بين النحو العربي واللسانيات الحديثة في الآونة الأخيرة،لكون النحو العربي مصدر الأصالة، أما اللسانيات فهي منبع الحداثة ،فظهرت ثنائية الموروث والحداثة في مجال اللغة وأصبح موضوع علاقة التراث اللغوي العربي باللسانيات يشغل بال الكثير من اللغويين المحدثين.ولقد استهدف **عبد السلام المسدي** دراسة جوهر اللغة العربية "الإعراب "في ضوء التقدم اللساني الحديث فيقول :"النحو واللسانيات يقفان على مصادرتين لا تتماهيان ولا تترافضان ،فليس الإقرار بإحداهما بمقتضى إلغاء الأخرى، وبناء على ذلك تيسر تناول اللغة بدرسها من خلال المنظورين سواء بالتعاقب أو بالتواقت "[1] .

والمتتبع لمشهد الدرس اللساني العربي الحديث بتصور عام يلحظ أنه مقسم إلى ثلاث فرق من الباحثين والمهتمين :[2]

أولا :هناك فريق أخذ النحو العربي دراسة وتفصيلا، وذلك باسم المحافظة على الموروث، وهو تيار متمسك بكل ما ورد في النحو العربي ورافض لكل ما يقدمه الدرس اللساني الحديث ويتمثل هذا التيار في مجموعة من الباحثين الذين حاولوا إيجاد صيغة لغوية تنطلق من الموروث اللغوي العربي لا من معطيات علم اللسان الحديث.

ثانيا:هناك فريق أخذ تفصيل القول في أحد التيارات اللسانية الحديثة، وذلك باسم التفتح والترحيب بكل ما هو جديد، وهو تيار لساني عربي متخصص في الموروث اللغوي ـالنحوـ لكنهم قرأوا عن اللسانيات وتثقفوا وفتنوا بها مجاراة لموضة العصر الحديث فقدموا أنفسهم بوصفيين لسانيين .

ثالثا :ذهب فريق ثالث إلى التوسط بينهما فدرس أوجه التشابه والاختلاف بين النظرية النحوية العربية والنظريات اللسانية الحديثة وحاول هذا التيار إظهار مواضع التلاقي والتناظر بين النحو

[1]–عبد السلام المسدي ،**العربية والإعراب** ،ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ،2010،ص:5

[2]–عبد الله الجهاد ، **النحو العربي واللسانيات ـتقاطع أم توازـ**ط1 ،1437،هـ2016م،ص:322.323.

العربي واللسانيات الحديثة في مختلف صورها (اللسانيات البنيوية واللسانيات التوليدية التحويلية ...الخ)؛ إنه فريق قام على فكرة الربط بين جهود العرب القدماء في دراسة النحو العربي والنظريات اللغوية الحديثة ،وتقديم صورة عن مدى ترابط والتقاء التراث اللغوي القديم والبحث اللغوي الحديث، فكان هدفه الرئيسي هو إقامة محاورة بين التفكيرين الأصيل والمعاصر، وذلك بتتبع القضايا المعاصرة في اللسانيات خصوصا ،ومحاولة إسقاط هذه المفاهيم على جهود القدامى العرب للوصول إلى حقيقة مفادها أن التراث العربي القديم في مجال اللسانيات مليء بكثير من المفاهيم التي سبقوا فيها الغربيين بشكل واضح ومنهجي ،وهذا ما نلفيه عند الباحث اللغوي **عبد السلام المسدي** في ضوء كتابه (العربية والإعراب).ففي هذا الكتاب يتناول مسائل كثيرة أصل لها في التراث اللغوي العربي ،وهذه المسائل تتعلق بالنحو العربي والنحو التوليدي والنظرية التوليدية واللغات الاشتقاقية، والإعراب وإنتاج الدلالة والفرق بين اللغات الإعرابية واللغات غير الإعرابية، ودور المدرسة في اكتساب اللغة الفصيحة العربية...الخ.

التعريف بالمدونة والهدف منها:

إن هذا الكتاب الموسوم بـ(العربية والإعراب) **لعبد السلام المسدي** ،لقد صدر في التاريخ الذي صدر به كتابه(المباحث التأسيسية في اللسانيات) عام 2010 بالطبعة الأولى عن دار الطباعة نفسها.

وكتابه "العربيّة والإعراب" كان سعيًا منه لسدّ الفجوة التي توهّمها جيلٌ كامل ممّن تعاملوا مع "علم اللغة" من حيث هو بديل مكافئ لـ"فقه اللغة"، وقد سادَ هذا التناول في البيئة العربيّة من 1941 إلى سبعينيّات القرن العشرين، وكان ذلك سِمة طاغية على جيل المدرسة "المصريّة". ويتمثّل مسعاه في تأسيس القواعد الضروريّة لإجراء الدّرس المقارن بين اللغة العربيّة واللغات الأجنبيّة السّائدة: الإنجليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة. وعلى هذا الأساس كان من الضروريّ التذكير بطبائع الألسنة، فالعربيّة لغة اشتقاقيّة والأخريات لغات انضماميّة، والعربيّة لغة تعتمد الإعراب والأخريات تخلّت عن الإعراب الذي كان سِمة للغة الأصليّة وهي اللاتينيّة. وحيث إن استقراء

الظواهر التاريخيّة يؤكّد نزوعَ اللغات الإعرابيّة (من لاتينيّة وجرمانيّة قديمة، ويونانيّة قديمة) نحو الانقلاب إلى لغات غير إعرابيّة فإن هذا القانون يسري على العربيّة أيضا إذا نظرنا إلى الألسنة المنحدرة منها وهي اللهجات العامّيّة جميعها، ولذلك فبقاء العربيّة الفصحى أودوامها يبدو كأنه مناقض لقانون التّطوّر التاريخيّ، وإذا كان السّبب الجوهريّ مرتبطا بالعقيدة وكتابها المقدّس فإن المسدي أراد أن يؤكد على أبعاد أخرى هي في مجمَلها نفسيّة اجتماعيّة سياسيّة ولكنها أيضا (لسانيّة/ معرفيّة) ، إذ تظلّ العربيّة الفصحى عندئذ شاهدًا حيّا على هذا الأنموذج اللّغويّ. كلّ ذلك تناوله بمقاربة علميّة خالصة تاركا جانبًا المقوّمات الدّينيّة والرّوحيّة، وذلك احترامًا للمنهج العلميّ؛ لا نكرانا لتلك العوامل ولا زهدًا في قيمتها.وهذا ما لمسناه في القضايا المهمة ،التي طرحها هذا الكاتب وأصل لها في التراث اللغوي العربي في كتابه(العربية والإعراب)*.

1 النحو التوليدي والنحو العربي

لقد طرق المسدي أبواب هذه المسألة؛ ليبين بأن هناك صلة بين اللسانيات الغربية، والتراث اللغوي العربي، وقد نتج عن هذه الصلة التأثر ببعض أعلامها، فالدرس اللغوي بصفة عامة والنحوي بصفة خاصة في نظر المسدي لم ينشأ من عدم، وإنما كانت له جذور مستوحاة من التراث اللغوي العربي .

فإذا ما عدنا إلى مميزات عبور الحضارة الإنسانية من العرب إلى الغرب نجد أن النهضة اللاتينية قامت أساسا على مستخلصات الحضارة العربية بعد أن أقبلت على ترجمة أمهات التراث فيها " وقد عمد العرب إبان نهضته إلى نقل علوم العرب ومعارفهم وبالتالي أصبح أعلام الحضارة العربية ركائز للغرب في علومه ومعارفه "[1]، وهذا ما لمسناها في الدرس اللساني الحديث من خلال تأثر أعلامها بالتراث اللغوي العربي عموما والنحوي على وجه الخصوص.

*لقد تم التواصل مع عبد السلام المسدي عبر البريد الإلكتروني ،وذلك بطرح مجموعة من الأسئلة حول كتابه العربية والإعراب فكان الرد عليها بمثابة تعريف وجيز لكتابه العربية والإعراب .

[1]–عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص: 23-.

وفي مقال للباحثة **جوليا كريستيفا** ،اهتمت بإبراز دور النحاة واللغويين العرب القدامى في إثراء الحركة اللغوية، وإسهامهم في بحوثها خاصة منها ما تعلق بالنحو العربي، حيث كتبت فقرة لا يستهان بها حول إسهام العرب القدامى في مجال الدراسات اللغوية، تبين فيها قيمة هذه المساهمة عنوانها (النحو العربي)la grammaire arabe حيث تقول:"يتبوأ النحو العربي مكانة هامة في صلب مكتسبات التفكير حول اللغة في العصور الوسطى...يقول المثل العربي السائر إن حكمة الرومان في ذهنهم ، وحكمة الهنود في نزواتهم ، وحكمة اليونان في روحهم ،أما حكمة العرب ففي لسانهم "[1].

ولقد عد **الخليل بن أحمد الفراهيدي** من أبرز النحاة واللغويين العرب القدامى في إثراء الحركة اللغوية، فقد كانت له مدرسة أصيلة في النحو العربي والتي كان مقرها البصرة ، فأصبح التلاميذ يتهافتون عليها من جميع الأمصار وتتلمذ على يديه الكثير من النحويين أبرزهم **سيبويه**،ثم توالى بروز العلماء من حين لآخر حتى جاء القرن العشرون، فظهر نحويون ولسانيون متأثرون بالنحو العربي، ومن هؤلاء العالم الأمريكي **نوام تشومسكي** ،فلقد اعترف هذا الأخير تأثره بالتراث العربي القديم عندما وضع نظريته في النحو التوليدي.

"فكما نعرف أن **تشومسكيchomsky** حصل على درجة الماجيستير في اللغة العبرية التي هي إحدى اللغات السامية، ومن المعروف أن النحاة العبرية الذين عاشوا في كنف المسلمين في الأندلس؛ مثل سعديا الفيومي ومروان بن جناح ،فقد أقاموا درسهم النحوي للغة العبرية على طريقة العرب ومنهجهم في درس العربية "[2].

[1]–جوليا كريستيفا ،**النحو العربي** ،ص:129.134.

[2]–ينظر: محمود سليمان ياقوت ،**منهج البحث اللغوي** ،دار المعرفة الجامعية ،مصر،دط،2011،ص:140.

لقد كانت رسالته للماجيستير عن اللغة العبرية الحديثة محاولا ربط بنيتها الصوتية بنظامها الصرفي عام 1951، ونشر بعد ذلك في نظم التحليل التركيبي 1953 في دورية تعنى بالمنطق الرمزي ،ثم في النحو المنطقي والدلالة وأهميتها اللغوية عام 1955.

وفي العام نفسه قدم إلى جامعة بنسلفانيا رسالته للدكتوراه موضوعها (البنية المنطقية للنظرية اللغوية)،وهذه الرسالة نشرت بشكل ما في كتابه الأول :الأبنية التركيبية 1957، فقد سئل عن المصادر البعيدة التي استلهم منها **تشومسكي** تصوراته الأولى،فيجيبه: " فقد كتبت حول هذه القضية في مقدمة كتابي المسمى :البنية المنطقية للنظرية اللسانية، إذ حللت في هذه المقدمة كيف أن بعضا من دراستي المبكرة في صغري لنحو القرون الوسطى، كان قد قادني إلى بعض الأفكار حول البنية التنظيمية اللغوية التي دخلت بعد ذلك في نظرية الصوتيات التوليدية ونظرية النحو التوليدي، وكانت هذه الأفكار في الواقع هي المثل المعتبرة التي احتذيتها في الأربعينيات ."[1]

لقد أكد **عبد السلام المسدي** اطلاع **تشومسكي** على النحو العربي في لقاء أجراه الدكتور **مازن الوعر** يقول فيه:" قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة ومازلت اذكر دراستي للآجرومية* منذ عدة سنوات خلت أظن أكثر من ثلاثين عاما ،وقد كنت أدرس مع الأستاذ **فرانز روزانتال**** ،وكنت وقتذاك طالبا في المرحلة الجامعية، أدرس في جامعة بنسلفانيا وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري"[2].إن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن هناك صلة بين النظرية التوليدية التحويلية والتراث اللغوي العربي والتأثر بأعلامها ؛**كالخليل بن أحمد الفراهيدي وابن جني، والجرجاني**

---

[1]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:139 .

* الآجرومية :المقدمة الشهيرة في النحو التي وضعها ابن آجروم،ومعنى آجروم في اللغة البربرية الفقير الصوفي ،ويقال أن تلك المقدمة نقلت إلى اللغة اللاتينية في القرن16

** فرانز روزانتال ولد عام 1914 ،له آثار مستفيضة في دار الحضارة العربية الاسلامية منها مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ودراسات حول أساليب التعليم في الاسلام.

[2]–مازن الوعر ،**لقاء مع نوام تشومسكي** ،مجلة اللسانيات ،جامعة الجزائر ،العدد6، 1982 ،ص:72.

وسيبويه...الخ ،وهذا ما أكده **تشومسكي** في هذا الحوار الذي أجراه مع الدكتور مازن الوعر، وتطرح في هذا السياق العلاقة الرابطة بين النحو العربي والنحو التوليدي على أساس أن الأول ينتمي إلى العلوم العربية القديمة التي تشكل الأرض الصلبة والأساس المتين الحامي لحمى اللغة العربية الشريفة، وأن الثاني من النظريات اللسانية الحديثة التي نمت في أحضان النصف الثاني من القرن المنصرم.

لقد بين **المسدي** بأن **تشومسكي** كان وثيق الصلة في شبابه باللغة العربية وآدابها، كما كان وثيق الصلة باللغة العبرية لغة قومه ونلفيه في هذا السياق يقول:"لقد درس **تشومسكي** اللغة العبرية على يد والده الذي يعد من علماء اللغة والذي كان له اطلاع على اللغات السامية كالعربية والعبرية وغيرها"[1].**فالمسدي** عندما استطرد في كلامه عن **تشومسكي** أراد أن يثبت بأنه قد تأثر بالعرب القدامى ،في دراسة اللغة وفهمها فهما صحيحا، وأدرك بأن الجهود التي قام بها من سبقوه من علماء عرب في قضية دراسة اللغة دراسة صحيحة أتت بثمار فعالة وساهمت في تقديم وتطوير الدرس اللغوي، وقد اتفق **تشومسكي** في العديد من القواعد مع علماء العربية في دراسة اللغة كالخليل وسيبويه والجرجاني...الخ، والدليل على ذلك"أن المبادئ التي طرحها في نظريته التوليدية التحويلية لا تختلف إجمالا على ما جاء به نحويو العربية فالنحو العربي يلتقي مع النظرية التحويلية في عدة جوانب أهمها صدور كل منهما على أساس عقلي"[2] **فتشومسكي** أقام منهجه على أسس عقلية حين رفض الوصف المحض للغة، فهو يربط اللغة بالعقل " ؛ لأن المنهج الوصفي لا يقدم شيئا مهما في فهم اللغة التي هي أهم سبيل إلى فهم طبيعة الإنسان، من هنا كانت دعوته إلى ضرورة العودة إلى مناهج النحو القديمة ، وقد أشار في ذلك إلى جهود العرب القدماء"[3].يقول **المسدي** في تفسير لمنهج **تشومسكي:**"كان يدرك أن عليه أن يتعامل ذهنيا مع نظام من المنطق الصوري هو إلى نسيج الرياضيات أقرب منه إلى أنسجة الأصوات المقطعة

[1]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:138.بتصرف.

[2]–عبده الراجحي ، **النحو العربي والدرس الحديث ـبحث في المنهج** ،ص:143.

[3]– المرجع السابق،ص:119.

المتلاحقة، وكل ما عند **تشومسكي** يؤكد أنه يحمل عقلا رياضيا انفلت من معقله فهاجر لاجئا إلى عقل اللغة ولم يعد"[1].

وبعد ردح من الزمن طغت فيه الدراسة الوصفية على المقاربات اللغوية حاملة معول الهدم على كل المظاهر العقلية في النحو العربي تحت شعار التبسيط ، أتت التوليدية قي ثوبها العقلاني الفلسفي لتعيد للدرس اللساني العربي جوهره الفكري، وكانت بداية عمل الدارسين هو البحث عن مواطن التشابه بين اللغويات العربية القديمة والدراسات التوليدية الحديثة وهذا "إذا تجاوزنا خصوصيات السياق التاريخي والثقافي لكل منهما وجدنا البحث اللغوي الحديث يضارع البحث اللغوي عند العرب من جهة أنه يستوي كل منهما تراث عريض تقلب خلاله في مراحل تأثر بالمعطيات الثقافية ،وما تهيأ معها من أدوات حادثة"[2]، وهذا ما أدركه اللغوي **المسدي** ،وبين بأن الباحثين اللغويين العرب على اختلاف توجهاتهم العلمية حاولوا المقارنة بين ما طرحه **تشومسكي** في نظريته التوليدية التحويلية وما توصل إليه علماء النحو العربي القدامى وفي هذا السياق يقول:"عندما انبرى جمع من الباحثين على امتداد السنوات يعقدون المقارنات بين مقولات النحو التوليدي وبعض المضامين الفكرية الواردة في أمهات التراث العربي تغيرت وجهة الأمور بعض التغير، فهؤلاء الباحثون العرب من لغويين ونقادهم من المتخصصين في المعرفة وقد أتوا في معظمهم بخطاب علمي قارنوا فيه بين بعض المستندات التي أقام عليها **تشومسكي** نظريته التوليدية وبعض المتصورات التأسيسية التي انطلق منها **الخليل وسيبويه**، وكذلك المستخلصات المجردة التي انتهى إليها **عبد القاهر الجرجاني** وبين نظريته في النظم، سواء في مرجعيتها النحوية أو في ثمرتها الإبداعية والإعجازية "[3] .

[1]– عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب**،ص:141.

[2]–نهاد الموسى،**نظرية النحو العربي ،في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث** ،ط2،دار البشير ،الأردن ،1987،ص:19-20.

[3]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:143.

نعم لقد كانت النظرية النحوية العربية القاعدة من المفروض أن يتم الانطلاق منها في البحث والتحليل ،ومن ثم الخروج بمختلف الملاحظات والنتائج، ونعترف أيضا أن مختلف الأفكار التوليدية التحويلية قد تجلت لنا في التراث اللغوي العربي ولكن ذلك كان بصورة غير ممنهجة وناضجة، فكانت دراساتهم لا تعدو أن تكون بمثابة المزارع الذي غادر، ودون تنبه منه ،وبعض البذور تسقط من جيبه فنبتت البذور ونمت في مناطق متفرقة سيكون إنتاجها مقهورا على الأرجح مقارنة بغيرها من البذور التي زرعت بقصد ونية في الإنتاج والإثمار.

والمتأمل في نظرية **تشومسكي** يجد أن المبادئ التي نادت به نظريته لا تختلف إجمالا عما جاء به علماء النحو العربي ،فالأفكار التي تناولها في نظريته هي على هذا النحو:[1]

البنية العميقة والبنية السطحية.

قواعدالتوليد وقواعد التحويل .

الكفاية والأداء (القدرة والإنجاز).

الحدس (الفطرة اللغوية).

القواعدية والمقبولية.

إن هذه الأفكار التي تناولها **تشومسكي** في نظريته يمكن أن نجدل لبعضها جذورا في الفكر اللساني العربي القديم من خلال كتابه ا(لعربية والإعراب)، ولاسيما أن العديد من الباحثين لا يجدون بدا من القول بالأصول العربية للفكر التوليدي.

[1]–هدى صلاح رشيد،**تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب**،ص:357.

أ/ البنية العميقة والبنية السطحية:

لقد احتلت البنية العميقة مكانة الصدارة في نظرية **تشومسكي** " ولقد شكلت الأساس الأنموذجي فيها لامتلاكها العناصر الضرورية لتأويل الجمل وإنتاج البنيات السطحية لها"[1].فالبنية العميقة هي"بمثابة الأساس الذهني المجرد لمعنى معين، الموجود في الذهن ويرتبط بتركيب جملي أصولي يكون هذا التركيب رمزا لذلك المعنى وتجسيدا له، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي، وإن لم تكن ظاهرة فيها"[2]؛ فمهمة البنية العميقة هي الكشف الدلالي عن التغيرات التركيبية للجمل ،إنها تمثل المكون النواة أو الأساس، لأنه يمثل المكون الدلالي للجملة أما البنية السطحية "فتمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات والرموز، وحسب التحويليين فإن هاتين الجملتين :**كتب أحمد الرسالة** ،و**كتبت الرسالة من قبل أحمد،** لا تختلفان إلا من الناحية التركيبية؛ أي على مستوى البنية السطحية، ولكنهما مرتبطتان ارتباطا وثيقا، إن لم نقل متطابقتان على مستوى البنية العميقة"[3] .

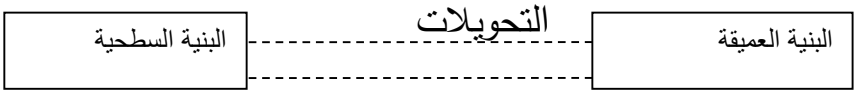

المعنى الشكل المستعمل في التواصل

ولكل من البنية السطحية والبنية العميقة مميزات هي:

أما البنية السطحية فهي تختلف من لغة إلى أخرى فمثلا في اللغة العربية البنية السطحية تختلف عن البنية السطحية للجمل في اللغة الإنجليزية .

---

[1]–ينظر: مرتضى جواد بقر ،**مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي** ، مجلة اللسان العربي ،ع34 1990م ص:7.

[2]–خليل أحمد عمايرة ،**في نحو اللغة العربية وتراكيبها منهج وتطبيق**، ط1 عالم المعرفة للنشر والتوزيع،جدة،السعودية،1404هـ 1984،ص:58 .

[3]– أحمد مومن ،**اللسانيات ـ النشأة والتطور** ،ص:212.

أما ما يميز البنية العميقة بكونها:[1]

أ . بنية مولدة في قاعدة التركيب بواسطة قواعد إعادة الكتابة والقواعد المعجمية.

ب. البنية التي تمثل التفسير الدلالي للجملة.

ج. إنها البنية التي يمكن لها أن تحول بواسطة القواعد التحويلية إلى بنية سطحية.

وإذا أردنا أن ننتقل إلى الدرس اللساني في التراث العربي القديم لنفتش عن وجود هذا التمييز بين البنية السطحية والبنية العميقة للجمل والتراكيب النحوية، فإن أول ما نبحث عنه هو إمكانية وجود دلائل تحيلنا إلى وجود هذا النمط من التفكير عند القدماء.

لقد انطلق **المسدي** في دراسته للتراث اللغوي العربي من تمحيص عميق لما وصلنا منه ،فقد استغرق النظر ومحاولة فهم القضايا اللغوية التي تركها الأولون، تتبع فيها آراء سيبويه والخليل وأتباعهما من الرعيل الأول من النحاة ونلفيه يقول في هذا السياق:" ويكاد يجزم الناظر بأن العرب بين قديمهم وحديثهم قد أتوا كليا على لغتهم جمعا وتمحيصا ثم دراسة وتنظيما حتى عدت علومهم في اللغة مضرب الاكتمال"[2].

وفي تأصيله لهذه المسائل اللغوية في التراث العربي بين وجه الأصالة عند العرب ،فهو من أكثر اللسانيين العرب المحدثين انتصارا لما قدمه النحاة الأوائل وعلى رأسهم **الخليل بن أحمد الفراهيدي** و**سيبويه والجرجاني** ،ف**المسدي** وهو يؤصل للبنية العميقة في التراث يقول:"وهكذا بوسعنا أن نقول أن تفسير البنية العميقة من خلال مقولات النحو العربي ولاسيما في ثالوثه الإعراب، فالعمل ،فالتقدير تحكمه آلية جديدة سنطلق عليها استقراء المرحلة الجنينية لتركيب الكلام ،فيكون النحو في مجمله ضربا من إعادة التصوير لعملية إنتاج الكلام ، ويكون تبعا لذلك ضربا من تتبع

[1]–مختار الدرقاوي ،**نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية ـالأسس والمفاهيم** ،الأكاديمية للدراسلت الاجتماعية والإنسانية جامعة الشلف ،العدد13،جانفي 2015 ،ص:10.

[2]-عبد السلام المسدي ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ،ص:33.

المراحل التي مر بها إنتاج الدلالة "[1] .فالتوليدية التحويلية تذهب إلى أن "البنية العميقة وإن لم تكن ظاهرة في الكلام إلى حد كبير أساسية لتفهمه وإعطائه التفسير الدلالي "[2] فهي"حقيقة ضمنية قائمة في ذهن المتكلم المستمع المثالي"[3].

وما تجدر الإشارة إليه أن النحاة العرب لم يستعملوا المصطلحين (العميق،والسطحي)،فقد كان التعبير عنهما ضمنيا وبطرائق مختلفة تصب كلها في قضية أخذت بعدا كبيرا عندهم وهي مسألة التقدير ،هذه القضية التي تعد من أبرز قضايا التراث اللغوي التي تناولها **المسدي** بالدراسة والتحليل التي يحاول فيها بيان مدى الفهم اللغوي المتطور عند علماء التراث من خلال آرائهم اللغوية في هذه القضية، ومحاولا ربط هذه الآراء بالنظرية التوليدية التحويلية ممثلة برائدها **تشومسكي** "فمعظم الخلافات بين النحاة كانت حول تقدير البنية العميقة للأبنية السطحية وكان يصب في تقدير مالا وجود له ظاهريا في محاولة لتفسير الكثير من الأبنية الملبسة، فكانوا يتجاوزون في كثير من الأحيان الوقوف على ظاهر الجمل فيبحثون عما وراء هذا الظاهر من ألفاظ وكلمات قائمة في ذهن المتكلم وإن لم يتلفظ بها إيمانا منهم بأن الوقوف عند ظاهر اللغة السطحي لا يكشف عن جوهرها"[4] الذي يجسد العمق الخفي.

ومن مظاهر ذلك في التراث النحوي قول **سيبويه** في "باب يضمرون فيه الفعل لقبح الكلام إذا حمل آخره على أوله .وذلك قولك مالك وزيدا وما شأنك وعمروا، فإنما حد الكلام ههنا :ما شأنك وشأن عمرو"[5].ويفصل المسألة فيقول:"إن حملت الكلام على الكاف المضمرة فهو قبيح وإن حملته

---

[1]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب**،ص:141.

[2]–ميشال زكريا ،**الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية(الجملة البسيطة)**،المؤسسة الجامعية،بيروت 1982،ص:164.

[3]–المرجع نفسه،ص:164.

[4]– ينظر:نعمة رحيم الغراوي، **مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة** ،منشورات المجمع العلمي العراقي ،مطبعة المجمع 1421هـ .2001 ص:195.

[5]– سيبويه ، **الكتاب** ،تح :عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي،القاهرة ،ط1427،،3هـ .،2006، ج1،ص:307.

على الشأن لم يجز لأن الشأن ليس يلتبس بعبد الله إنما يلتبس به الرجل المضمر في الشأن، فلما كان قبيحا حملوه على الفعل ،فقالوا ما شأنك وزيدا ،أي ما شأنك وتناولك زيدا"[1].

ويستدل على قبحه بقوله :"إنك إذا قلت :ما شأنك وما عبد الله لم يكن كحسن ما جرم وما ذاك السويق ،لأنك توهم أن الشأن هو الذي يلتبس بزيد ،وإنما يلتبس شأن الرجل بشأن زيد "[2].

وهكذا يلجأ **سيبويه** إلى تقدير بنية عيمقة لبنية سطحية ظاهرها يؤدي إلى الالتباس، فيكون المبنى العميق مكونا تفسيرها.

ومنه أيضا ما جاء في "هذا باب ما يكون المبتدأ فيه مضمرا ويكون المبني عليه مظهرا، وذلك أنك رأيت صورة شخص، فصار آية لك على معرفة الشخص ، فقلت :عبد الله وربي فكأنك قلت ذاك عبد الله ،أو هذا عبد الله "[3].

فجملة (عبد الله وربي) هي التركيب الظاهر ،والتركيب العميق المقصود هو(ذاك عبد الله) كما قدره إمام النحاة **سيبويه**، فالبنية العميقة والسطحية في نحونا العربي ما هي إلا ظاهرة التقدير والتأويل للمعنى ولتوضيح معنى البنية العميقة والسطحية بشكل مبسط نورد المثال الآتي:" عندما نقول مثلا :زيد جاء؛ فالفاعل الحقيقي هنا مستتر فهو بنية عميقة؛ أي أن الفاعل مقدر وباطني ،وعندما نقول :جاء زيد ،فهنا زيد فاعل حقيقي، فهو بنية سطحية ظاهرة ، أي أن الفاعل ظاهر.فهنا حاول **تشومسكي** أن يبرهن للإنكليز مثلا :أن زيدا جاء الفاعل ،وهذا ما يسميه بالبنية العميقة والسطحية في النحو الإنجليزي."[4]

---

[1]– المرجع السابق، سيبويه ، **الكتاب** ،ص:307.

[2]– المرجع نفسه ،ص:308.

[3]– سيبويه، **الكتاب** :130/1.

[4]– للمزيد عن البنية العميقة والسطحية ،انظر:**قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث** ،مدخل:مازن الوعر ،ط1،دمشق ،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،1988،ص:359-361.

إن البنية العميقة والسطحية في نحونا العربي القديم ما هي إلا ظاهرة التقدير أو التأويل للمعنى كما أن السلامة النحوية والقبول الدلالي نسخة من الصحة والاستحسان عند سيبويه.

وفي سياق آخر نلفي **سيبويه** يبحث دائما عن الأصل، ولذلك وجدناه يقدر ويؤول ومن ذلك قوله "وما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى"[1].وقوله" فأما الأصل الأكثر الذي جرى مجرى الفعل من الأسماء ففاعل "[2].وقوله:"كان الأصل فيها أن يبتدئ بالفعل قبل الاسم "[3] وقوله "الابتداء إنما هو خبر وأحسنْه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يبتدئ بالأعراف وهو أصل الكلام "[4].وقوله:"الموصوفة في الأصل هي الأسماء"[5].

وفي الدرس اللساني الحديث تعرض التحويليون لهذه القضية (الأصل والفرع) في مواضع مختلفة منها"بحثهم للألفاظ (ذات العلامة)Marked ، وتلك التي بلا علامةUmmarked،وقرروا أن الألفاظ (غير المعلمة)هي الأصل وهي أكثر دورانا في الاستعمال ،وأكثر تجردا ومن ثم أقرب إلى البنية العميقة، فالفعل في الزمن الحاضر في الإنجليزية مثلا غير معلم (jamp– love) بينما الماضي تلحقه علامة (ed)=love, jamped ، والمفرد غير معلم (boy–books)وعليه فإن الزمن الحاضر أصل والماضي فرع ،والمفرد أصل والجمع فرع"[6] .

وتتلخص مظاهر اهتمام سيبويه بمعرفة البنية العميقة فيما يلي:

- الاهتمام بالأصل والفرع.
- اهتمامه بالتقدير والتأويل من أجل معرفة البنية العميقة .

---

[1]–سيبويه ،**الكتاب** ،تح:عبد السلام هارون :291/1.

[2]– المرجع نفسه،ص:117.

[3]– المرجع نفسه :137/1.

[4]– المرجع نفسه:328/1.

[5]– المرجع نفسه:228/1.

[6]– عبده الراجحي ، **النحو العربي والدرس الحديث ـ بحث في المنهج** . ص:144.

"ومثلما أقر **تشومسكي** في نظريته التوليدية التحويلية بوجود بنية عميقة في ذهن المتكلم تظهر في صورة تركيب سطحي غير نهائي بفعل التغيرات التحويلية التي تخضع لها البنية العميقة "[1]، نجد فكرة البنية السطحية والعميقة عند **عبد القاهر الجرجاني** قد أخذت بعدا عقليا رحبا، فقد أصل **المسدي** لهذه الفكرة عنده، وبين بأنه هو السباق إلى هذا الفكر التوليدي الذي يميز بين بنيتي الجملة العميقة والسطحية حين يفرق بين النظم والترتيب والبناء والتعليق جاعلا من النظم للمعاني في النفس، وهو ما يمثل البنية العميقة بمفهوم **تشومسكي** ، أما البناء فهو يمثل البنية السطحية الناتجة عن ترتيب الكلمات يقول **الجرجاني:**" لا يتصور أن تعرف اللفظ موضعا من غير أن تعرف معناه ولا تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما ،وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تم ذلك اتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[2] .

فعبد **القاهر الجرجاني** حينما تطرق للبنية العميقة، تناولها من حيث هي بنية ذات قابلية على أن تكون لها أكثر من بنية سطحية، وذلك حين تحدث عن التمييز، فالتمييز هو" الاسم المنصوب المفسر لما انبهم من الذوات"[3] .؛ففي قوله تعالى:" وَاشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبا "[4] .هنا محول عن الفاعل، يقول"وذلك أنا تعلم أن (اشتعل) للشيب في المعنى، وإن كان هو للرأس في اللفظ كما أن (طاب) للنفس ، و(قر) للعين و(تصبب) للعرق وإن أسند إلى ما أسند إليه يبين أن الشرف كان لأن سلك

[1]–نعوم تشومسكي،**جوانب من نظرية النحو العربي** ،ترجمة:مرتضى جواد بقر،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،جامعة البصرة ،1985،ص:177.

[2]–عبد القاهر الجرجاني ،**دلائل الإعجاز في علم المعاني** ،ط1،تح :عبد الحميد الهنداوي ،دار الكتب، العلمية بيروت،1422هـ 2001،ص:45.

[3]– عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:142.

[4]– سورة مريم، الآية:4.

فيه هذا المسلك "[1]، فاشتعل الرأس شيبا، فهذه بنية ظاهرية، وتقابلها البنية العميقة (اشتعل شيب الرأس)، والقواعد التحويلية أن يسلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء وهو لما هو سببه فيرفع به ما يسند إليه ويؤتي بذلك الفعل له في المعنى منصوبا بعده.

ومنه أيضا ما جاء به من حديثه عن (عيونا)في قوله تعالى:"وَفَجَّرْنَا ٱلَارْضَ عُيُوناً "[2] قال:"فالتفجير للعيون في المعنى، وقد أوقع على الأرض في اللفظ ،كما أسند هناك الاشتعال إلى الرأس وقد حصل بذلك من معنى الشمول ههنا، مثل الذي وصل هناك وذلك إنه قد أفاد أن الأرض قد كانت عيونا كلها، وأن الماء قد كان يفور من كل مكان منها"[3].

كما يرى **الجرجاني** أن " البنية العميقة الواحدة يمكن تحويلها وتفريعها إلى تراكيب نحوية متعددة الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها"[4].

وهذه الوجوه وإن اشتركت في أصل المعنى ،فإنها تختلف في الخصوصيات التي تزيدها عن ذلك الأصل،وهو ما عبر عنه بالفروق وهذه الخصوصيات إنما تقتضيها أغراض وظروف المقال ،فالحال على سبيل المثال يمكن أداؤه بطرق شتى من أصل واحد وهو البنية العميقة فهو "الاسم المنصوب المفسر لما انبهم من الذوات"[5].

مثال:

بنية عميقة :فعل(معناه الحركة ،الماضي)+اسم+حال(يؤكد نوع الحركة الأولى)

بنية سطحية:دخل محمد مبتسما .

---

[1]–عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ،ص:73.

[2]– سورة القمر،الآية:12.

[3]– عبد القاهر الجرجاني ، **دلالئل الإعجاز في علم المعاني** ،ص:74.

[4]– المرجع نفسه ،ص:82.

[5]– عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب**،ص:142.

دخل محمد يبتسم .

دخل محمد وهو يبتسم .

دخل محمد وقد ابتسم.دخل محمد قد ابتسم .

ومثل هذا نجده عند **تشومسكي،** ذلك أن البنية العميقة جملة نواة يمكن أن تتفرع عنها بنى سطحية متعددة كما هو مبين في الشكل الآتي للجملة النواة (وظيفة الفاعلية):[1]

Deep structure

Subject+verb means an action present+object

The boyeatsan appel

Surface structure :

The boyis eating an appel

An appel had been eating by the boy

An appel is eaten by the boy

إن نظرة عجلى في نصوص **عبد القاهر الجرجاني** تبين إدراكه للناحية العقلية من خلال تأكيده على" كون اللفظ تبع للمعنى في النظم "[2].وكون "الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس "[3].

وعلى ما سبق يكون إدراك العلاقة بين البنية العميقة وما يجري في السطح خطوة خطاها **عبد القاهر الجرجاني،** فربط بين النظم والتأليف من جهة والدلالة من جهة أخرى، وهذا يعد فهما للصياغة التي تعني السطح والدلالة المقصودة التي تعني العمق.وعلى هذا فإن نقطة الالتقاء بين

[1]– ينظر :نورية شيخي،**الجملة في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة ـ النص القرآني أنموذجا**ـ دار المتنبي ،دمشق ،دط 2013 ص:234.

[2]– عبد القاهر الجرجاني ،**دلائل الإعجاز في علم المعاني**،ص:46.

[3]– المرجع نفسه ،ص:46.

الدرس اللساني التوليدي الحديث والدرس النحوي العربي القديم واضحة، متجسدة في افتراضهما مستويين للجملة أحدهما باطني خفي والآخر ظاهري سطحي، وكل ذلك كان وفق حجج وأدلة نابعة من النظام النحوي نفسه.

2 النظرية التوليدية واللغات الاشتقاقية:

لقد انطلق **عبد السلام المسدي** من إحساس قوي بأن كثيرا من الأنظار التي وجدوها في فكر المحدثين الغربيين يوافق جوانب كثيرة منه ـ ما أمدنا ـالتراث اللغوي العربي وله محاولة جادة للربط بين النظرية اللغوية التي اهتم بها تشومسكي وما يقابلها في التراث اللغوي العربي "فلقد حدثنا **المسدي** عن **تشومسكي** واهتمامه بالنظرية اللغوية سنة 1947حين عرض عليه عالم اللسانيات **زاليج هاريس** مخطوطة كتابه مناهج في اللسانيات البنيوية الذي نشره بعد ذلك بأربع سنوات ،واقترح عليه أن يبحث في أنظمة الأنحاء كما تتشكل في بعض اللغات الأخرى فاختار أنموذج اللغات السامية"[1] .

يواصل **المسدي** تأصيله للنظرية التوليدية وما يقابلها في التراث اللغوي العربي؛ أي النظرية الصرفية القديمة، فقد حاول أن يعيد قراءة بعض المسائل الصرفية، وذلك بالتوسل بأدوات منهجية حديثة، و يؤصل لهذه النظرية التوليدية في التراث العربي القديم وفق منهج إعادة قراءة التراث ويحدثنا بإسهاب كيف اهتدى **تشومسكي** تدريجيا إلى الفكرة التوليدية ، وكيف صاغ نمذجتها الرياضية فيما أصبح يعرف بالنحو التوليدي، وهنا نقف من حديثه الفني الدقيق ـالذي هو أقصى درجات الاختصاص على مفتاحين ذهبيين يخصاننا في هذا المقام:[2]

" إن انبناء الرصيد المعجمي في أسرة اللغات السامية على أساس الجذر ثم على مبدأ حروف الزيادة التي تنضاف إلى عناصر الجذر ...هو الذي فتق ذهن **تشومسكي** إلى دراسة آلية التوليد

[1]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ، ص:143.

[2]– المرجع نفسه ،ص:143.

اللفظي فالتوليد المعنوي، انطلاقا من عملية التعاوض الصوتي، وهي العملية التي تحدث عنها **الخليل** ومن جاؤوا بعده بمصطلح التقليبات، وأهمية القضية هنا في منطلق مسيرة **تشومسكي** الذي كان يومها منغمسا في أعماق النمذجة الرياضية هي طواعية القالب الصرفي في اللغة السامية إلى ضبط المصفوفات الشكلية المحتملة، ثم عزل ما هو مستغل فعلا في نطاق اللغة كما هو غير مستغل ـ فهي الثنائية المفهومية التي تجسمت في مسألة المهمل والمستعمل في تاريخ جمع اللغة العربية كما هو معلوم"[1] .

لقد بين **المسدي** بأن عملية التعاوض الصوتي تقابل مصطلح التقليبات عند **الخليل بن أحمد الفراهيدي** ومن جاؤوا بعده **كابن دريد والقالي**، فالتعاوض الصوتي في الدرس اللساني المعاصر(اللسانيات) يتمثل في :" أن تقوم وحدة صوتية أو دلالية في نفس السياق مقام أخرى دون أن يطرأ عليها تغيير على دلالة المدخل المعجمي فمن ذلك أمر لازم،لازب ، وجذب الشيء وجبذه، وجاء في الحديث الشريف (فجذبني رجل من خلفي).

وجاء في **المزهر للسيوطي** :فمن ثم قالوا صقر والسين الأصل؛ وقالوا قصط ،وإنما هو قسط ...وقالوا في السبق، الصبق، وفي السويق، الصويق"[2].

وفي التراث اللغوي العربي يعد كتاب العين **للخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت175هـ) أول معجم خاص باللغة العربية، يمكن للمتأمل فيه أن يبصر بوعي وإدراك صاحبه لفكرة وظيفة الصوت وما يمكن أن يؤديه من تغيرات في تركيب بنية الكلمة العربية، مما ينفي عنه الاكتفاء بدراسة الأصوات بمعزل عن السياق، ويثبت اهتمامه بالقيمة اللغوية للصوت أثناء ترتيبه لمعجمه من خلال التقليبات التي أداها ،وتمكنه من تصنيف الكلام إلى مهمل ومستعمل، فعندما وضع أول معجم لغوي (العين) بناه على أساس تقاليب الحروف ولا نجد معنى لهذه التقاليب إلا معنى التوليد"

[1]– المرجع السابق،ص:143 .144.

[2]–محمد رشاد الحمزاوي ،**المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة بمصطلحاتها ومفاهيمها** . مركز النشر الجامعي ،تونس 2004،ص:226.

واعتمد **الخليل** مبدأ التقاليب ، ويقصد توليد كلمة من كلمة، وذلك بتغير مواضع حروفها"[1]، وذلك لاستخلاص المهمل والمستعمل من اللفظ العربي.

لقد اتبع الخليل النظام الصوتي باحثا في السمات الفونولوجية لترتيب الأصوات في الكلمة وهو ما أتى على تفصيله في مقدمة المعجم التي تحمل بين ثناياها مادة دسمة في علم وظائف الأصوات ،ذلك أنه حدد مخارج الأصوات وصفاتها من جهر وهمس وإطباق وغيرها ولعل تعليله لسبب تسمية معجمه دليل عن مدة وعيه ،يقول في ذلك" لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ،ولا بالألف ،لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ،فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء ،فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف"[2] فاستقام له ترتيب الحروف على النحوالآتي:[3]

رتبة المخرج	ترتيب الخليل	رتبة المخرج	ترتيب الخليل
الأول	الحلقية(ع ح هـ خ غ)	الخامس	النطعية (ط،د،ت)
الثاني	اللهوية (ق، ك)	السادس	اللثوية (ظ،ذ،ث)
الثالث	الشجرية(ج ش ض)	السابع	الذلقية (ر ل ،ن)
الرابع	الأسلية(ص،س،ز)	الثامن	الشفوية(ف،ب،م)

[1]– ينظر: سعاد بسناني ،**خلاصة التعليل الصوتي كالمستعمل والمهمل في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي** ،مقال في مجلة الصوتيات ،جامعة سعد دحلب ،البليدة ،أعمال الملتقى المغاربي الأول حول الدراسات الصوتية وقضايا المعجمية العربية،ص:2007.

[2]– السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ،تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون ،مطبعة عين البابيي الخليلي ،القاهرة دط،،دت:90/1.

[3]– الخليل بن أحمد الفراهيدي،**العين** ، تح: إبراهيم السامرائي و مهدي المخزومي :دار الرشيد للنشر ،العراق ،1980، 48/1، 52.

وقد جعل **الخليل** معجمه أقساما على عدد الحروف العربية وسمى كل قسم كتابا ،فابتدأ بكتاب العين الذي شمل معجمه كله من باب إطلاق الجزء على الكل ،وأتبعه كتاب الحاء وهكذا حتى استوفى سائر الحروف"[1] .

والخطوة الأخرى لدى **الخليل** في سبيل بناء معجمه، كانت استقصاؤه للأبنية، أي الأسس التي تقوم عليه الألفاظ " فوجد أن كلام العرب مبني على أربعة أصناف، الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي"[2]، فجعل هذه الأبنية أساس تقسيم كل من الكتب التسعة والعشرين على أبواب أربعة وكان الصرفيون قد تقصوا تلك الأبنية وعنوا بتصنيفها ،فلم يتجشم **الخليل** في ذلك مشقة"[3].

ثم كانت الخطوة الأخرى ترتيب التقاليب على أساس تلك الأبنية "فقد رأى **الخليل** مثلا أن حرف العين يمكن أن يغير موضعه في البناء الثنائي مرتين بأن يكون أولا وثانيا، وفي الثلاثي ثلاث مرات وهكذا دواليك"[4].ولقد تتبع **الخليل** التقاليب المتعددة لكل بناء وهذه الطريقة تساعده على حصر الألفاظ وتجنب تكرارها يقول **الخليل** في مقدمة معجمه:"اعلم أن الكلمة تتصرف على وجهين نحو:قد ،دق،شد ،دش،والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسةوهي نحو :ضرب، ضبر، برض، بضر، رضب، ربض، والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجها وذلك أن حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجها ،يكتب مستعملها، ويلغى مهملها ، وذلك نحو:عبقر تقول منه عقرب،عبرق، عقبر ،عرقب، عربق، قعرب، قبعر ،قبرع، قرعب قربع، رعقب، رعبق، رقعب، ربقع، ربعق، بعقر، بعرق، بعر ،بقرع،برعق ، برقع ، والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين

[1]– المرجع السابق ،**مقدمة التحقيق** :/15. 16.

[2]–المرجع نفسه: 47/1.

[3]–عمر الدقاق ،**مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم**،ط5 ،منشورات جامعية ،حلب ،سوريا 1988،ص:174.

[4]– المرجع نفسه،ص: 174 .175.

وجها، وذلك أن حروفها وهي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي، وهي أربعة وعشرون حرفا فتصير مائة وعشرين وجها يستعمل أقله ويلغى أكثره"[1].

على أن هذه التقاليب اقتضت وجود المستعمل والمهمل " إذ ليس من المحتم استخدام الوجوه الثنائية أو الثلاثية في معان وضعت لها ،فكان **الخليل** يشير في مستهل كل فصل على المستعمل والمهمل منها، أما فيما عدا ذلك من الأبنية ، أي في الرباعية والخماسية، فلم يكن يرى الخليل حاجة إلى هذا التمييز واكتفى بإيراد المستعمل دون أن ينص على المهمل؛ لأنه شيء كثير"[2] .ويمكن أن نمثل ذلك بقول الخليل " باب الحاء مع الظاء مستعمل ظ ح مهمل"[3] وقوله أيضا:" باب العين والصاد والميم معهما (ع ص م ، ع م ص ،ص م ع ،م ص ع مستعملات ،ص ع م مهملة"[4].

وهكذا تطرق **الخليل بن أحمد الفراهيدي** إلى ما يمكن أن يصيب الصوت من تغير داخل بنية الكلمة فيصير إلى قلب أو إبدال أو حذف، أو غيرها من قوانين تجاور الأصوات ، مما انتبه إليها وهي في مجملها مسائل صوتية تنم عن أصحابها ذو معرفة دقيقة ببنية الكلمة.

"أما الذي جاء بعد **الخليل بن أحمد الفراهيدي** ،فهو **أبو علي القالي** (ت 356هـ)"[5] ، فأول ما يطالعنا في معجمه الموسوم ب(البارع) في اللغة مقولة محققة " ولكنني بعد أن حققت النص (يقصد معجم البارع) وقعت على حقيقة طريفة جديرة بالإعلان، هي أن البارع ما هو إلا كتاب العين **للخليل بن أحمد الفراهيدي** "[6].**فالقالي** وإن وافق العين في مخارج بعض الأصوات اللغوية

---

[1]–ينظر :الخليل بن أحمد الفراهيدي،**العين**:59/1.

[2]– حسين نصار ،**المعجم العربي نشأته وتطور**ه ،دار مصر للطباعة ،ص:221 -222.

[3]– الخليل ، **العين**:22/3.

[4]– المرجع نفسه:313/1.

[5]– عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:143.

[6]– ينظر: هاشم الطعان ،**مقدمة معجم البارع للقالي** ،ساعدت جامعة بغداد على نشره ،رقم التعضيد 4 ،1973 . 1974 مكتبة النهضة ،بغداد ،دار الحضارة العربية ،بيروت ،ص:64.

إلا أنه خالفه في ترتيب بعض المخارج ،كما أنه خالفه في ترتيب الأصوات اللغوية في مخرجها الواحد فما جاء في مقدمة معجم البارع في اللغة من وصف لمخارج الأصوات اللغوية بعد دراسة دقيقة تتفق ما توصل إليه علم الأصوات الحديث .

لقد رتب القالي أصوات العربية على النحو الآتي:[1]

(هـ،ح،ع،خ،غ)، (ق،ك)، (ض) (ج،ش)، (ل ،ر ، ن)، (ط،د،ت) (ص،ز ،س)،(ظ،ذ،ث)، (ف،ب،م)،(و ،ا،ي).

وإذا قابلنا ترتيب القالي بترتيب الخليل أمكننا إيضاح الاختلاف بينهما من وجهتين :

1 اختلافهما في ترتيب المخارج النطقية ،ويبدو ذلك في الجدولة الآتية:[2]

المخرج	الخليل(العين)	القالي (البارع)	المخرج	الخليل (العين	القالي (البارع
الأول	الحلقية:ع ح هـ.خ غ	الحلقية: هـ ح ع خ غ	الخامس	النطعية:ط،د،ت	النطعية:ط،د،ت
الثاني	اللهوية :ق،ك	اللهوية:ق، ك	السادس	اللثوية :ظ،ذ،ث	الأسلية :ص،ز ،س
الثالث	الشجرية :ج ، ش ض	الشجرية: ض ج ش	السابع	الذلقية:ر ، ل، ن	اللثوية:ظ،ذ،ث
الرابع	الأسلية: ص،س،ز	الذلقية :ل، ر ، ن	الثامن	الشفوية:ف، ب،م	الشفوية :ف، ب،م

والثانية اختلافهما في ترتيب أصوات المخرج الواحد ويبدو ذلك في الجدولة الآتية:

[1]– ينظر المرجع السابق، هاشم الطعان ، **مقدمة معجم البارع للقالي** ،ص:70.

[2]–ينظر: يسرى عبد الغني عبد الله ،**معجم المعاجم العربية**،ط1،دار الجيل ،بيروت ، 1991،ص:126.

الخليل (العين)	القالي(البارع)
الحلقية(ع،ح،ه،خ،غ)	الحلقية(ه،ح،ع،خ،غ)
الأسلية(ص،س،ز)	الأسلية(ص،ز،س)
الذلقية(ر، ل، ن)	الذلقية(ل،ر،ن)

نلاحظ من خلال هذا الجدول اتفاقهما في أن المخرج الأول للأصوات اللغوية هو الحلق الذي تنتب إليه الأصوات الحلقية، وهما متفقان أيضا في رتبة الخاء والغين، وفي استثناء البدء بالهمزة مع علمهما بسبق مخرجها؛ لما روي عنها من أسباب ولكنهما يختلفان في ترتيب هذه الأصوات من وجهتين :إحداهما، أدخل الأصوات عند **الخليل** العين وعند **القالي** الهاء، والأخرى الحاء،عند **الخليل** قبل الهاء، وعند **القالي** بعدها " ولعل القالي أقرب إلى رؤية علماء اللغة المحدثين فيما ذهب إليه"[1].

إن مدرسة التقليبات الصوتية المعجمية، تعد مصدرا من مصادر الدراسات الصوتية في الدرس اللغوي ،من خلال ما أثبته علماؤها في مقدمات معاجمهم من أنظار صوتية، وليست هذه المقدمات المعجمية مجرد نقولات عن كتب اللغة، وإنما هي رؤى اجتهد فيها علماء هذه المدرسة في خدمة الدرس الصوتي بما قدموه وعرضوه.

أما المفتاح الثاني الذي عناه **المسدي** "فيتعلق بالنسقية الدلالية المتوفرة في اللغات السامية انطلاقا من جذورها اللغوية عند تضافر الحروف الأصول والحروف الزوائد ،فالخروج من الجذر الأصلي إلى الصيغة المزيدة ليس مجرد خروج معجمي قاموسي؛ بمعنى أنه ليس مجرد تولد لفظي ومعنوي على نمط الاصطلاح الدلالي الذي هوعرف اعتباطي في أصل نشأته ،إن ذلك الخروج محكوم بنظام يحققه ما لموازين الصيغ الصرفية من دلالات قصدية بذاتها، كأن نقول إن قالب (استفعل)يدل على الطلب، وإن قالب (انفعل)يدل على المطاوعة هذا النظام المتوفر في

[1]–ينظر :فوزي الشايب ، **محاضرات في اللسانيات**،ط1 ،منشورات وزارة الثقافة ،1999،ص:175.

أنموذج اللغات السامية هو الذي نبه تشومسكي كما يصرح هو بذلك إلى أن البنية الصرفية في اللغة تتضافر مع بنية دلالية هي تلك التي تسمى بالبنيةالمورفونيمية ،أي بنية دلالة الصيغ وإن شئت فقل بنية دلالة القوالب الاشتقاقية"[1].

لقد بين **عبد السلام المسدي** أن للأفعال صيغ ذات دلالات مختلفة أقر بها العلماء في القديم والحديث، وفي التراث العربي القديم نلفي ابن جني في هذا السياق يقول :" ...ومن ذلك وهو أصنع منه أنهم جعلوا استفعل في أكثر الأمر للطلب نحو استسقى واستطعم"[2]، وعليه فإن صيغ الأفعال بأنواعها تدل على الحدث وزمنه وما يتصل بهذه الأفعال من حروف الزيادة واللواحق كل ذلك له أثر في توجيه المعنى والدلالة، وعليه فإن كل إضافة من الأصوات للأفعال إلا وتفيد إضافة وتنوعا وتطورا للدلالة بين معاني الكلمات. ولقد أطلق على الزوائد في الدرس اللساني الحديث بالمورفيم المقيد ويعني في الدرس اللساني الحديث "الأشكال اللغوية التي لا يمكن أن توجد مستقلة كمنطوق كامل"[3].وتنقسم المورفيمات المقيدة إلى قسمين :

1السوابق :وهي المورفيمات التي تسبق الكلمة.

2اللواحق: وهي المورفيمات التي تلحق الكلمة.

ونجد نظيرا لهذا التصنيف في التراث اللساني العربي ،وإن لم يسمها أحد بالمورفيم المقيد لكنهم أدركوا أنه لا يمكن أن تستقل بذاتها ،إنما هي لواصق جاءت لأداء معنى ،وعرضوا ذلك في إطار منهجي وصفي يسعى إلى وصف اللغة المدروسة، فالبنية الموفينيمية =صيغة صرفية+دلالتها ولقد عرفت بهذا المصطلح في الدرس اللساني الحديث عند تشومسكي وكمفهوم عند العرب القدامى.

---

[1]- عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ، ص:144.

[2]– ابن جني ، **الخصائص**:125/2.

[3]– فوزي حسن الشايب ،**محاضرات في اللسانيات** ،ط1، مطبعة البهجة ،عمان ،1999،ص:288.

لقد تحدث القدماء عن الزيادة التي تدخل على الصيغ وعرفوا الزيادة بأنها " إلحاق الكلمة من الحروف ما ليس منها " [1].وهذه الزوائد تلحق الأسماء والأفعال على السواء.وحروف الزيادة في العربية عشرة وهي:الهمزة، والألف، والهاء، والياء، والنون، والتاء، والسين، والميم، والواو واللام"[2].وقد جمعها القدماء بعبارة سألتمونيها.

ويمكن أن نوضح ذلك من نصوص كتاب **سيبويه** وعلى النحو الآتي: فعندما ذكر السوابق الخاصة بالفعل المضارع وهي:(الهمزة، الياء، التاء، النون) قال عنها :" وهن يلحقن أوائل في كل فعل مزيد وغير مزيد وإذا عنيت أن الفعل لم تمضه وذلك قوله :أفعل ونفعل وتفعل "[3].فقوله يلحقن أوائل ،تدل على سبقها للفعل.

وتكلم عن الحشو (أي ما يزاد حشوا) فيظهر في كلامه عن زيادة بعض الأحرف في داخل بنية الكلمة ؛ أي ما يأتي منها ثانيا أو ثالثا أو رابعا ومن ذلك ما ذكره من زيادة الألف ثانية في (فاعل)لتوليد صيغة (اسم فاعل) من الفعل الثلاثي المجرد إذ وصف سيبويه هذه الزيادة فقال : " وأما الألف فتلحق ثانية، ويكون الحرف على فاعل في الاسم والصفة، فالأسماء نحو:(كاهل وغارب، وساعد) والصفة نحو: (ضارب ، وقاتل وجالس)"[4].

وقوله (فتلحق ثانية) يعطي دلالة على أنها تصبح من حشو الكلمة التي تزاد عليها.

وإن كان **سيبويه** لا يستعمل مصطلح المورفيم "وإنما يسمي الكل لواحق إلا أنه كان يحدد في الوقت نفسه موضع هذه الملحقات من الكلمة وكأن مصطلح الإلحاق عنده مصطلح عام يشير إلى كل حرف زائد على بناء الكلمة الأصلية وليس من حروفها المجردة "[5]."وهو بذلك يدرك أن

---

[1]–سمير شريف استيتية ،**اللغة العربية واللسانيات**،ط1،عالم الكتب الحديث ،إربد ـالأردن ،ج2،ص:26 .

[2]– سيبويه، **الكتاب** :4/235-237.

[3]– المرجع نفسه:4/278.

[4]– المرجع نفسه :4/249.

[5]– ينظر :مختار درقاوي ،**مباحث في اللسانيات العربية**،ط1، 2017،ص:40 -41.

هذه الزوائد تضيف معاني جديدة للكلمة أو الصيغة حال اتصالها بها على أنها لا قيمة دلالية لها بمفردها ما لم تتصل بالكلمة "المورفيم الحر"[1].

ومما يكمل نظرة القدماء للمورفيم المقيد ويتم نظرتنا التأصيلية لمفهوم المورفيم، إدراكهم المبكر لكون هذه المورفيمات كيانات ترابطية مع الكلمة ومن ثم فهي غير مستقلة عنها وهي بعد اتصالها بالكلمة تصبح جزءا لا يتجزأ منها.

3.الإفصاح والقرائن النحوية:

يقوم المتكلم بنظم كلامه بطريقة خاصة ترتبط فيه عناصر الجملة بعلاقات نحوية تمكن المتعلم من الإفصاح عن غايته، كما توصل المتلقي إلى فهم المقصود من ذلك، وذلك بالاعتماد على مجموعة من القرائن التي تشير إلى المطلوب وتفصح عنه.

ولما كان النحو العربي يتميز بشموليته للصوت والصرف والتركيب والدلالة ،بالإضافة إلى المقام الذي يؤثر في بناء الكلام ومعناه، كان هو المنطلق عند النحاة لتقسيم القرائن **فالجرجاني** عند تعريفه للقرينة يشير إلى أنواعها بقوله:" هي حالية أو معنوية أو لفظية نحو(ضرب موسى عيسى) و(ضرب من في الدار من على السطح)، فالأولى قرينة لفظية والثانية قرينة معنوي"[2].

لقد تكلم **المسدي** عن القرائن النحوية، ولقد بين بأن للقرينة دور مهم في إنتاج الدلالة داخل التركيب، فالمعاني النحوية في نظره لا تتحدد بالعلامات الإعرابية وحدها، بل بمجموعة من القرائن التي تتظافر فيما بينها، إذ لا بد من تظافر العلامات أو القرائن المعنوية الأخرى ،مع علامة الإعراب لتحديد الوظيفة النحوية للكلمة المعربة داخل التركيب، لأن الإعراب وحده قد يخفق في الدلالة على الوظيفة النحوية لتلك الكلمة إذا اختفت علامته .

[1]– السيوطي ، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ،تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية ،القاهرة :3/ 303- 307.

[2]– الشريف الجرجاني ،**التعريفات** ،دط،مكتبة لبنان ،بيروت ،1985،ص:146.

إن رأي **المسدي** هذا يوافق ما ذهب إليه **سوسير** حين بين بأن قيمة النص تظهر بتظافر القرائن اللفظية والمعنوية، وبتشكيل علاقة تبادلية بين الكل والأجزاء، يقول سوسير في هذا السياق :"فقيمة الكل في أجزائه كما أن قيمة الأجزاء تأتي من مكانتها في هذا الكل أو ذاك وكذلك فإن أهمية العلاقة التركيبية بين الجزء والكل كأهميتها بين الأجزاء فيما بينها "[1].

"فالإعراب قرينة سياقية تساعد على توضيح المعنى، ولا يجوز ترجيحها على بقية القرائن، لأن الإعراب وحده لا ينهض بالعبء الملقى عليه في تحديد المعنى الوظيفي والدلالي ضمن السياق النحوي إلا بتضافره مع القرائن الأخرى داخل السياق بأنواعه كلها"[2] .

كما تطرق **المسدي** إلى الحديث عن التضام المعجمي "الذي يأخذه اللفظ معجميا كاشتراط مشاركة المفعول المطلق لفعله في مادة اشتقاقه، إذ لا يكون لفظ المفعول المطلق ولفظ الفعل مشتقين من جذر واحد"[3].

إن هذه الظاهرة التي تطرق إليها **المسدي** لم تكن غريبة عن علماء الدرس اللغوي العربي القديم بل استعمل هذا المصطلح مقابلا لنظرية النظم عند **الجرجاني**، وتبلورت نظريته من خلال دراسته للنص القرآني، ودليله لمفهوم النظم كان نتيجة لدراساته الجادة وتفاعله مع النص القرآني في مواضع متعددة ، برهن فيها على نظريته من خلال إقامة علاقات ترابط بين مفردات اللغة تتوخى فيها معاني وأحكامه وذلك ما يسميه بالتعليق حيث يقول:" واعلم أنك إذا راجعت نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أنه لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك "[4].وكذلك بين أن النظم لن يوصف أو يستقيم إلا إذا قام على توخي معاني النحو ،ولقد جعل مفهوم النظم بمعنى التعليق ،وذلك في قوله:" ليس من عاقل

---

[1]– نعيمة قدور ،**القرائن اللغوية وغير اللغوية وأثرها في تحليل الخطاب القرآني**،أطروحة الدكتوراه،إشراف مرتاض عبد الجليل جامعة تلمسان ،2016،ص:15.

[2]–عواطف كنوش المصطفى ،**الدلالة السياقية عند اللغويين** ،ط1،دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ،لندن 2007،ص:62.

[3]–ينظر :عبد السلام المسدي ،**العربية والإعراب** ،ص:154.

[4]– عبد القاهر الجرجاني ،**دلائل الإعجاز** ،ص:58.

يفتح عين قلبه إلا وهو يعلم ضرورة أن المعنى في ضم بعضها إلى بعض وجعل بعضها بسبب من بعض لا أن ينطق بعضنا في إثر بعض من غير أن يكون فيما بينها من تعلق "[1].

ومن هنا فإن نظرية النظم فسرت مفهوم التضام الذي يكشف عن العلاقات الدلالية بين المفردات والجمل انطلاقا من توخي معاني النحو وبين فاعليته في بناء الكلام سواء أكان في مجال المعجم والدلالة الذي مثله التوارد والتنافر وفي مجال الوظيفة والتركيب الممثل في علاقات الاستلزام، فالتعليق إذا هو الإطار الضروري للتحليل النحوي ،أو كما يسميه النحاة (الإعراب).

4.الإفصاح والوظيفة الانتباهية:

إن ما جاء به **رومان جاكبسون** نظريته في وظائف اللغة، والتي تعتبر من ثمرات النظرية الاتصالية التي تعد قاعدة الخطاب أو ما يصطلح على توصيفه بالإبلاغ، وقد توصل أن كل حدث لغوي يتضمن ست وظائف أساسية ،تتطلب ستة عناصر وهي كالآتي :المرسل ، المرسل إليه، الرسالة، قناة الاتصال ، شفرة الاتصال ، المرجع.

لقد أدرك **عبد السلام المسدي** أهمية الوظائف الستة وتحدث عن منظومة جهاز التواصل بأطرافه الستة، و بالوظائف المنبثقة منها كما جلاها **رومان جاكبسون**، حيث شاء أن يدقق منزلة الكلام الإبداعي ضمن منازل الخطاب عامة ،ونلفيه في هذا السياق وهو يتحدث عن الوظائف الستة يقول:"... فإذا كانت الوظيفة التعبيرية تنبثق عن المرسل كلما تركز الكلام عليه وكانت الوظيفة الإفهامية تنبثق عن المرسل إليه، والوظيفة المرجعية تصدر عن المرجع المتحدث عنه، والوظيفة الانعكاسية تحيل على السنن المرتبة لقوانين نظم الكلام والوظيفة الشعرية تتولدعن تكثيف القصد الأدائي على الرسالة ذاتها، فإن الخطاب إذا ما تركز على أداة الاتصال المرتبطة بالمجال الموفر لاحتكاك الباث بالمتقبل، فالوظيفة المنبثقة عندئذ هي الوظيفة الانتباهية، ولذلك عرفها **جاكبسون**

[1]– المرجع السابق، عبد القاهر الجرجاني ، **دلائل الإعجاز** ،ص:336.

بأنها تتجسم في الحرص على إبقاء الصلة بين طرفي الجهاز أثناء التخاطب وفي مراقبة عملية الإبلاغ للتأكد من توفقها"[1].

لقد حصر **عبد السلام المسدي** وظائف اللغة في ست وظائف، كما هي معروفة عند العالم اللساني **رومان جاكبسون**، وكل وظيفة من هذه الوظائف تحمل دلالة معينة، وهي كالآتي[2]:

1 الوظيفة التعبيرية:

وترتبط هذه الوظيفة بالمرسل المتكلم ،وتعبر بصفة مباشرة عن موقفه تجاه ما يتحدث عنه.

2 الوظيفة المرجعية أو الإحالية :

وهي الوظيفة المتجهة نحو السياق التي تحدد العلاقات بين الرسالة والشيء الذي تحيل عليه.

3 الوظيفة التأثيرية أو الإفهامية:

وتتجه نحو المرسل إليه ،وتوجد في الجمل التي ينادي فيها المرسل المرسل إليه لإثارة انتباهه أو الطلب منه القيام بعمل ،وبوساطتها يأخذ النص قيمته التداولية.

4 الوظيفة الميتالغوية:

وتظهر هذه الوظيفة في الكتابات التي تكون اللغة مادة دراستها ؛أي التي تقوم بوصف اللغة وذكر عناصرها وبيان مفرداتها، وتتجلى هذه الوظيفة في اللغة الواصفة كلغة النحاة العرب مثلا.

[1]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:159.

[2]–خالد خليل هويدي ،**التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث ـ الأصول والاتجاهات** ،ص:262ـ 263.

5 الوظيفة الانتباهية أو الاتصاليةأو اللغوية (بفتح اللام):

وتهدف إلى إقامة التواصل وتمديده أو فسخه وتوظف للتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل (ألو تسمعني) " وتبدأ التحريات التي تدور حولها الوظيفة الانتباهية بالجوانب الحسية، من ذلك ما يحصل عند التخاطب على مسافة فيزيائية غير عادية ، أو عند التحاور وسط صراخ بشري أو على متن طائرة أو قاطرة أو داخل مصنع قوي الضجيج ومن ذلك ما يحصل عند المكالمات الهاتفية، أو عبر محطات الإرسال الإذاعية أو التليفزيونية ..."[1] فالهدف من هذه الوظيفة لفت انتباه المرسل إليه، والحفاظ على العملية الاتصالية وجعلها دائمة ومستمرة.

6 الوظيفة الشعرية:

وهي التي تتصل بالنص نفسه بوصفه رسالة،فاللغة تقوم بوظيفة شعرية أو جمالية في حال إنتاج خطاب ذي دلالات داخلية ؛أي خطاب دال داخل نفسه.

إن تصنيف **ياكبسون** لهذه الوظائف الستة جعله يتعرض لانتقادات من طرف الباحثين ،لأنه تعامل مع عملية الاتصال اللغوي وكأنها شيء قار ثابت ،على الرغم من أن للتواصل ديناميكية التواصل تحمل بنية اللغة آثارها الواضحة.

لقد بين **المسدي** إن هذه الوظائف الستة التي كانت معروفة في الدرس اللساني الحديث لم تكن غريبة عن علماء الدرس اللغوي العربي القديم ،"فالجاحظ مثلا يخصص للوظيفة المرجعية أو الإخبارية صفحات طويلة يناقش فيها مفهوم خبر وإخبار"[2] .ولا مراء في ذلك ما دام هذا المفهوم كان كثيرا ما يتردد في أوساط المعتنيين بعلم الكلام في عصره ، وللوقوف على حقيقة ذلك يمكن أن نعرض لنصوص كلامه، فهو يقول :" لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه

[1]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:159.

[2]–الجاحظ ، **البيان والتبيين** ،قدم له وبوبه وشرحه :علي بوملحم ،دار مكتبة الهلال ،بيروت،2002 :34/1.

وخليصه، ولا معنى شريكه المعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها"[1].

أما عن الوظيفة الميتالغوية، ووظيفة الاتصال ،فلقد عبر عنه بمصطلح (الاستعانة)، فيقول في هذا السياق:" فقلت له: لقد عرفت الإعادة والحبسة ، فما الاستعانة ؟قال: أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه يا هناه ،وياهذا ويا هيه، واسمع مني ، واستمع إلي، وافهم عني أو لست تفهم أو لست تعقل"[2] .

كما أن **الجاحظ** كان يستعمل مفهوم(التخير) و(التخيير) كثيرا ،وهذا المفهوم يدل على ضرورة اعتناء الكاتب باختيار الألفاظ ويمكن أن يقوم مقام ما اصطلح عليه **جاكبسون** باسم الوظيفة الشعرية ، **فالجاحظ** يبين هذه الوظيفة قائلا:" ولا يحتاج في فساد البيان إلى أكثر من ترك التخير"[3]، وهو هنا يقدم الوظيفة الشعرية على الوظيفة الإخبارية .

ومما يجدر التنبيه والإشارة إليه أن **المسدي** قد أعطى للوظيفة الانتباهية الاهتمام الأكبر على غرار الوظائف الأخرى ،فالوظيفة الانتباهية أو الاتصالية كما يطلق عليها تعمل على تنبيه المتلقي حتى يبقى على الاتصال وذلك من خلال أدوات التنبيه وهذا النوع من الاتصال يسمى بالاتصال اللفظي" ويندرج ضمن هذا النوع كل ما يستخدم فيه اللفظ كوسيلة لنقل رسالة من الباث إلى المتلقي ،وحينما نتحدث عن اللفظ هنا ؛فإننا نقصد اللغة المنطوقة ،إذ أن المتلقي يدرك هذا اللفظ بحاسة السمع في حالة كونه صورة سمعية ...ومن الأمثلة التي تستخدم فيها اللغة اللفظية :المحاضرات والمناظرات والمؤتمرات والمقابلات الاجتماعية وكل تجمع يكون فيه خطاب معين "[4] ."وتتدرج الوظيفة الانتباهية لتدخل إلى شقائق الكلام،فيندرج فيها ما يأتي فيه من تكرار

---

[1]– المرجع السابق، الجاحظ ، **البيان والتبيين**:34/1.

[2]– المرجع نفسه :112/1.

[3]– المرجع نفسه :89/1.

[4]–محمد سلامة ،محمد غباري والسيد عبد الحميد عطية ،**الاتصال ووسائله بين النظرية والتطبيق** ،المكتب الجامعي الحديث الإسكندر 1991،ص:59.

أو تأكيد أو إطناب أو جمل تفسيرية، وجميعها جزء لا ينفصل عن جسد الرسالة ومن هذا الباب ما يعمد إليه الخطباء والمحاضرون والباحثون على منصات الإلقاء عندما يقدمون ورقاتهم ،فالخبراء منهم بآليات التواصل يتحاشون قراءة الصفحات ويتوسلون بالمحاورة فإذا بهم وجها لوجه أمام الوظيفة الانتباهية بكل كثافتها وبكل غزارتها ، والمفلحون منهم من يوفقون إلى المقاصد يأتونها من حيث تؤتى"[1].

لقد بين **المسدي** بأن التواصل من أهم الوظائف اللغوية التي نادى بها **جاكبسون** فاقترنت التواصلية باسمه مستفيدا مما أفرزه العلم الحديث عامة وتراث **سوسير** خاصة :" **ف جاكبسون** يتكئ على النتائج التي توصل إليها علم الاتصال المتمثلة في أبحاث المهندس الأمريكي (شانون) المختص بمجال التلغراف والاتصال ليفرز لنا معنى جديدا للتواصل وهو إيصال المعلومات بوساطة المرسلات عبر أشكال متنوعة كالموجات الصوتية والذبذبات الكهربائية والأشكال البصرية في المرسلة الخطية "[2] فالتواصل عنده يأخذ بعدا منظما ففي الوقت الذي يتجاهل فيه **سوسير** البعد التبليغي في مخططه، نجد **جاكبسون** معتنيا به في نظرية التواصل عنده، فكل تواصل كلامي لا بد له من توافر عوامل في إنجاحه ،كما يوضحها الرسم الآتي[3]:

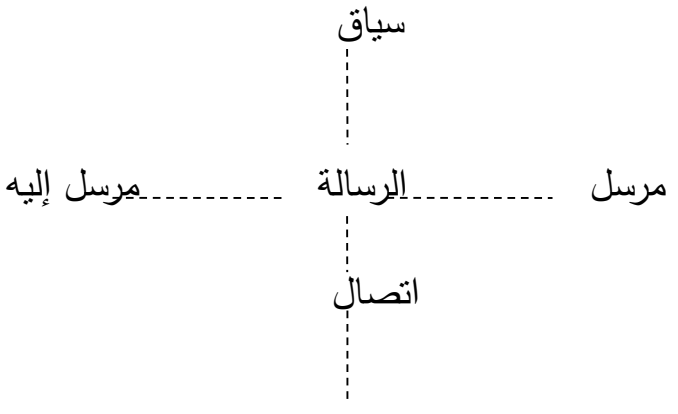

[1]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:159.

[2]–يوسف أبو العدوس،**الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)**،ط1، دار المسير للنشروالتوزيع، عمان ،1427.2007،ص:127.

[3]–ينظر :فاطمة الطبال بركة ،**النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص)**،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت ،1413هـ .1994،ص:65.

فالمرسل يعد مصدر الرسالة، والمرسل إليه هو من يقوم بفك رموز الرسالة وفهم مقصود المرسل ويتم ذلك ضمن (سياق)ترد إليه ،ثم تأخذ المرسلة نظاما مشتركا بين المرسل والمرسل إليه ، ثم لا بد من وجود قناة اتصال بينهما لإقامة التواصل والحفاظ على ديمومته.

" لقد عرف الأنموذج الذي عرضه **جاكبسون** بديناميكية التواصل وتبناه من جاء بعده ممن سار في الاتجاه الوظيفي، أمثال **داتيس** و**سغال**، فصورا العملية التواصلية على أنها حركة ديناميكية مستمرة تحمل بنية اللغة آثارها الواضحة "[1].

لقد تنبه العرب القدامى على ديناميكية التواصل اللغوي الخاصة بالوظيفة الاتصالية (الانتباهية)عبر تعريفهم للغة ،فكانوا يتبنون السمة الجماعية في عرضهم لقضايا لغوية موضحين الغاية من وجود اللغة ألا وهي الاتصال والايصال معا.

وقد لاحظنا التأكيد على السمة التواصلية للغة عند **ابن جني** في تعريفه للغة حين أعطاها سمة جماعية ،فلا تكون اللغة لغة إلا إذا توافر فيها ملق ومتلق ،وتكون صالحة للتعبير عن الأغراض على وجه الاستمرارية، يقول ابن جني في تعريفه للغة:" أما حدها : فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[2].

إن رأي **ابن جني** هذا يوافق ما ذهب إليه علم اللغة الحديث الذي ينظر إلى عملية الاتصال اللغوي " على أنها الوظيفة الأساسية الكبرى للغات البشر، إذ لاحظنا أنها تتمثل في نقل رسالة من مرسل يرسلها إلى مستقبل كما عن طريق قناة أو ناقل أو وسط في حالة الاتصال الشفهي بشرط وجود طرفي الاتصال المتكلم والمتلقي" [3].

---

[1]–حافظ إسماعيلي علوي ،**اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة** . دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته ص:343.

[2]– ابن جني ، **الخصائص**:44/1.

[3]– ينظر:مصطفى حميدة ، **نظام الارتباط والربط في تركيب العربية**،**ط1** ،مكتبة لبنان ،ناشرون ،الشركة المصرية العالمية لونجمان 1997،ص:13.

وتأخذ نظرية التواصل بعدا أكثر وضوحا عند البلاغيين ،فعند تعريفهم للبلاغة والبيان يركزون في مسألة التواصل بين المتكلم والمستمع بشكل واضح يقول **ابن المقفع**(ت131هـ)معرفا البلاغة بأنها " اسم لمعان تجري في وجه كثيرة منها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ...ومنها ما يكون خطابا" [1].فهو هنا يركز على السامع والمتكلم معا، لأنهما يمثلان طرفي التواصل.

كما يظهر مفهوم التواصل في التراث من خلال الإبانة عن المعاني يقول **الجاحظ:**" والبيان اسم جامع لكل شيء، كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل لأن مداره الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ،فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعاني فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[2]. **فالجاحظ** هنا من خلال كلامه على البيان يذكر خمسة عناصر للعملية التواصلية(المتكلم ،السامع وغرض كل منهما الفهم عن طريق اللغة، أما الشفرة أو الرمز، فهي ما يفهم من قوله (كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب).

"وتحدث **الجاحظ** بصريح العبارة عن شروط البيان أو الاتصال، حتى يتحكم في استمالة المتلقي، وذلك أن البيان بحاجة إلى تمييز وسياسة وتنظيم وترتيب، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة وبساطة المخرج، وجهارة المنطق وإتمام الحروف، وإقامة الوزن حتى تكون معاني جزلة ورائعة"[3].

---

[1]– الحسن عبد الله بن سهل العسكري ،**كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)**،ط2،تح: علي محمد البجاوي ،ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،مطبعة عيسى البابي الحلبي ،القاهرة ،1971،ص:23.

[2]– الجاحظ، **البيان والتبيين**:76/1.

[3]– ينظر: المرجع نفسه: 1/ 14.

و يقصد بالتمييز والسياسة أن يعمل الكاتب على إنتاج نصه، والتحكم في مساراته والتصرف فيه وإخراجه إلى نص جاهز محكم واف لكل المستويات التركيبية والدلالية والصوتية، حتى يحظى باستمالة القلوب، ولفت الانتباه باستحواذ فكره ليصل إلى الفهم والإفهام.

من قول الجاحظ هذا نتبين أنه يعتبر أن البيان يحصل باستخدام اللغة بين المتكلم والسامع فمن الجانب الأول يكون الإفهام لما تحويه المرسلات الكلامية، ومن الجانب الثاني يكون فهمها على حساب ما يريده الأول،هذا الرأي يوافق ما ذهب إليه هي **عبد السلام المسدي** الذي يرى أن" الوظيفة الانتباهية ليست ـ كما خيل **لجاكبسون** ـ مقصورة على الغلاف المحيط بالعملية التواصلية، وإنما هي تتدرج نحو الانغراس في صميم مضمون الرسالة لأنها تنخرط في عملية صناعة المعنى، بل هي في بعض المواضع مفتاح رئيسي من مفاتيح فك الرمز الدلالي ،فضلا عن فاعليتها في تكثيف المقاصد عبر غزارة التحاور السيميائي"[1]ويتبين من خلال عملية الاتصال اللغوي أن "دور المتلقي هو تحويل المبنى إلى معنى، أي أن الغاية من عملية الاتصال اللغوي هي نقل المعنى من الجهاز العصبي المركز لدى المتكلم إلى نظيره المتلقي، وما المبنى إلاّ وسيلة لتلك الغاية، لأن المعنى هو المهّم، وهو الغاية من عملية الاتصال"[2].

و قد أيد علماء الاتصال **كخليل أبو أصبع** الذي يعتقد أن هدف توصيل رسالة ناجحة ومفهومة، شرط أساسي لنجاح عملية الاتصال وأن لعلمي المعاني والبيان أهمية بالغة في تقديم الاتصال الناجح.

ولعل فكرة الاتصال أو البيان " من بين القضايا الهامة التي تعالجها اللسانيات اليوم ...وعلماء اللسان إن كانوا يختلفون أحيانا في تعداد هذه الوظائف وتحديد أهميتها إلا أنهم يجمعون أن للكلام وظيفتين أساسيتين: التوصيل والتعبير ،والتوصيل عندهم هي الوظيفة الأولى، ومعناه أن

[1]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ، ص:160.

[2]–ينظر: مصطفى حميدة، **نظام الارتباط والربط في تركيب العربية**، ص: 19.

اللغة قبل كل شيء ، أداة تمكن المتخاطبين من الاتصال بعضهما ببعض للتعامل أو التعاون في حياتهما اليومية،...والبيان يقصد به أيضا التبليغ والتوصيل زيادة على التعبير" [1].

أما ابن الخفاجي (ت466هـ) فيعرض لمفهوم التواصل وعناصره وهو يتحدث عن شروط الفصاحة والبلاغة فيقول:" ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام ظاهرا جليا لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأمل لفهمه، وإنما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم ويتفهموا المعاني التي في نفوسهم" [2]. ففي كلامه هذا إشارة إلى التواصل من خلال توجيه رسالة من متكلم إلى سامع عبر الكلام، فالكلام وسيلة الاتصال.

وإذا أردنا أن نحاكي مخطط **جاكبسون** ،فيمكننا تمثيل عناصر الاتصال التي وردت في التراث العربي على النحو الآتي:

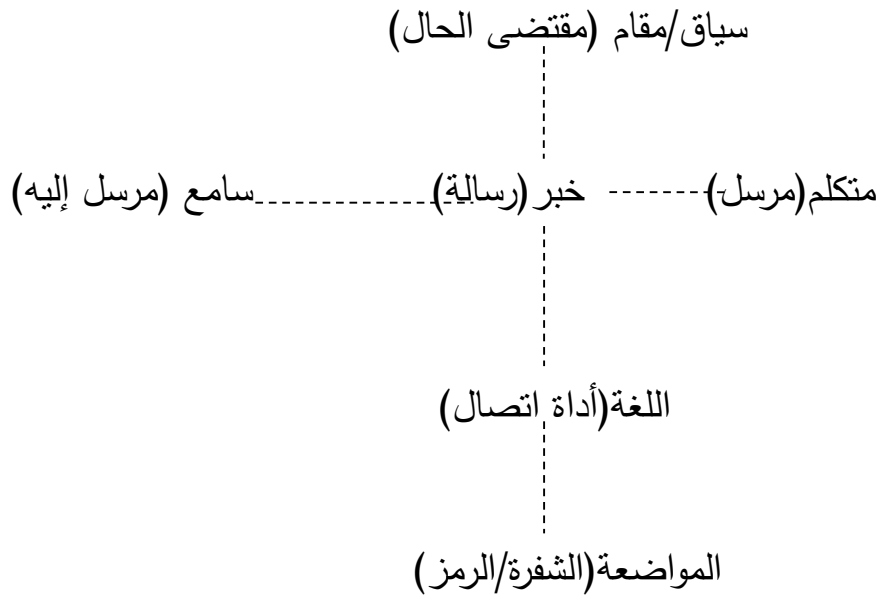

[1]–محمد الصغير بناني ، **النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين** ،ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ،الجزائر ،1994،الجزائر 1994 ، 195- 201.

[2]– الخفاجي ، **سر الفصاحة** ،ط1،دار المكتب العلمية ،بيروت،ص:220 . 221.

فاللغة هي سبيل تحقيق التواصل الأنجح، حيث لا يمكن للإنسان أن يجد لها بديلا يقوم بوظيفة التواصل على أكمل وجه، ولذا حاولت إبراز التواصلية للغة عند علمائنا القدامى بالرغم من استعمالهم لمصطلحات مختلفة؛ كمصطلح البيان، الفصاحة، البلاغة، الغاية من ورائها تحقيق الاتصال والتواصل أو بالأحرى، فهم وإفهام الرسالة اللغوية بين المتكلم والسامع ، أما عند الغربيين فكان ذلك جليا وواضحا في تعريفاتهم للغة وأجمعوا على أنها العنصر الأساسي الذي ينبغي استخدامه في الكشف عن نوايا الرسالة اللغوية بين طرفي الاتصال؛ أي بين المتكلم والسامع "، وينظر علم اللغة الحديث إلى عملية الاتصال اللغوي على أنها الوظيفة الأساسية الكبرى للغات البشر، إذ لاحظا أنها تتمثل في نقل رسالة من مرسل يرسلها إلى مستقبل كما عن طريق قناة أو ناقل أو وسط في حالة الاتصال الشفهي بشرط وجود طرفي الاتصال المتكلم والمتلقي"[1]، ويرى المسدي أنه مهما تعددت وظائف اللغة وأغراضها فإنها آوية إلى وظيفة مركزية واحدة هي تحقيق الاتصال والتواصل بين المتكلم والمخاطب وفي هذا المعنى يقول جورج مونان "ومهما يكن واقع بعض هذه الوظائف المختلفة على الأقل، ألسنيا كان ذلك أو نفسيا، فإن الجميع متفقون على هذه النقطة، الوظيفة الإبلاغية هي الوظيفة الأولى الأصلية الأساسية بالنسبة إلى الكلام، وما بقية الوظائف إلا مظاهر أو وضعيات غير ضرورية"[2] .

5. اللغة الإعرابية وإنتاج الدلالة:

إن استقراء حصيفا قادما لمدونات التراث تفضي بابن جني إلى تبيان وظيفة الإعراب بالقول:" الإبانة عن المعاني بالألفاظ"[3].

إن هذا التعريف وغيره مما يدخل في معناه جعل **المسدي** يعد الإعراب أداة لسانية تساهم مساهمة فعالة في وصف وظائف مكونات الجملة وتفسيرها " ونقصد هنا الإعراب الذي يسم أواخر مكونات

---

[1]–ينظر: مصطفى حميدة، **نظام الارتباط والربط في تركيب العربية**، ص:13.

[2]- جورج مونان، **مفاتيح الألسنية** ، ترجمة الطيب البكوش ، تقديم صالح القرمادي، منشورات الجديد، تونس ،1981،ص:70.

[3]– ابن جني ، **الخصائص** ، تح: محمد علي النجار ،عالم الكتب ، بيروت :35/1.

الجملة التي تقوم بوظائف تركيبية ودلالية كبرى"[1].فالمسدي لم يكن من اللسانيين الذين جحدوا ظاهرة الإعراب وعدم ارتباطها بالعربية ،فلقد ألف كتابا سماه (العربية والإعراب) وفي هذا الكتاب يتناول مسائل كثيرة تتعلق بالإعراب وإنتاج الدلالة والفرق بين اللغات الإعرابية واللغات غير الإعرابية.

إن الإعراب حسب **المسدي** ـ شديد الارتباط بالمعنى الوظيفي، فهو كعادته وفي لفلسفته في تناول القضايا اللغوية، وهي أن يجعل المعنى المركز الذي تدور في محيطه دراسة اللغة "لأن الألفاظ نستدل بها على سلامة التركيب بما أننا منه نحصل المراد، والتركيب نستدل به على معنى الألفاظ بما أن السياق هو الذي يتيحه لنا"[2]." فيكفي أن تعلم أن وظيفة الكلمة في السياق لتدعي أنك أعربتها إعرابا صحيحا"[3].

لقد كانت نتيجة إيمان المسدي بهذه العلاقة الوظيفية بين الإعراب والمعنى أن عد الإعراب هو الكشف عن الظواهر السياقية فهو يرى أن النحاة العرب" لما رأوا تغير الدلالة بتغير حركات الكلمات اصطلحوا على تسميته إعرابا"[4].

لقد حاول **المسدي** أن يؤصل لظاهرة الإعراب في التراث اللغوي العربي ، ولقد بين بأن للإعراب بعد تركيبي عند الجرجاني تمثل في جودة التأليف والنظم " فالنظم بالمصطلح الذي اشتقه له صاحب الأسرار والإعجاز بالمفهوم الذي أفرغه في قالبه ـ يرتدإلى النحو قبل أن يرتد إلى البلاغة، فإن رمنا الوفاء للنسق الفكري الذي اختطه له صاحبه والامتثال إلى المعمار المنهجي الذي سواه له ، تعين علينا القول :إنه سؤال البلاغة ينعطف على سؤال النحو من خلال سؤال المعنى"[5]، فالتقاء العامل مثلا سواء كان لفظيا أو معنويا بالمعمول في تركيب انسجمت ألفاظه وتضامت

---

[1] –عبد العزيز العماري ،**أدوات الوصف والتفسير اللسانية ،سلسلة من النحو إلى اللسانيات**،ط2،2015،ص:152.

[2] –عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:47 .

[3]– تمام حسان ،**مناهج البحث في اللغة** ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء ،1986،ص:227.

[4] –عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:48.

[5]– المرجع نفسه ،ص:48

يعطينا حكما إعرابيا دقيقا يحمل المعنى المقصود ويدل عليه يقول **الجرجاني:**"لا يقوم في وهم ولا يصح في غفل أن يتفكر في معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه وجعله فاعلا له، أو مفعولا، أو يريد منه حكما سوى ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأ أو خبرأو صفة أو حالا أو ما شاكل ذلك"[1] .ونلفيه في هذا السياق وهو يتحدث عن النحو بقوله:" إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيه حتى يكون هو المستخرج له، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى إليه ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه وإلا من غالط في الحقائق نفسه"[2]، فالوظيفة الدلالة للحركات الإعرابية تتمثل في المعنى فهي تؤدي دورا كبيرا في المعنى، لا تقل قيمته عن قيمة أصوات الكلمة ، أو حروفها في تحقيق معنى الجملة الدلالي، وقد أكد هذه الحقيقة العديد من علماء اللسانيين العرب المعاصرين من أمثال صبحي الصالح، ومازن الوعر، ورمضان عبد التواب ،محمد حماسة عبد اللطيف .

إن **الجرجاني** يعد من أكثر العلماء اهتماما للعلاقة القائمة بين النحو والمعنى، وهذا ما لمسناه من خلال نظريته المشهورة بالنظم "فلقد ذهب إلى أن صحة الكلام، وسلامة التركيب تمثل المرحلة الأولى، وتليها المرحلة الثانية التي تتمثل في استباط المعنى وإدراك الأغراض الكامنة في التركيب، وهي ما عبر عنه بالمعاني الثواني المستخلصة من الكلام، وعلى هذا كان تركيزه على ما تحمله التراكيب والأساليب من الدلالات والمعاني والأغراض وهذا ما أغفله كثير من النحاة المتأخرين"[3].

ونبصر عن جنب بأن للإعراب مفهوما تداوليا عند **عبد السلام المسدي**، يتخطى القرائن الشكلية؛ لصلته بالعلاقات النحوية التركيبية، وهذا المنحى الوظيفي في رأيه " تتصاع فيه أجزاء الملفوظات

[1]– عبد القاهر الجرجاني ،**دلائل الإعجاز**،ط1 ،تح:التنجي،دار الكتاب العربية ، بيروت ،1995،ص:303.

[2]– المرجع نفسه ،ص:304.

[3]–سامي عوض،**ظاهرة الإعراب وموقف علماء العربية قدامى ومحدثين** ،مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ،المجلد 34،العدد2، 2010م،ص:21.

لنسق البناء التركيبي وهي الصورة الحسية المثلى لإكمال جنين الدلالة، وما الإفضاء به إلا إعلان عن ميلاد المعنى"[1].

ولا ينأى عن الخاطر أن الإعراب ذو بعد حسي يتمثل في الحركات وآخر معنوي وهو" التغيير الحاصل بهذه الحركات التي شكلت أداة ربط كشفت عن طبيعة العلاقة بين الألفاظ والإعراب ولا يكون إلا انبثاق المعنى بعد تشكله في دلالة الخطاب"[2] .

ومن القضايا المهمة التي طرحها الكاتب في هذا الكتاب ما تعرض إليه في هذا الفصل ،حيث وضح الفرق بين تركيب الألفاظ في اللغات الإعرابية و غير الإعرابية فيقول: "و إنما نعني بالصورة التي يتم بها اللحام بين الألفاظ حين ترتصف في الخطاب وهذه على ضربين لا غير: فإما أن آلية اللغة تعتمد في ذلك توفير أدوات لفظية يتم بها ربط الكلمات بعضها ببعض ولا سيما عند الإبلاغ بالخبر ـ وإما أن تتجاوز عن ذلك فلا تصرح بالرابطة معتمدة على تغير أواخر الكلمات الذي يصبح هو ذاته قرينة كاشفة لطبيعة العلاقة الحادثة بين الألفاظ"[3].

إذن فلكل لغة من اللغات نظامها الخاص بها ،فمنها ما يعتمد على الأدوات اللفظية للربط بين الكلمات ومنها ما يكون سلبية إلى ذلك الإعراب.

ويلفت **المسدي** الانتباه إلى أهمية النحو في الكشف عن الدلالة فيقول في هذا السياق:" وكل ما سلف يوقفنا مرة أخرى على أن الدلالة ليست في الألفاظ وليست في مجرد التركيب ،وإنما هي في آليات الارتباط الحادثة بين الألفاظ عندما تتوالى في الكلام تواليا نسقيا، وليس من مرجع في ذلك إلا النحو ـ فهو المقياس الضابط لسلامة البناء من حيث هو الضامن لبلوغ المعنى"[4].

---

[1]– عبد السلام المسدي ،**العربية والإعراب** ،ص:48.

[2]– المرجع نفسه،ص:48 .بتصرف

[3]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب**،ص:49.

[4]– المرجع نفسه،ص:50.

إن رأي **المسدي** هذا يوافق ما ذهب إليه **الجرجاني** عندما عد التوافق بين العلامات الإعرابية والمعاني جزءا هاما من فصاحة الكلام، فلا مراء أن **الجرجاني** من علماء البلاغة الذين ربطوا بين إعجاز القرآن ونظمه،وبين الترابط التلفظي القائم على ربط الألفاظ بعضها ببعض ربطا معياريا، ذلك أن الفصاحة لا تكمن في الألفاظ المفردة، وإنما في العلاقات التجاورية التي تحكمها أو فيما جاورها من الألفاظ يقول أحمد سليمان ياقوت رابطا بين نظرية النظم ومعاني النحو عند الجرجاني:" إن السمة البارزة والعلامة المميزة لأبحاث عبد القاهر الجرجاني (ت 471 ه) في البلاغة ،أنه ربط بينهما وبين النحو فيما يعرف عنه عنه بنظرية النظم ،فالنحو عنده ليس مجرد قواعد نحوية يعرف بها المرفوع والمنصوب أو يميز بواسطتها المعرب من المبني ،بل إن المعاني النحوية لترتبط ارتباطا كبيرا بنظرية النظم عنده إن لم تكن هي نفسها من حيث تعليق كل كلمة بما يجاورها من الكلمات "[1]، "ومن الحقائق المقررة في الدرس النحوي أن النحو ـ بما هو درس للتركيب أو الجملة ـ إنما يدرس المعاني النحوية ـوليس المعاني المعجمية؛ أي أنه يدرس معاني الأشكال ذاتها أو المعاني التي تؤدي إليها البنية اللغوية والعلاقات التي تمثلها العناصر التي تتركب معا في الكلام"[2].

إن هذا المعنى بهذا هو نتيجة التفاعل بين معنى الألفاظ من ناحية ، ومعاني النحو التي أقامها المتكلم بين هذه الألفاظ من ناحية أخرى ،والمعنى يكتسب من ترتيب الكلمات على طريقة مخصوصة وحصولها على صورة من التأليف مخصوص، ومن خلال هذا التقسيم التركيبي الذي يمزج فيه بين المستوى النحوي والمستوى الدلالي نستطيع أن نتبين أهمية العلاقة بين المفردات داخل التركيب من جانبين:[3]

---

[1]– أحمد سليمان ياقوت ،**دراسات نحوية في خصائص ابن جني**،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ،1410ه . 1990م ص:199.

[2]–عبده الراجحي ،**فقه اللغة في الكتب العربية** ،ص:162.

[3] –سامي عوض، **ظاهرة الإعراب وموقف علماء العربية قدامى ومحدثين**،ص:19.

أولهما :جانب اختيار المفردات بحسب دلالتها المعجمية لما لها من قيمة في المعنى الدلالي فعندما،يساء اختيار الكلمة المناسبة يختل التعبير ويفسد المعنى نحو(أتيتك غدا) و(سآتيك أمس وهو ما عبر عنه سيبويه بالكلام المحال.

ثانيهما :جانب اختيار موضع الكلمة للدلالة على معنى معين، فإذا لم يحسن اختيارها فسد المعنى، وهو ما عبر عنه سيبويه بالكلام المستقيم القبيح كقولنا:قد زيدا رأيت،فلو قلنا :قد رأيت زيدا بتقديم الفعل رأيت وتأخير المفعول به (زيدا)لاستقام المعنى، لأن الفعل يأتي على إثر حرف التحقق (قد)ولا يجوز الفصل بينهما.

فالحديث عن مفهوم الاستقامة في الكلام عند سيبويه، أمر أفرزته اللسانيات المعاصرة وخصوصا التوليدية منها ، "فسيبويه بحث في أصولية الجملة من حيث كونها صحيحة نحويا وتركيبيا وهذا أصل من أصول التي دعت إليها النظرية التوليدية التحويلية في بداياتها الأولى **فتشومسكي** دعا إلى أن تكون الجملة المنجزة صحيحة نحويا تخضع للحدس عند ابن اللغة وإن لم تكن صحيحة دلاليا، فالتركيز هنا على الجانب النحوي التركيبي بعيدا عن الجانب الدلالي، غير أننا لا نستطيع أن نعزل التركيب عن الدلالة فهما وجهان لعملة واحدة ،فالهدف من الكلام أو الجملة هو الإفهام "[1]، وهذا ما اتفق عليه جل علماء العربية عندما قدموا تعريفا للكلام أو الجملة، وهو الموقف الذي تبناه علماء اللغة المعاصرون ومنهم عبد السلام المسدي فقد اشترط الإفهام في التركيب اللغوي؛ أي عدم عزل التركيب عن الدلالة،وبين أهمية النحو في الكشف عن الدلالة." فالدرس اللغوي لا يتفق مع النظرية التوليدية التحويلية في فصل المعنى عن نظام التراكيب، ولكنه يوافقها في أن نظام الجملة قد يكون موافقا لنظام العرب في كلامها أي تكون الجملة صحيحة قواعديا كما تقول النظرية التوليدية، ولكنها غير صحيحة من ناحية المعنى" [2]، فالنظرية التوليدية التحويلية تعتمد

[1]–حمزة أحمد الخلايفة،**جهود كل من داود عبده وميشال زكرياء في المدرسة التوليدية العربية** ،رسالة دكتوراه،جامعة مؤتة عمادة الدراسات العليا ، الأردن ،2013،ص:222.

[2]– النعيمي ،حسام سعيد، **ابن جني عالم العربية**،ط1 ،دار الشؤون الثقافية العامة ،وزارة الثقافة والإعلام ،الجمهورية العراقية 1990،ص:174.

في حكمها على نحوية الجمل على القواعد الكلية التي يدركها المتكلم والسامع المثالي، ويوضح **تشومسكي** ذلك من خلال المثالين الآتيين اللذين يكشفان صحة الجملة من عدمها:[1]

1 colorless green ideas sleep furiously

(الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة)

2 furiously sleep ideas green colorless

بشدة تنام الأفكار الخضراء التي لا لون لها)

فالجملة 1 يدركه السامع المثالي الإنجليزي بأنها بلا معنى ،ولكنها تنتظم قواعديا، ويدرك المثال الثاني جملة بلا معنى ولا انتظام في مفرداتها طبقا لقواعد النحوالإنجليزي ،فليست جملة نحوية.

وهذا ما دفع **تشومسكي** إلى القول إلى أن أي بحث عن تعريف القواعدية يعتمد الدلالة يكون عقيما ،"غير أنه يعود عن هذه الفكرة في نظريته المعيارية أو النموذجية ، إذ نجده يدخل العنصر الدلالي للعملية اللغوية "[2]وهذا ما نادى به علماء التراث، وهو ما يتوافق وعلماء اللغة المعاصرين؛ كالمسدي.

ومن المسائل التي تناولها **المسدي** في هذا الفصل أهمية الإعراب في اللغات الإعرابية ومنها العربية، وذلك لارتباطه بالنص القرآني الذي إليه المرجع في الدين كله، فلقد تحدث عن العربية بقوله:" تتوفر على آليات في إنتاج الدلالة تضاهيها آليات الألسنة غير الإعرابية كالفرنسية والإنجليزية وبناء على ذلك يكون النحو بمجمله مختلفا في إجراءاته بين اللغة العربية والألسنة الأخرى: الجهاز النحوي في اللغة الإعرابية إيذان بخروج المعجم إلى تداول وحلول المفرد في السياق ،لأنه كشف للقرائن القائمة بين الألفاظ من داخل أبنية الألفاظ ذاتها ،لذلك كان المعنى

[1]– تشومسكي ، **البنى النحوية**،ط1 ،تر:يؤيل يوسف عزيز ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،العراق ،،ص:19.

[2]–مازن الوعر ،**نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية**،دار طلاس ،دمشق 1987،ص:59 .60.

وليد حيثيات الاقتران بين الكلمات عندما تتوالى في سياق التعبير فضلا عن أنه ـ كما في اللغات غير الإعرابية ـ وليد مواقع الألفاظ في نسيج التركيب"[1].

إن نص **المسدي** هذا يستوقفنا أن المنجز اللساني يكشف عن نسيج مؤتلف من الرؤى بين الموروث اللغوي القديم والاتجاه التداولي الحديث، وأن استظهار تلك الأنظار من ظاهرة الإعراب تفضي للولوج في اتجاهات البحث اللساني والوقوف إلى إحدى مرتكزاته متمثلة باللسانيات التداولية" فهي تتجاوز الدراسة البنيوية للغة إلى دراستها في سياق استعمالها ومراعاة القرائن الخارجية المحيطة بالقول "[2] . إذن تشكل التداولية قاسما مشتركا بين أبنية الاتصال النحوية والدلالة البلاغية، فيتبين استعمال اللغة وما يتولد عنها من دلالات في مقامات خطابية تحقق التواصل.

أما بخصوص القضية الشائكة المتعلقة بنشأة الإعراب وعلاقته بالمعنى يقول **المسدي** :" ولو أن قارئا تفرغ بعض التفرغ لاستنطاق الكتاب (المقصود كتاب سيبويه)من هذه الزاوية لثبت لديه بما لا دخل للشك فيه أن سيبويه كان يدرس اللغة العربية وهو واع بأنها في حالة صيرورة تاريخية، وبأن ظاهرة الإعراب هي خاصية ملازمة للوظيفة الدلالية من أجلها يتوسل الإنسان بالكلام، وهذا في ذاته مرسى جوهري من مراميا لأن **سيبويه** الذي كان شاهدا على جل عقود القرن الثاني للهجرة (ت150ه) ، والذي كان صدى أمينا للمخاض المعرفي حول اللغة كما جسمه أستاذه **الخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت 170 ه) ما كان بوسعه أن يغفل عن حقيقة الإعراب لو كان الإعراب عنصرا غير محايث للغة العربية لاسيما وهو الأعلم بالأسباب المباشرة وغير المباشرة التي حفت بنشأة علم النحو"[3]، فلقد أشار **سيبويه** للإعراب على أنه:" يجري على ثمانية مجار: على النصب والجر والرفع والجزم ،والفتح والضم والكسر والوقف. وهذه المجاري الثمانية يجمعهن

---

[1]– عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ، ص:62.

[2]– ينظر: عبد الحميدالسيد ،**دراسات في اللسانيات العربية. بنية الجملة العربية. التراكيب النحوية والتداولية ،علم النحو ،وعلم المعاني**،ط1 ،دار الحامد للنشر والتوزيع،عمان ،الأردن،1424ه ،2004،ص:119.

[3]– عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص: 70 ـ71.

في اللفظ أربعة أضرب :فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد ،والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضم، والجزم والوقف"[1] إذن فلا مناص من القول بأن الإعراب ظاهرة موجودة في العربية منذ أقدم العصور المعروفة حافظت عليها لأنها تمثل أداة طيعة تساعد المتكلم ليتسع في كلامه معبرا عما في نفسه عن معان ودلالات .

ولا نغادر هذا الفصل دون أن نثبت رأي **المسدي** فيما لابس طرح هذه القضية في العصر الحديث، إذ يقول: " غير أن الناظر في ظلال القضية والمتقصي لكل متضمنات إثارتها ولاسيما في العصر الحديث ،يدرك بيسر تام أنها انزاحت عن سكتها لأن بعض الذين تناولوها قد انزلقوا بها عن مسارها الطبيعي ،فانقلبت على أيديهم إلى مسألة ثقافية عامة، بل انتقلت إلى دوائر أخرى من النظر لن نجازف إن قلنا هي ذات بعد حضاري لارتباطها بتفسير مقومات التاريخ وذات بعد معرفي لوثيق اتصالها بآليات التفكير وحيثيات التوظيف"[2] فلا شك إذن في أن هؤلاء الباحثين قد اقتنعوا بالأنموذج العربي وأصبح الأساس في نظرتهم إلى الأشياء، فما وافقه فهو جيد، وما خالفه فهو سيء ورديء.

ولعل من الذين أنكروا الإعراب من حاولوا أن يلبسوا أفكارهم لبوس العلم، فإلى هؤلاء توجه **المسدي** بقوله: " فإذا كان علم اللغة من حيث هو مصطلح ومن حيث هو مضمون علمي ويعني بالنسبة إلى واقعنا العربي في تاريخه وفي جغرافيته وفي مكونه الحضاري معرفة ما في فترة ما في جهة ما، فإن تبعات هذه النظرية المتأسسة على إنكار الوجود التاريخي للإعراب لا تلقى إلا عليه، أما إذا كان مفهوم علم اللغة في ذهن من يلهج له أو في ذهن من يصغي مطابقا لمفهوم اللسانيات في بعدها المعرفي الأشمل، و في امتدادها الثقافي الأقصى وفي أصوله الإبستيمية الأعمق، أو كان الذي يفوه باللسانيات هم ممن يطابقون بينهما وبين مصطلح (علم اللغة)، فإننا

[1]–سيبويه ، **الكتاب**،ط1 ، تح : عبد السلام هارون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ج1،1999،ص:13 .

[2]– المرجع نفسه ،ص:68

نعلن برداءة اللسانيات من هذا التأويل ونؤكد مناقضتها لهذا المنهج ونصدح باعتراضها على هذه المصادرة "[1] .

ومما لايحسن أن نتخطاه وإن ترامت أطراف الحديث تحس كنه ما ناقشت به اللسانيات الحديثة الإعراب أو بالأحرى الحالة الإعرابية بوصفها موضوعا أساسيا في النظريات اللسانية " **فتشومسكي** يرى أن نظرية الإعراب تهتم بمسألة إسناد الإعراب المجرد إلى العناصر التي تحتل مواقع يهمها التأثير الإعرابي "[2]، فهو يرى أن وجود الحالة الإعرابية تجعل العناصر واضحة وجاهزة لأن تطبق عليها قواعد مختلفة (صوتية،منطقية مثلا) مسؤولة عن تحديد الأدوار المختلفة في السلسلة الكلامية " **فتشومسكي** يعد الحالة الإعرابية في ضوء المدرسة التوليدية نظاما فرعيا للنحو الكلي universal grammaire بوصفه نظرية تعالج الملكة اللغوية وذلك لصياغة المبادئ التي تدخل في عملها، وتحديد تلك المبادئ خصائص العبارات العامة في كل لغة إنسانية، وهو تفسير لحالة الملكة اللغوية الأولى قبل أي تجربة"[3].

ونحن نرى أن اللغات عنده من حيث تحقق الحالة الإعرابية نوعان: الأول ما تكون فيه الحالات الإعرابية ظاهرة من خلال ظهور النهايات الإعرابية، والآخر تكون الحالات الإعرابية فيه خفية، إذ لا تظهر النهايات الإعرابية علناً لكنها حاضرة في العقل، وهذا ما تؤكده المبادئ العامة لإسناد الحالة الإعرابية.

---

[1] –عبد السلام المسدي، **العربية والإعراب** ،ص:74.

[2] – Chomsky ,N,la novelle syntaxe,Tr,Fr :Lélia Pécabia seuille ,1987 ,p 82-221-2

[3] – ينظر: نعوم تشومسكي ، **المعرفة اللغوية ـ طبيعتها وأصولها واستخدامها** ،ترجمة وتعليق :محمد فتيح ،دار الفكر العربي القاهرة ،1993،ص:254.

6. العربية والمغالاة في الاجتهاد:

تعرض النحو العربي في العصر الحديث لحملات نقدية لم يتعرض لها أي جانب آخر من جوانب اللغة العربية ؛فقد هوجم علماؤه وسفهت قواعده ومؤلفاته.

ولما ازداد النقد لهذه القواعد والتبرم منها ووصفها بالصعبة والجامدة؛ برزت جهود على مستوى المؤسسات والمجامع اللغوية في القاهرة ودمشق وبغداد والأردن والرباط للنقد والإصلاح بموضوعية علمية، وذلك من خلال الجلسات التي كانت تعقدها تلك المجامع والمؤسسات لمدارسة هذا الموضوع، ولعل من أقدم المحاولات لإصلاح النحو وتيسيره في العصر الحديث محاولة **رفاعة الطهطاوي**، ثم تتالت المحاولات مع **إبراهيم مصطفى**"فمضامين التجديد، تراوحت بين الإلغاء والاستبدال الاصطلاحي والترميم الجزئي، في إطار النظرية النحوية العربية، وبين استثمار النظريات الحديثة لإعادة بناء النحو العربي على أسس شبيهة بما بنت عليه اللغات الطبيعية أنحاءها"[1] وفي هذا السياق يقول المسدي" من الذين حاولوا في العصر الحديث تجديد النظر إلى اللغة العربية وقضاياها واجتهدوا في تأويل بعض أبواب النحو العربي إبراهيم مصطفى ،بل إنه بالكتاب الفريد الذي نشره سنة1937 قد عد من الأوائل بدأت معهم حركة إحياء النحو بمراجعة مصادراته ومقولاته بعد أن اتسعت حركة إصلاح تعليم النحو وتيسيرا كتسابه عن طريق مراجعة أدواته التربوية ،وهي الحركة التي استهلها رفاعة الطهطاوي منذ بداية النهضة العربية الحديثة"[2] .ويعد حسب بعض المهتمين " أول كتاب ظهر في العالم العربي في العصر الحديث لنقد نظريات النحو التقليدية ،وأول محاولة رصينة للتجديد"[3] فإبراهيم مصطفى عده المسدي من رواد التجديد في النظر النحوي في القرن الثاني للهجرة، وقد وجه الأنظار إلى ضرورة التعامل مع النحو برؤية جديدة لا تتنكر للقديم جملة ،ولكنها تفصح عنه بما يناسب العصر وما يتطلبه النظر الأكاديمي

---

[1]–إبراهيم عمر زبيدة، **حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث** ،ط1،دار الكتب الوطنية،بنغازي ،2004،ص:67.

[2]– عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:82.

[3]– ينظر :عبد الرحمان محمد أيوب ،**دراسات نقدية في النحو العربي** ،الكويت ،مؤسسة الصباح ،دط، دت ،ص:ج من المقدمة إلى الحاشية.

النقدي ،فلم يكن هدف هذا العالم النحوي أن ينتقص من النحو ، ولا نظرية العامل ،ولكنه أراد أن يكتشف الدلالات التي تؤديها الحركات الإعرابية الثلاثة، ولهذا استحدث تصنيفات جديدة محاولا استبعاد مفاهيم العلة والعامل ،لذا يرشدنا إلى الطريق الصحيح الذي هو " أن ندرس علامات الإعراب على أنها دوال على معان وأن نبحث في ثنايا الكلام كما تشير إليه كل علامة منها"[1] ،فكان غرضه من هذه المحاولة التي أخذت من وقته سبع سنين بقوله " كان السبيل النحو موحشا شاقا ،وكان الإيغال فيه ينفض قواي نقضا ويزيدني من الناس بعدا ومن التقلب في هذه الدنيا حرمانا، ولكن أملا كان يرجيني ويحدو بي في هذا السبيل الموحشة، أطمح أن أغير منهج البحث للغة العربية وأن أرفع المتعلمين إصر هذا النحو وأبدلهم منه أصولا سهلة يسيرة تقربهم من العربية وتهديهم إلى خط من الفقه في أساليبها "[2].

"والمتأمل في النحو العربي يدرك تماما أن هذا التراث الثرور ،وهذا المنتج الدقيق يستبطن في نفوس أصحابه وفي بطون مؤلفاتهم أصولا تنظيرية ضمنت له وحدة التصور والمنهج والدراسة"[3].

لقد أدرك **المسدي** بفكره الثاقب أن إحياء النحو عند **إبراهيم مصطفى** هي نظرة تجديدية تأصيلية للنحو العربي، " فبحاولته هذه استطاع نفض الغبار عن التراث العربي في النحو وإعادة الأصالة إليه في كشف علل الإعراب وفلسفة العامل ونقد المذهب النحوي في العامل"[4] .فإبراهيم مصطفى في نظره لم ينطلق من العدم، وإنما اطلاعه الكثير على التركة اللغوية التراثية وانفتاحه على مناهج البحث اللغوي العربية جعلته يخرج بمحاولات تيسير النحو من التبيسط إلى محاولة تغيير المنهج الوصفي أكثر المناهج تأثيرا في توجيه رؤية الدارسين العرب للتراث النحوي العربي.

---

[1]– إبراهيم مصطفى ،**إحياء النحو**،ط1،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة ،1937،ص:50.

[2]– المرجع نفسه ،**مقدمة المؤلف** ،ص:أ.

[3]– الأمين ملاوي ، **تيسير النحو العربي بين التنظير والتعليم** ،مجلة العلوم الإنسانية ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،العدد 25 ماي ،2012 ،ص:220.

[4]– ينظر: عبد السلام المسدي ،**العربية والإعراب**،ص: 81.بتصرف.

يرى **إبراهيم مصطفى** أن النحاة باهتمامهم وتضييق دائرة بحثهم في دراسة" أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء " [1]، فوتوا الفرصة على أنفسهم وعلى من جاء بعدهم في الاطلاع على أسرار التأليف لأن النحو في نظره هو:" قانون تأليف الكلام وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة ،والجملة مع الجمل حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها"[2].

إن تعريف إبراهيم مصطفى للنحو يتصف بالعمومية في مصطلحاته، فلربما أراد المؤلف أن يمزج بين علمي النحو والبلاغة، لذا بنى تعريفه على ثلاثة منطلقات أساسية وهي:

1/ قانون 2/ بيان 3/ اتساق.

فالقانون هو النظام والضوابط التي تحول دون تسرب اللحن والفساد والاضطراب .

أما البيان فهو الوضوح الذي يجعل صياغة الجملة وفقه مفهومة وبليغة.

وأما الاتساق فيمكن مقابلته بالنظم .

فالتعريف فيه من روح نظرية النظم ما لم يقو على إنكاره أحد ،دعى فيه صاحبه إلى ربط النحو بالبلاغة، وأن دراسة النحو يجب أن تكون مرتبطة بالأساليب لا منفصلة عنها، فكتابه هذا يعد بحق أول مقاربة نقدية شاملة للتراث النحوي، حيث يلتقي إبراهيم مصطفى مع ابن مضاء القرطبي في دعوته التيسيرية لإلغاء التقديرات العاملية، محاولا وضع بناء جديد للنحو العربي، وفي رأيه أن النحاة حين قصروا النحو على البحث في أواخر الكلم قد أخطأوا العربية من وجهين[3]:

أ. حين حددوا النحو حرموا أنفسهم وحرمونا من الاطلاع على كثير من أسرارا لعربية ،وأساليبها المتنوعة ومقدرتها في التعبير فبقيت هذه الأساليب مجهولة.

[1]– إبراهيم مصطفى ،**إحياء النحو** ،ص:1.نقلا عن :عبد السلام المسدي ، العربية والإعراب ،ص:82.

[2]– عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص: 82.

[3]– المرجع السابق، عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:82،بتصرف.

ب. رسموا للنحو طريقا لفظيا من رفع ونصب وجر ولم يشيروا إلى ما يتبع كل وجه من أثر في رسم المعنى وتصويره.

"وهكذا يحدد إبراهيم مصطفى المسوغات التي خولت له أن يصادر منذ البداية على أن الرفع علم الإسناد، وأن الجر علم الإضافة وأن الفتحة ليست بعلم على إعراب، وتفسير ذلك حسب تأويله وتحليله أن من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني ، وأن العلامات الإعرابية إشارة إلى معان يقصد إليها فتكون تلك الحركات دوال عليها "، ونلفي إبراهيم مصطفى في هذا السياق يقول: " فأما الضمة علم الإسناد فهي لذلك تدل على أن الحركة المرفوعة يراد أن يسند إليها ،ويتحدث عنها" [1]، وأما الكسرة في نظره فإنها " علم الإضافة ، وأشار إلى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء أكان هذا الارتباط بأداة أم بغير أداة كما في : كتاب محمد ، وكتاب لمحمدٍ"[2] فأما الفتحة في نظره فليست علامة إعراب ولا تدل على شيء وقد استعملها العرب لخفتها يقول الشيخ:" فأما الفتحة فليست علامة إعراب ولا دالة على شيء ، بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد أن تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك فهي بمثابة السكون في لغة العامة" [3].ولكن هذا الفهم اعتبره المسدي قاصرا ومبهما من حيث أن العلامة الإعرابية ليست أكثر من واحدة من قرائن كثيرة يتوقف عليه فهم الإعراب الصحيح.

إن المحور الرئيسي الذي تدور حوله أبحاث الكتاب، ومنه تنبثق الأفكار التجديدية فيه هو الحركات الإعرابية، فعدها إبراهيم مصطفى " من عمل المتكلم ليدل بها على معنى في تأليف الجملة ونظم الكلام"[4] .

[1]– إبراهيم مصطفى ،**إحياء النحو**، ص:50.

[2]– المرجع نفسه ص:50.

[3]– المرجع نفسه ،ص:50.

[4]– المرجع السابق ،ص:50.

لقد أشار **المسدي** في كتابه هذا أن نظرة فاحصة لمحتوى كتاب إبراهيم مصطفى تدل دلالة واضحة على تأثره بكبار النحويين ؛مثل ابن جني (ت 392هـ)الذي يرى أن " العمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره، وهو أيضا متأثر بما كان يراه ابن مضاء القرطبي (ت 592هـ)"[1].

لقد تأثر إبراهيم مصطفى بما ذهب إليه **ابن جني والرضي** في أن العامل هو المتكلم ، كما تأثر برأي ابن مضاء القرطبي في رفض العلل، فقال معلقا على منهج النحاة في فكرة العامل

"رأوا أن الإعراب بالحركات وغيرها عوارض للكلام تتبدل بتبدل التركيب على نظام فيه شيء من الاضطراد فقالوا عرض حادث لا بد له من محدث وأثر لا بد من له من مؤثر، ولم يقبلوا أن يكون المتكلم محدثا هذا الأثر لأنه ليس حرا فيه يحدثه متى يشاء، وطلبوا لهذا الأثر عاملا مقتضيا وعلة موجبة وبحثوا عنها في الكلام فعددوا هذه العوامل ورسموا قوانينها"[2] .ويحدد هدفه ومبتغاه في قوله :" ونحن نبحث عن معاني هذه العلامات الإعرابية وعن أثرها في تصوير المعنى ...ولم يكن لنا أن نسأل عن كل حركة ما عاملها ولكن ماذا تشير إليه من معنى"[3].ولذلك وزع الحركات فقال: الضمة علم الإسناد والكسرة علم الإضافة والفتحة ليست علما على شيء فهي الحركة الخفيفة " ، وفي الحقيقة هو رأي الزمخشري، ولذلك رأى النحو قانون تأليف الكلام، ونوه بعمل أبي عبيدة في كتابه (مجاز القرآن)، وبعبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) ما جعلنا منتظرين أن يظهر شيء منها في كتابه لاسيما ما يتعلق بنظم الكلام وتعالق الكلمة بالأخرى ،فيكون فهم الجملة ووظائف المفردات في الجملة قائم على قرائن دلالية أو سياقية مع

[1]– ابن جني ، **الخصائص** :111/1.

[2]– إبراهيم مصطفى ،**إحياء النحو** ،ص:31.

[3]– المرجع نفسه ، ص:41 .42.

قرينة العلامة الإعرابية، وهي قرينة جزئية من قرائن المعنى النحوي ولعل التوجه إلى تعالق المفردات في الجملة يمثل إحياء النحو أشد من إحياء العلامات الإعرابية"[1].

إن الذين تناولوا فرضية إبراهيم مصطفى بالنقد والتقويم كثيرون " ولعل ما كتبه الدكتور حلمي خليل في كتابه العربية وعلم اللغة البنيوي والذي بناه على رصد التأثيرات الحاصلة في الفكر اللغوي العربي الحديث والوافدة من الثقافة اللسانية المعاصرة ، ومن أهم ما تناوله المؤلف بالنقد فيما يخص فرضية إبراهيم مصطفى مفهوم النظام الذي بنى عليه استدلاله "[2] لقد أبدى الدكتور حلمي خليل وجهة نظره في محاولات التجديد وتأمل فيها بعين البصير الناقد مفندا ما يحتاج إلى تفنيد ومتقبلا ما يراه مناسبا ،فمحاولة التجديد عنده " إنما تكون بالرأي الجديد ولا يمكن أن تكون بالرأي القديم لأنه هو الذي يراد إحداث التجديد فيه"[3] .فعلى الرغم من الإحياء الذي نراه للكتاب في محاولة طرح قضية النحو بقوة، وإعادة النظر فيه "فقد انتهى إلى الإبقاء على الجانب التعليمي وحده؛ بغض النظر عن الأصول ومنهج البحث، وهذا كله لا يدخل في باب التجديد الذي يقوم على أصول جديدة ومنهج جديد ونظرية جديدة"[4]."فما قدمه إبراهيم مصطفى من الصفات الصوتية في أثناء كلامه على الفتحة وعلى حركتي الضمة والكسرة وكيفية نطقهما لا ينسجم مع معطيات الدرس الصوتي الحديث"[5]؛ ففضلا على كونها غير دقيقة تهمل اعتبارات يجب أن تلاحظ وهي طبيعة الأصوات السابقة واللاحقة لها، كذلك فإن ما يقرره من بعض المعايير كوصفه الفتحة بأنها الحركة المستحبة وإهماله لبقية صفاتها، وكذلك قوله بأن الحركات لا تختلف عن مجانستها من المديات إلا بإشباع ؛أي : طول مدة التصويت ،شيء لا يقره عليه

[1]– عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب**.ص:85. 86.بتصرف

[2]– المرجع نفسه ،ص:83.

[3]– حلمي خليل ،**العربية وعلم اللغة البنيوي** ،،ص:68.

[4]– المرجع نفسه ،ص:65 وما بعدها.

[5]– المرجع نفسه ،ص:65.

علم الأصوات الحديث، كما أن قانون الخفة الذي يراه في اختيار الحركات ولاسيما الفتحة ليست من المعايير الواضحة المعالم.

أما **المسدي** فإنه لا ينكر فضل إبراهيم مصطفى في أنه تجرأ على تحريك القناعات الوثوقية الراسخة ،لكن ذلك لم يمنعه من أن" يحجب مواطن الزلل في منظومة الاستدلال الفكري كما سواها بنفسه، ومورد الزلل من منبعين: الأول أنه من فرط حبه للغة العربية ، ومن شدة وعيه بضرورة تنظيم العلاقة التعليمية بين العربي ولسانه قد راح يفترض أن كل بنية لغوية ظاهرة لا بد أن تحتها بنية خفية لا تقل عنها انتظاما ،فإذا به ينزلق إلى المغالاة في النسقية، والثاني بعد أن كان وجيها في القول بأن اللغة محكومة بالنظام وبأن الإعراب يندرج ضمن القوانين المحددة لهذا النظام ،وبعد أن كان وجيها أيضا في القول بأن دلالة الخطاب التي هي ثمرة انتظام أجزائه انتظاما مخصوصا، مقترنة بعلامات الإعراب اقترانا بالضرورة لم يهتد إلى القبضة التأليفية الجامعة بين العناصر الثلاثة :عنصر التركيب وعنصر الإعراب وعنصر المعنى في معادلة تجمع في طرفيها بين اتزان البنية وإجراء الوظيفة"[1].

إن **المسدي** يبين بأن هذا العالم الجليل قد ولج إلى تشخيص الأزمة النحوية من صعوبة تعلم القواعد وتعليمها، ففرض متطلبات التدريس على الصناعة النحوية، فأساء إلى النظرية من حيث أراد تيسير التعليم وإصلاحه" فكم من عالم من علمائنا العرب قد تهافتوا فانخرطوا في حزب الدعوة إلى البساطة والتبسيط والتيسير والاستسهال فنسوا وظيفة إنتاج المعرفة وامتطوا مراكب رفع الأمية العلمية"[2] .

ومما يمكن أن يضاف إلى جملة الردود على إبراهيم مصطفى القول بأن اللغة نظام فكري كامل متتام يصعب حصرها في معنيين تظل تدور حولهما، بل إن مثل هذه الفكرةمن شأنها أن تحد من إبداع اللغة وتطورها، فلو كان الإسناد والإضافة هما مناط العربية بأسرها، فإنه من السهولة

[1]–عبد السلام المسدي، **العربية والإعراب** ،ص:84.

[2]– المرجع نفسه ، ص:201 .202.

بمكان أن نحكم بفقر العربية وضحالتها الفكرية، ذلك أن المعاني الإنسانية أكثر من أن تختصر في معنيين، ومثلها المعاني النحوية ،فما المعاني النحوية إلا ضرورة لغوية للمعاني عامة.

7.إنكار الإعراب وانتكاس المنهج:

إن العربية شجرة نسغها الإعراب،وإن النحو معرفة لا رواد لها إلا الإعراب، ولا يعرف النحو إلا من عاناه، ولا يعرف سر الإعراب إلا من طعم لذة الإفصاح به، ولا يدرك خبايا الدلالات إلا من وقف على ظلال المعاني من خلال فروة النحو وشقائق التركيب .

" أما الإعجاز باللغة في أسمى تجلياتها فلا يستنشقن أريجه إلا من أوتي فيضا يلهمه القدرة على الارتجال باللغة وهي تامة الأركان ،مستوفية لحقوق النحو، مؤدية لفرائض الإعراب، ولا يزداد المرء إدراكا لأسرار الإعراب كما يزداده حين ينكره المتكبرون، ولا يزداد تعلقا به وحبا للغته مثلما يكون له حين يرى من البدع الفكرية ما يسول لبعض العلماء العارفين المهرة أن ينافحوا عن استلال العربية من الإعراب أو التجاوز عن نظام الإعراب تخفيفا للمشقة وتيسيرا لاكتساب اللغة"[1].

ولعل الأنموذج البارز في هذا المضمار هو الذي أتانا به الدكتور إبراهيم أنيس في مصنفه الذي جاء في عنوانه يشير بغير ما حملته لنا بعض فصوله وهو كتاب من أسرار اللغة" الصادر سنة 1951، الذي يعد أهم مؤلف عنده ،استعرض فيها ظواهر لغوية نعتها بالمشكلات اللغوية"[2]، ويعرض في كتابه هذه الظواهر اللغوية التي تبدو للوهلة الأولى مسائل فرغ القدماء من بحثها " ولكنه يرى فيها صورة مشاكل لغوية لا تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتحقيق وظهرله ذلك بعد اتصاله بدراسة المستشرقين للغات السامية ، ودراسات الغربيين للغاتهم الحديثة والقديمة ، وقد حاول علاج المشاكل اللغوية علاجا علميا حديثا مؤسسا على أحدث النظريات التي اهتدى المحدثون ،ويمهد في المقدمة لما يتوقعه من إنكار الناس لما جاء في الكتاب ولاسيما الفصل

[1]– المرجع السابق، عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:100 .101.

[2]– ينظر :إبراهيم أنيس ، **من أسرار اللغة** ،ط1،مصر ،مكتبة الأنجلو مصرية ،1978،المقدمة.

الخاص بقصة الإعراب، ولكن على حد تعبيره لا يهدف إلى الدراسة العلمية البريئة من الأغراض والأهواء"[1].

لقد أقام الدكتور إبراهيم أنيس كتابه هذا على أربعة فصول تناول في أولها طرائق نمو اللغات البشرية، من قياس واشتقاق وقلب وإبدال ونحت وارتجال واقتراض، وفي ثانيها منطق اللغة أي العلاقة بين اللغة والمنطق ،ليشير إلى تأثر النحو العربي بالمنطق ،ثم عرج على النظرية الحديثة التي ترى أن لكل لغة منطقها الخاص ،أما الفصل الثالث فقد خصص بما أسماه (قصة الإعراب) ونلفيه في هذا السياق يقول:" ما أروعها قصة!لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حيكت وتم نسجها حياكة محكمة في أواخر القرن الأول الهجري أو أوائل الثاني ،على يد قوم من صناع الكلام نشأوا معظم حياتهم في البيئة العراقية ثم لم يكد ينتهي القرن الثاني الهجري حتى أصبح الإعراب حصنا منيعا، امتنع حتى على الكتاب والخطباء والشعراء من فصحاء العربية وشق اقتحامه إلا على قوم سموا فيما بعد بالنحاة"[2] .

لقد بين المسدي بأن إبراهيم أنيس أحد المنكرين لوظيفة الإعراب الدلالية، فالإعراب في نظره ليس حقيقة من حقائق العربية ولا خصيصة من الخصائص التي لازمتها ، ولكنه شيء مستحدث استحدثه قوم من النحاة في نهاية القرن الأول الهجري أو بداية القرن الثاني الهجري فنجده في هذا الكتاب يروي كيف أصبح الإعراب أهم ظاهرة في اللغة العربية على الإطلاق والسبب في رأيه هو غلو النحاة في صناعته ثم حاول تفسير هذه الظاهرة على أنها ضرورة صوتية يلجأ إليها المتكلم لتحقيق الوصل بين الكلمات، ودليله في هذا كما يقول " إذا قرأنا خبرا صغيرا في إحدى الصحف على رجل لم يتصل بالنحو أي نوع من الاتصال، فسترى أنه يفهم معناه تمام الفهم مهما تعمدنا الخلط في إعراب كلماته، برفع المنصوب ونصب المرفوع أو جره"[3].فهنا إبراهيم أنيس ينكر

---

[1]– ينظر :عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:102.بتصرف

[2]– أبراهيم أنيس ، **من أسرار اللغة** ،ص:198.نقلا عن :عبد السلام المسدي ،**العربية والإعراب** ،ص:105.

[3]–إبراهيم أنيس ،**من أسرار اللغة** ،ص:237.

أن يكون للحركة الإعرابية أي مدلول، وإنما هي لوصل الكلام ودافع بحجج كثيرة عن رأيه، ورآها عبد السلام المسدي بأنها غير مقنعة، وقد أدرك بأنه قد اقتفى قطربا(ت209هـ) في نظرته للإعراب الذي يقول:" إنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون فجعلوه في الوصل محركا حتى لا يبطئوا في الإدراج وعاقبوا بين الحركة والسكون وجعلوا لكل واحد أليق الأحوال به ،فلم يلتزموا حركة لأنهم أرادوا الاتساع "[1]..

يرى **المسدي** أن أصل اللغة عند **إبراهيم أنيس** غير معربة " ففي هذا الكتاب ينكر أن يكون الإعراب ذا وجود نظامي في تاريخ اللغة العربية ، وما كان منه موجودا في بعض الحالات فهو غير محايث للغة ولا هو مطرد الاطراد الذي يرويه لنا التاريخ وكل الأمر أن الإعراب نظام مصطنع افتعله النحاة وفرضوه فرضا ليبسطوا به سلطانهم على من سواهم فتحقق لهم ما أرادوا"[2]،فالإعراب مثلا بالحروف كالمثنى والجمع ما هو إلا نطق لهجي، نتيجة خلطهم بين لهجات عربية مختلفة، ولذلك عده إبراهيم أنيس قصة اختلقها النحاة.

ويمضي إبراهيم أنيس في دعواه منكرا أن يكون الإعراب من مستلزمات الفصاحة اللغوية التي كان يتصف بها العرب فيقول:" وعلى هذا يمكننا أن نتصور أن ظاهرة الإعراب لم تكن سليقة في متناول العرب جميعا كما يقول النحاة ، بل كانت كما قلت في كتاب اللهجات العربية صفة من صفات اللغة الأنموذجية الأدبية، ولم تكن من معالم الكلام العربي في أحاديث الناس ولهجات خطابهم"[3].ويضيف إلى ذلك قائلا "إن تلك القواعد الإعرابية رغم وجود أساس لها في لغة العرب، قد نسقها النحاة تنسيقا جيدا ،فيه من قياسهم وابتكارهم قدر غير قليل ... وهكذا أصبح الإعراب شعار العصر أيام الرشيد والمأمون ،وفي تلك العصور الإسلامية الزاهرة ومرت الأيام على تلك الأصول الإعرابية فازدادت رسوخا وأصبحت تحل من نفوس المتعلمين مكان التقديس

---

[1]– الزجاجي، **الإيضاح في علل النحو** ،تح: مازن المبارك ،ط3،بيروت ،دار النفائس ،1985،ص: 70 .71.نقلا عن فاطمة الهاشمي بكوش ،**نشأة الدرس اللساني العربي الحديث** ،ص:40.

[2]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:100.

[3]– إبراهيم أنيس ،**من أسرار اللغة** ،ط6،مكتبة الأنجلو مصرية،1978،ص:203.

والعبادة"[1].فإبراهيم أنيس ينكر ما تواضع عليه علماء اللغة العربية من كون الإعراب كان سليقة في العرب، وهو يساير خرافة اللغة الأنموذجية الأدبية التي ابتدعها المستشرقون كما يرى أن المجيء بالعلامات الإعرابية إنما هو لغاية صوتية مفادها وصل الكلام بعضه بعضا فالسكون فيها هو الأصل ويستند في ذلك على أدلة وبراهين منها:

1. أن البحث في اللغات السامية القديمة لا يمكن من العثور على أثر واضح للإعراب في هذه اللغات
2. "عدم وجود حركات إعرابية في اللهجات المعاصرة "[2] .
3. قد تسقط الحركات الإعرابية لبعض الكلمات من النصب إلى الجر لا بغير معناها[3] .

ثم يخلص أنيس أن الحركات الإعرابية ،خلافا لما ادعاه النحاة لا تحدد المعاني، بل تعدو أن تكون حركات يحتاج إليه في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض، والذي يحدد المعاني النحوية هو" مكونات الجملة ورتبة مكوناتها والسياق الذي يحيط بإنشاء الجملة وظروف قولها"[4]؛فنظام الجملة والموضع الخاص للمركبات فيها هو الذي يحدد المعاني ،وكذلك السياق ولا يمكن اعتبار حركات الإعراب محددة ما دام اللحن فيها لا يغير المعنى، لكن هذا الافتراض لا يتناسب مع الأساليب العربية كالتعجب والاستفهام والنفي ... وفي هذا نرى أن إبراهيم أنيس قد غالى بعض الشيء، فيما ذهب إليه خاصة وأنه لم يقدر جهود أولئك الذين ضحوا في سبيل لغة الضاد.

لقد بين المسدي أن إبراهيم أنيس في تشكيله هذا، قد تبنى النظرية الغربية التي تعتمد على الرتبة في تحديد المعنى ،لكن بهذا ابتعد وتنكر لقوانين اللغة، وحط من قيمة الإعراب التي رفعها

[1]– المرجع السابق، إبراهيم أنيس ، **من أسرار اللغة**،ص:209.

[2]– ينظر :يحي عبابنة وآمنة الزغبي ،**علم اللغة المعاصرة** ،دط،دار الكتاب الثقافي ،الأردن ،2005،ص:74 . 75.

[3]– حافظ إسماعيلي علوي ، **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة** ،ص240.

[4]– المرجع نفسه،ص:240.

العلماء القدامى، كابن فارس الذي يقول: " للعرب في ذلك ما ليس لغيرها فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني يقولون :مِفْتَحٌ للآلة التي تفتح بها ،ومفتح لموضع الفتح ..."[1]

فكان على إبراهيم أنيس أن يوفق في النظرة إلى الإعراب ؛ لأن النظرة العلمية الصائبة تقتضي أن ندعو إلى الاعتدال في التعامل مع قواعد العربية خاصة الإعراب، باعتباره ظاهرة لغوية أصيلة ترتبط بالاستعمال اللغوي، نتعامل معه بقدر ما يخدم المعنى كما يقول ابن جني: " الألفاظ خدم للمعاني والمخدوم . لا شك ـ أشرف من الخادم "[2]، فالحركات الإعرابية ليست إلا قرينة لفظية توضح المعاني النحوية.

وخير ما نختم به في تقييم ما جاء به الدكتور إبراهيم أنيس ما قاله الأستاذ عبد السلام المسدي " إن الدكتور إبراهيم أنيس قد كان رائدا من رواد البحث اللغوي الحديث في تاريخ نهضتنا العربية المعاصرة ، وإنه قد مثل فترة مخصوصة من تاريخ المعرفة اللغوية كان فيها مجسما خير تجسيم للارتباكات الأولى التي أثقلت مسيرة العلم اللغوي ومجسد أيضا لما يطرأ على المعرفة عند ارتحالها من بيئة ثقافية إلى أخرى"[3].فالمسدي هنا يقف على العوامل الكامنة وراء ما نجده من شذوذ في آراء أنيس ، ويتمثل ذلك في انبهار هؤلاء الباحثين بما هو موجود في الثقافة الغربية ،ومحاولتهم تطبيق مقولاتها ونظرياتها على الثقافة العربية وعلومها وفروعها.

والحقيقة أن إبراهيم أنيس ليس إلا وجها من وجوه كثيرة سارت في هذا الاتجاه،ودعت إلى ترك الإعراب وتطوير اللغة العربية" وقد استعرض الدكتور أحمد سليمان ياقوت جانبا من آرائهم في كتابه (ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم) ومن هؤلاء الذين ذكرهم

---

[1]– ابن فارس ، **الصاحبي في فقه اللغة** ،ص:191.نقلا عن :دليلة مزوز ، **الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة** رسالة دكتوراه ،قسم الأدب العربي ،بسكرة ، جامعة محمد خيضر،2008،ص:236.

[2]– ابن جني ، **الخصائص** : 221/1.

[3]– عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ، ص: 134.

أيضا أنيس فريحة وقاسم أمين ،وسلامة موسى وحسن الشريف"[1] ، وبعد أن يعرض آراءهم يقول: "وبعد فلعلنا بعد هذا العرض نستطيع أن نرجع الدعوة لترك الإعراب لسببين :

1. ضعف المستوى العلمي الخاص بمادة النحو عند المتعلمين، منذ أن كانوا أطفالا في المدارس الابتدائية حتى تخرجهم من الجامعات، فليس أسهل والحال كذلك ـ من المناداة بالتخلي عن الإعراب .
2. الدعوات المعروضة التي يروج لها بعض الكتاب بترك الإعراب مدعين أن ذلك من سمات العصر بما فيه من تقدم ورقي وساعدهم في ذلك المستشرقون والمستعمرون لأن التخلي عن الإعراب معناه التخلي عن الفصحى وهذا يؤدي إلى ضعف النعرة القومية عند العرب مما يسهل مهمة الاستعمار"[2]، فالدعوة إلى ترك الإعراب ـ كما يذهب إلى ذلك أحمد سليمان ياقوت مستند إلى الواقع وتردي مستوى المتعلمين في النحو، ولكن هناك عاملا آخر أهم من الأول وهو المؤامرة على اللغة العربية، فلا يمكن أن تتهيأ السبيل للاستعمار إلا بالقضاء على مقومات الأمة وثوابتها.

8.الكفاية التفسيرية بين النحو والمعجم:

من الذين أدلوا بدلوهم في مسألة الإعراب الأستاذ عبد القادر المهيري في كتابه الموسوم بـ(نظرات في التراث اللغوي العربي) فهو يعقد فصلا بعنوان(دور الإعراب)، ومنذ بداية هذا الفصل يقرر حقيقة يراها من البديهيات ومن المسلمات ، وهي الدور المعنوي للإعراب فيقول: " من المعلوم أن الإقرار بدور الإعراب في أداء المعنى وتبليغه هو الرأي الذي ساد أمهات الكتب النحوية، ردده علماء الأصول، وقال به أصحاب المختصرات والشروح وأجمع عليه البصريون والكوفيون"[3]، **فالمهيري** ينطلق من الإشارة إلى خلاف القدماء حول وظيفة الإعراب محددا غايته من البحث يقول في هذا السياق:" وليست غايتنا أن نأتي بالقول الفصل وإنما نروم المساهمة في تقويم وضع

[1]– ينظر : أحمد سليمان ياقوت ،**ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم**، ديوان المطبوعات الجامعية 1983،ص363.

[2]– المرجع نفسه،ص: 42.

[3]–عبد القادر المهيري ، **نظرات في التراث اللغوي العربي** ،ط1،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،لبنان ،1993،ص:55 -56.

القدماء للمشكل ومدى ما تنم عنه مواقفهم من حس لغوي ،ولن نقف إلا عند موقف القائلين بوظيفة الإعراب المعنوي، فمن الواضح أن الرافضين لدلالته المعنوية كأنهم يعتبرون أن اللغة يمكن أن تتضمن علامات لا فائدة معنوية فيها، وأن الأصوات يمكن أن يختلف بعضها عن بعض الكلام بدون أن يستفيد المرء من اختلافها، ولا يخفى أن مثل هذا الاعتبار يتنافى مع منطق اللغة وطبيعة الأشياء" [1].

ثم يقدم الدكتور **المهيري** عصارة ما اهتدى إليه النحاة العرب في قضية الإعراب، فإذا به يصوغ خطابه البحثي صوغا لطيفا هو غاية في الاقتصاد المعرفي " وأول ما نلاحظه في هذا الصدد هو اهتداء النحاة إلى أن الإعراب يمثل عنصرا من عناصر النظام العلامي في اللغة العربية فهو يتجلى في مجموعة من العلامات بالمفهوم الحديث للمصطلح باعتبارها أصوات تظهر في سلسلة الكلام حسب ترتيب معين ، وتستمد قيمتها مما بينها من تقابل أو اختلاف .هذا ما نستشفه من كلام ابن جني عندما يعرف الإعراب بقوله :هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ،فكأن صاحب الخصائص باستعماله كلمة (الألفاظ) لا يفرق بين علامات الإعراب وسائر العلامات اللغوية التي يلتحم فيها الملفوظ بالمعنى والدال بالمدلول."[2]

قد يزعم بعضهم أن **ابن جني** اعتبر في تعريفه هذا، كل إبانة بالألفاظ إعرابا، وخاصة إن قرأ الأمثلة التي ذكرها بعد هذا التعريف، كقوله" وكذلك لو أومأت إلى رجل وفرس، فقلت كلم هذا فلم يجبه لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت ؛ لأن في الحال بيانا لما تعنى"[3] ، والأمر ليس بذاك لأن **ابن جني** جعل القرائن التي ذكرها تقوم مقام بيان الإعراب ، وما قال: الإبانة بالألفاظ إلا ليخرج الإبانة بغير الألفاظ كالإشارة، ونحوها، ومع ذلك فقد استطاع ابن جني ربط الإعراب

[1]– المرجع السابق،ص:56.

[2]– المرجع نفسه، ص: 56 .نقلا عن : عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص: 95.

[3]– ابن جني ، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار ،دط ، بيروت ،دار الكتب المعربة :4/1.

بالمعنى وكأنه يصف اللغة أثناء الاستعمال ، لا بما تواضع عليه النحاة من تأثير الكلم بعضه في بعض.

ويذكر **عبد القادر المهيري** أن النحاة العرب القدامى قد انتبهوا إلى وجود مستويين من العلاقات في الكلام " مستوى أول من العلاقات بين الكلمات وتتجلى في صورها وأبنيتها إذ فيها من وجوه الاختلاف أو الشبه ما يمكن من مقابلة بعضها ببعض وإدراك قيمها المعنوية، وهذا الصنف يتميز بنوع من الاستقرار لأنه متأصل في الكلمة تؤديه نوع الأصوات التي تتكون منها ونسقها وترتيبها، ومستوى ثان من العلاقات هو من مجال التركيب لا يبرز إلا فيه ولا يستفاد إلا منه فنفس الكلمة التي لا يعتريها التباس إذا نظرنا إليها من زاوية الاستبدال تستبهم على حد تعبير **ابن جني** أو تلتبس في التركيب حسب ابن خشاب ،ذلك أن هذه الكلمات تتعاقب عليها المعاني في التركيب، والمعاني المشار إليها هناك ليست من قبيل المعاني المعجمية ، وإنما هي من قبيل المعاني النحوية ،ولنقل العلاقات الركنية"[1].

يقر **المهيري** بأن النحاة العرب نجحوا في تحديد أنواع من العلاقات فهم على حد قوله" تمكنوا من توزيع علامات الاسم الثلاث على ثلاث مجموعات كبرى من المعاني النحوية وهي علاقة الإسناد وعلاقة المفعولية وعلاقة الإضافة ،فالرفع عند الزمخشري مثلا علم الفاعل والنصب علم المفعولية والجر علم الإضافة "[2] . ولكن السؤال المطروح هنا هل نجح هؤلاء النحاة في تقديم التعليل لكل ظاهرة إعرابية في الأسماء والأفعال؟

يناقش **المهيري** هذه المسألة فيبدأ بإعراب الأسماء، ويخلص من ذلك إلى القول " هكذا نلاحظ أن النحاة تمكنوا من وضع مشكل إعراب الاسم ووجدوا له في مستوى المبادئ حلا يبدو متماشيا مع منطق اللغة، كما أنه لم يخف عنهم ما يثيره هذا الحل من بعض المشاكل في مستوى التطبيق وإن لم يقدموا دوما الحلول التي تبدو مقنعة وتبرز اللغة في صورة نظام متكامل متناسق"[3].

---

[1]–عبد القادر المهيري ، **نظرات في التراث اللغوي العربي** ،ص: 56. 57.

[2]– المرجع نفسه،ص: 58.

[3]– المرجع نفسه ،ص: 60.

ولا يختلف الأمر كثيرا في موقف النحاة من تعليل الظاهرة الإعرابية في الأفعال؛ الفعل المضارع طبعا، وبعد أن يستعرض رأي البصريين الكوفيين يخلص إلى القول :" مرة أخرى يلجأ النحاة إلى ما كنا أشرنا إليه من مفهوم التسوية لتفسير الظاهرة الإعرابية، فينطلقون من الحالات التي يبدو فيها دورها واضحا يحتاج إليه المتكلم ولا يجد غيره وسيلة لتخليص خطابه من اللبس ويحملون غيرها عليها وإن لم تكن فيها الأسباب الداعية إلى الإعراب مرة أخرى نلاحظ الفرق بين التفسير على الصعيد المبدئي والتعليل في مستوى التطبيق .إن النظام الإعرابي في العربية يبدو لنا متناسقا إذا نظر إليه بصفة إجمالية ، ولكن إذا نظر في جزيئاته تبدو صعوبة التفسير الشامل الذي يفي بكل التفاصيل"[1] .

ويختتم الأستاذ **المهيري** تساؤلات قد يفهم منها التشكيك في الظاهرة الإعرابية ، ومن ثم يبادر إلى القول :" ليس في هذه التساؤلات دعوة إلى التخلي عن الإعراب ولا تعبير عن الاحتراز إزاءه ،وإننا نعتقد أن علامة الإعراب من القرائن المعبرة عن المعنى، لكن أردنا أن نبرز صعوبة الاهتداء إلى منهج يمكن كشف التطابق في كل الحالات بين الدال الإعرابي والمدلول المعنوي ويسمح بضبط ذلك التطابق بصفة دقيقة لا مجال للخلاف في شأنها"[2].

وفي الأخير يمكن القول أن النحو العربي مرتبط بالفصاحة التي هي انتحاء سمت كلام العرب والحاجة إليه باقية ما بقيت الفصحى، ومستوى الفصحى لا يزال يعيش بيننا في مظاهره مختلفة لا نستطيع ولا نرضى أن نتخلى عنه، ولقد تعددت آراء المحدثين وتعددت جهودهم في تناول القاعدة النحوية ففريق ينادي بإلغاء هذه القاعدة التي باتت تكد ذهن المتعلم متأثرا هذا الفريق بما قدمته اللسانيات الحديثة، وفريق ينشد التيسير وتخليص النحو من بعض الأبواب كالاشتغال والتنازع ... وفريق ثالث يقف موقفا وسطا، والواقع أن هؤلاء ليسوا بدعا، فقد أثيرت قديما (قضية العامل وتيسير النحو)، وأثار كثير من المحدثين هذا الجانب على أنه من الملاحظ أن علماءنا

[1]– المرجع السابق، عبد القادر المهيري، **نظرات في التراث اللغوي العربي**،ص:63.

[2]– المرجع نفسه،ص:63.

المحدثين يميلون إلى ما قدمه الغرب في حين يغفل الكثير من الدارسين اللغويين شرقا وغربا، الدور الذي قام به نحاة العربية وتجربتهم في دراسة اللغة وتعليميتها للناطقين بغيرها.

9.اللسانيات والمشروع المعرفي:

إن للمعنى في حياة الإنسان من الأهمية ما لا يدركه الناس عادة إلا متى تسلحوا بمعرفة خاصة ولذلك ركز المسدي على أهميته في هذا المجال، وتبيان الطرق التي يسلكها الإنسان لاستقباله " وعلى السبل التي ينتهجها في إدراك عناصر المعنى،ثم على الأدوات التي يتوسل بها في تأويل مقاصد المعنى، وتتركز أخيرا على المسالك التي يتوخاها ،لتقديم ثمرة استفادته من المعنى ،ولكل تلك المظاهر أهمية بالغة في انتظام حياة الإنسان، بل وفي استواء بنية المجتمع كافة"[1] ." فاللسان ليس نتاج قرار فردي أو حتى قرار جماعي، كما هو الشأن مع مؤسسات المجتمع الأخرى، إنه وليد سيرورة اجتماعية يصعب تحديد بدايتها، كما لا يمكن تصور نهايتها"[2].

إن المستقرئ لكوامن هذا النص يجد أن المجتمع له حضارته وأفكاره الغير محدودة في قرار فردي أو جماعي، لذلك كانت السيميائيات في رأيه ليست علما للعلامات ولكنها دراسة للتمفصلات الممكنة للمعنى، وعند المسدي فليس هناك باب للمعرفة " إلا وهي مستقاة عبر مصفاة اللغة، وليس من نظرية فلسفية تتخذ الإنسان محورا لها إلا وهي عاكفة في يوم من أيام حركتها على طبيعة العقل المدبر عنده من خلال تعاطل آليات التفكير مع أدوات الإفصاح "[3] " فلنستعمل عقولنا دائما ولنعرض عن قوم يريدون إيهامنا بأن عقولنا أعداء واجباتنا وديننا خصوصا من الناحية الأدبية التي اقتنع العالم العربي بحاجته لتجديدها وترميم واجهتها الكبيرة "[4]،وبذلك أضحت اللسانيات بحاجة ماسة إلى استثمار المسالك العقلية في إنتاج الدلالة وتداولها" من ثمار الفلسفة

---

[1]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:12 .

[2]–سعيد بن كراد ، **السيميائيات ، مفاهيمها وتطبيقاتها** ،سلسلة شرفان 11،منشورات الزمن،المغرب ،2003،ص:46

[3]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،ص:11.

[4]–عبد السلام المسدي ، **الشابي** ،ط1،دار المغرب العربي ، تونس ،1994،ص:54.

العامة ومن ثمار علوم النفس الدائرة على قضية الإدراك، ثم مزجت كل ذلك بما عاينته من فتوحات معرفية باهرة حققتها علوم الحاسوب، فانبثق مشروع فكري طموح تحمل ريادته اللسانيات التي تسمى بالعرفانية الإدراكية[1].

10.اللغة والتراكب الوظيفي :

لقد تطرق المسدي إلى البحث في " حقائق اللغة بواسطة اللغة، عن قضايا تركيبية وظيفية لغوية ،وذلك في مجرى المقارنة النقدية في وصف طريقة دوران الكلام على نفسه، ليصنف الإبداعات اللغوية وغير اللغوية المتمثلة في الرسم والنحت وحركة التمثيل المسرحي ،كلها إبداعات مادتها الجوهرية من غير اللغة، يحللها وينقدها توسلا باللغة"[2].:كما يبحث بضبط المقاربة محمد مفتاح بقوله:" إن اللغة الطبيعية تجسيمية تشبيهية ،وبهذا فإن القدامى والمحدثين أثبتوا محدوديتها وبحثوا جادين عن بدائل لها تكون أدق وأضبط "[3]، ليوضح أن الصياغة اللغوية تنبني بجلاء عن قياس دقيق لاستحضار ما هو غير موجود وغائب على نسق تركيبي فاللغة في قضايا الأدب مصطنعة (غير عادية) (العدول عن النمط الأصلي للغة)، وهو ما يجعل منها مادة في النص الإبداعي والخطاب النقدي .

" ومع التطور التاريخي ،روعيت في تدوين الحدث والشعر واللغة اعتبارات محددة ، هدفها الرئيسي ضبط النص الجدير بالتقدير، وإهمال غيره من النصوص التي لا ترقى إلى المكانة الخاصة بالنص"[4].بحيث يتفق يقطين مع المسدي في الإشارة على ضرورة الوقوف " بالبحث في نظام اللغة عندما يتوسل بها الإنسان في الخطاب التواصلي وليس بالبحث في بنى الكلام عندما يتحول إلى لغة إبداعية في مجال الأدب ...فالحديث باللغة عن أي إبداع لفظي سواء أقيل شعرا

[1]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ،13.

[2]– ينظر : المرجع نفسه:ص:13 .بتصرف.

[3]– محمد مفتاح ، **التلقي والتأويل** ،ط2،المركز الثقافي العربي ، المغرب ، 2001، ص:117.

[4]– سعيد يقطين ، **الكلام والخبر** ،ط1، المركز الثقافي العربي ،المغرب ، 1997،ص:77.

أم سيق في مساق الكلام المرسل يجعلنا حيال نمطين من أنماط تركيب اللغة لأن خصائص الخطاب النقدي لا تتماهى بالضرورة مع خصائص الخطاب الأدبي وإن اشتركا في بنية معجمية ونحوية واحدة"[1] .

فمن خلال حديثنا باللغة عن نظام من أنظمتها ،نحن في مستوى من مستويات الكلام في إطار المنظومة التواصلية " وإذا مال التواصل الخطي نحو التواصل الشعري ، فإن الصورة البلاغية تتحول إلى صورة شعرية وهذا يتضمن تعبيرا في الوظائف " [2] .وبذلك يكون الخطاب التواصلي مستويات تتحول من صورة إلى صورة حسب ما تفرضه الوظائف.

11.النحو وفلسفة اللغة:

لقد أدرك **المسدي** بأن اللسانيات هي وليدة فقه اللغة، ولقد انبثقت من أعماق التفكير اللغوي القديم وبالتالي فهي تستمد وجودها من الأسس المنهجية التي تصل العلم بلغة الإنسان، وما تجدر الإشارة إليه هو أن المسدي ليس مع الاعتبارات السائدة للسانيات ، على أنها بديل شامل للمعرفة اللغوية السائدة، وما يريد الوصول إليه هو أن " اللسانيات وإن قامت على أنقاض فقه اللغة، فإنها لا تنفي وجود علوم اللغة كما وصلتنا ولا تنقض المعرفة النحوية لأن مشروعها قد خالف مشاريع علوم أخرى تولدت في تاريخ الفكر الإنساني، على أنقاض معارف شاخت واهترأ معمارها حتى بليت، فتعين تجددها ،وجاء اللاحق منها نافيا للسابق، وهذا التطور القائم على الإلغاء، قد عرفته نظريات الفلسفة كما عرفه تاريخ الفيزياء والكيمياء والرياضيات"[3]، ودليله أن علم اللغة(اللسانيات) في انبثاقها من فقه اللغة لا يمكن أن تكون مكررا ناسخا للمعارف اللغوية السائدة، بما فيها النحوية، وهي " لا تلغي علة وجود المعرفة النحوية التي هي معرفة تؤسس علما باللغة يستنبط المعيار ويجعل الاستعمال محتكما إليه...فكل من عن له أن يعيد طرح السؤال الإبستيمي حول

[1]– عبد السلام المسدي ،**العربية والإعراب** ،ص: 15.

[2]–محمد العمري ، **البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول** ،أفريقيا ،الشرق ، المغرب،2005،ص: 78.

[3]–عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ، ص:18.

مشروعية المعرفة اللسانية تعذر عليه أن يعيد تأسيس بناء العلم خارج حدود الدائرة الأوسع وهي دائرة علوم اللغة ،الفلسفية والنحوية والفيلولوجية "[1] .

ولا مراء أن اللسانيات جاءت امتدادا للمعارف اللغوية السالفة ـ فقه اللغة. هذا الأخير الذي ارتبط في التراث العربي العربي بـ"معرفة الألفاظ العربية ودلالاتها على نحو ما جاء عند ابن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة ،وعند الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية)"[2] ولذلك فإن إمكانيات اللسانيات لا تكمن في إلغاء القضايا اللغوية التي سبقتها ، وإنما إمكانياتها كامنة في التغيير وطرح القضايا والبرهنة عليها، وبذلك انبعث وعي جديد بأن تنشئ اللسانيات قطيعة معرفية مع فقه اللغة على مستوى المنهج ، لتذهب بعيدا عن ذلك بفضل مرونتها وحركيتها إلى إقامة إبستيمية مع الفلسفة على أساس المنهج العلمي " فاللغة موجودة وتشهد على وضعية تاريخية قذف بها فيها ،تحيط بنا وتتجاوزنا، هي بالنسبة للجميع الحاضر المباشر وإن كانت تاريخيا جد متقنة وبعيدة عن كل بداية "[3] . لكن ما يهمنا اللغة الموجودة في الحاضر تحيط بنا وهذه هي الغاية التي يتوق إليها عبد السلام المسدي .

خلاصة الفصل :

- تعامل المسدي مع التراث وفق أحدث النظريات اللغوية الحديثة، بمعنى أنه عمل على وصل التراث بالحداثة ،فتنقيبه في التراث جعله حيا جديدا ، وموصول بما هو حديث كما أن تنقيبه أظهر لنا أن بعض ما جاء في أحدث النظريات اللغوية الحديثة له جذور في تراثنا العريق الضخم .

[1]– المرجع السابق، عبد السلام المسدي ، **العربية والإعراب** ، ص:18.

[2]– محمد محمد داود،**العربية وعلم اللغة الحديث** ،ص:84.

[3]–موريس بلانشو، **أسئلة الكتابة** ،تر: نعيمة بن عبد العالي وعبد السلام بن عبد العالي ،ط1، دار توبقال للنشر ، المغرب 2004،ص:39.

- فلقد حاول المسدي في كتاباته أن يرد الحق إلى أهله من خلال إبراز إسهامات علماء العرب القدامى في علوم اللغة بصفة عامة والنحو بصفة خاصة، وبيان تأثيرهم في آراء العلماء الغربيين الذين طالما زعموا أن النظريات اللغوية من تأليفهم وبناة أفكارهم .
- إن الأساس الثنائي لتقسيم البنية إلى سطحية وعميقة كان موجودا في التراث اللغوي العربي القديم، فالنحاة العرب شأنهم، شأن التوليديين الغربيين، لا يقفون عند الظواهر السطحية للغة ؛أي عند الواقع المحسوس، وإنما يفترضون وجود أبنية مجردة يفسرون في ضوئها ظواهر اللغة فعلى الرغم أنهم لم يستعملوا (العميق، والسطحي) فإن ذلك لا ينفي حضورهما الذهني الواضح في معالجة القدماء للتراكيب، فقد كان التعبير عنها ضمنيا وبطرائق مختلفة، تصب كلها في قضية أخذت بعدا كبيرا عندهم وهي مسألة التقدير والتأويل.
- إن المنحى الوظيفي الذي تبنته النظرية الوظيفية كان له حضورا في التراث اللغوي العربي القديم، فالوظائف الستة للغة التي حددها جاكبسون قد اهتدى إليه العرب من قبل، وتمثل ذلك في تراث الجاحظ الفكري .
- إن بعض المصطلحات التي عرفتها النظريات الغربية، كانت معلومة ومعروفة في الدرس اللغوي العربي القديم كمفاهيم، من ذلك البنية المورفينيمية التي عرفت كمصطلح في الدرس اللساني الحديث، وكمفهوم في التراث العربي القديم، لكن ذلك لا يشكل اختلافا جوهريا ما دامت الحقائق واحدة.
- كان التلاقي الفكري بين النظرية التوليدية التحويلية والفكر اللغوي العربي واضحاعند المسدي يتجسد في الأسس التي انطلق منها، والمعايير التي اعتمدها، فأثبت ذلك سبق الفكر العربي في إنارة الفكر اللساني الغربي، وهو ما اعترف به تشومسكي في حوار أجراه مع الدكتور مازن الوعر يشيد فيه بأعمال جهابذة النحو العربي؛ كالخليل وسيبويه وابن جني...الخ.

- لقد حاول المسدي في هذا البحث تناول شذرات من التراث اللغوي العربي (النحو)في ضوء اللسانيات الحديثة، تأكيدا لأهمية الإفادة من النظريات اللسانية الحديثة في إعادة قراءة تراثنا اللغوي للوصول إلى فهم أفضل للغتنا العربية، والتعمق في قواعدها الناظمة.
- إن اللغة العربية شأنها شأن اللغات الأخرى لها وسائلها المتنوعة في بناء الكلمة وتنويع دلالتها إذ تعتمد في تشكيل الأبنية المزيدة على الإلصاق، بزيادة حرف أو حرفين أو ثلاثة أحرف ويشكل هذا الجانب من الدرس اللغوي محور اهتمام علم الصرف، الذي كان للسلف فيه جهد معروف ومشهود عليه.

الخـــــــــــــاتمة

وصلت إلى توقيع صفحة النهاية بعد أن كنت قد وقعت أولى صفحاتها مع بداية عرضي هذا وحاولت أن أتوج ما خطه قلمي في متن بحثي هذا بأن أعطي نظرة وجيزة لأهم الجهود التي قدمها اللساني العربي التونسي عبد السلام المسدي.ولقد تمخضت هذه الدراسة عن نظرة تأصيلية كشفت عن نتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

- ✓ إن الجهود المبذولة في مجال الدراسات اللغوية عند العرب قد انطلقت بدافع ديني من حرص المسلمين على حفظ القرآن الكريم من اللحن والخطإ، لأنه المرجع في الدين واللغة، فقد ظهرت مختلف الدراسات الخاصة بتفسيرمعانيه وتوضيحها، ثم تطورت هذه الدراسات اللغوية عند العرب بتلك المستويات المختلفة وأخذت منحى مختلفا وصارت اللغة تطلب لذاتها، يؤلف فيها الكتب المستقلة، فكان القرآن الكريم فاتحا للعلوم العربية للدخول في ميدان التأليف، ولتحقيق ذلك وضع بين أيدي الباحثين أكثر من منهج يسلكونه لخدمة هذه اللغة وعلى نحو لا يكاد ينفصل عن الغرض الديني من قريب أو بعيد.
- ✓ سلك العرب القدامى في دراسة النحو واللغة منهجين :منهجا وصفيا واقعيا (أخذ المادة من أفواه الناطقين بها ؛أي السماع)، ومنهجا معياريا منطقيا (القياس)، فالأول منهج يبحث عن الحقيقة لذاتها، في حين أن الثاني يعنى بتوجيه عناية الناس إلى ما يجب اتباعه في قواعد اللغة، وإلزام الدارسين بها وهو منهج تعليمي، وهو وسيلة من وسائل تعليم اللغة وقواعدها للأجيال المختلفة لذلك بات مؤكد أن مناهج العرب القديمة قد فرضها غرض تعليمي بحت، وهو عصمة الألسن من اللحن، ومن ثم وضعوا القواعد التي تحكم الظاهرة اللغوية في مستوياتها المعروفة، أما المناهج اللغوية الحديثة فتنأى عن المعيارية، إذ جعلت مهمتها دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها.
- ✓ البداية الحقة للسانيات العربية الحديثة كانت بعودة المبعوثين العرب من البلدان الغربية بأفكار جديدة ومناهج حديثة حاولوا تطبيقها على لغة الضاد.
- ✓ إن التباين القائم بين الاتجاهات الثلاثة برهان قاطع على اختلاف اللسانيين في المنهج المقيم في أبحاثهم اللغوية من جهة واختلاف توجهاتهم الفكرية من جهة أخرى.
- ✓ إن المرجعية المعرفية للفكر اللساني عند المسدي، تكمن في الجمع بين الأصالة والمعاصرة، بين ما هو غربي وما هو عربي ،بين اللسانيات التي عدها علم قيادي؛ أي

أنها في مقدمة العلوم المتقدمة بحيثيات الإنسان والتي تقودها نحو العلمية والموضوعية وبين الركام المعرفي المتناثر في تاريخ الفكر العربي القديم، فبرأيه لا التمسك بالتراث وحده يمكن من إعلان الثورة اللغوية المنتظرة ،ولا اللسانيات المتدفقة من الغرب لوحدها يمكن من إقامة عقل لغوي غربي أصيل، فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصرا، لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر المعاصرة وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر العربي، والمطلوب هو أن نستوحي لنخلق الجديد سواء عبرنا الزمن لننشر عن العرب الأقدمين، أو عبرنا المكان لننقل عن الغرب.

- ✓ إن معادلة التراث والحداثة من حيث هي إشكال منهجي يؤثر على المسيرة المتوازنة للدرس اللساني في ثقافتنا العربية، تتطلب فكرا توفيقيا يدرك العلاقة التي يجب أن تربط التراث اللغوي العربي بما أفرزه البحث اللساني المعاصر، ومن ثم استثمار هذه العلاقة في تأسيس نظرية لغوية متزنة بعيدة كل البعد عن النظرة السلفية التي تزعم بأسبقية العرب إلى اللسانيات من جهة، وبمنأى أيضاعن النظرة المجحفة التي تنقص التراث من قيمته المعرفية، والتي توهم بأن الفكر الخلاق إنما هو الفكر العربي، ولعل ما ذهب إليه المسدي، والذي يرمي إلى بناء مقولة التراث في صميم الحداثة ناجم عن موقف عقلاني يزاوج بين القديم والحديث ويجعلهما وجهين لعملة واحدة.
- ✓ إن منهج المسدي في العودة إلى أصول التراث، هو ما يعرف بمنهج القراءة، أو إعادة القراءة للتراث اللغوي العربي بكل ثقله المعرفي والمنهجي، وفق ما تقتضيه الآليات اللسانية الحديثة، ثم إقامة المقارنات بين المعنيين ،التراثي العربي واللساني الغربي لكشف مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما ،وبالتالي البرهنة على أصالة الفكر اللغوي العربي وتميزه.
- ✓ إن ما يميز منهج المسدي، محاولته توخي المنهج العلمي، عن طريق انفتاحه على المنطق الأرسطي، بالإضافة إلى انفتاحه على النظريات اللسانية الغربية الحديثة ومناهجها، بالإضافة إلى ما عرف به من معرفته العميقة للتراث اللغوي العربي.
- ✓ منهج المسدي في التأليف تطبعه خاصية التكرار في الموضوعات وهذه الصفة سلبية من خلال ما يبعثه من تشويش للأفكار من ملل في نفسية المتلقي.

- ✓ لقد كان للمسدي إضافات واضحة في الدرس اللساني العربي، من خلال المباحث اللسانية التي تطرق إليها في كتاباته وأعطى لها بعدا معرفيا جديدا .
- ✓ إن الأفكار التي طرحها رائد البنيوية الحديثة سوسير لم تكن جديدة على الفكر العربي فقد كان الفكر اللساني البنيوي معروفا عند العرب، وكان معظم ما طرحه سوسير متناثرا في الفكر اللساني العربي القديم هنا وهناك وهذا ما تم تأصيله في هذا الكتاب الموسوم بـ(التفكير اللساني في الحضارة العربية) وفق منهج إعادة قراءة التراث، فمعظم المفاهيم التي طرحتها النظريات الغربية كان معلوما ومعروفا في الدرس اللغوي العربي القديم وإن اختلفا في اختيار المصطلح المعبر عن المفهوم، إلا أن ذلك لم يشكل اختلافا جوهريا مادامت الحقائق واحدة، ومن ذلك التعبير عن العلاقة بين الدال والمدلول في الدرس اللغوي القديم بـ الصلة بين المباني والمعاني. فلقد كان المسدي في دراسته للموروث اللغوي العربي، يستند ويقف على منهجية علمية معينة قوامها ،رفع اللبس عن التراث اللغوي العربي القديم، وكشف خصائصه وثوابته وأصوله ومكوناته لبعثه في قالب علمي متأصل يتوافق والتطور الحديث.
- ✓ لقد بلغت الكتابة اللسانية العربية شأوا من النضج لا يمكن تجاهله في سياق وصف المنجز اللساني العربي العام، وفي هذا الإطار تتنزل رؤية المسدي في نموذجها التوليدي والذي كان الموجه المباشر لأفكاره التجديدية في النحو والفصاحة اللغوية .
- ✓ محاولة تأصيل هذا العمل، وجعله لا يتجزأ من بنياتنا الثقافية عملا على استنهاضها وذلك انطلاقا من معاودة النظر في مكوناتها وفي بنائها على أسس معرفية صلبة وجديدة،وقد عمل المسدي على تحريك القضايا اللغوية المثارة في البحث التراثي القديم ومدى مواءمتها بالبحث اللساني المعاصر.
- ✓ كان التلاقي الفكري بين النظرية التوليدية التحويلية والفكر اللغوي العربي واضحاعند المسدي يتجسد في الأسس التي انطلق منها، والمعايير التي اعتمدها، فأثبت ذلك سبق الفكر العربي في إنارة الفكر اللساني الغربي، وهو ما اعترف به **تشومسكي** في حوار

أجراه مع الدكتور مازن الوعر يشيد فيه بأعمال جهابذة النحو العربي ؛ كالخليل وسيبويه وابن جني...الخ.

- ✓ من الأمور التي أدت إلى تلاقي النحو التوليدي والنحو العربي (الأصل العقلي) فيهما كان حقيقيا أن يفضي إلى هذا التقريب، وأيضا الاهتمام بالمعنى، ومن هنا أصبح بإمكاننا القول أن التوليديين التحويليين بزعامة تشومسكي قد ساروا في نظريتهم على هدي ما قاله سيبويه بالرغم من اختلاف اللغتين وتباعد الزمن.
- ✓ إن الأساس الثنائي لتقسيم البنية إلى سطحية وعميقة كان موجودا في التراث اللغوي العربي القديم،فالنحاة العرب شأنهم، شأن التوليديين الغربيين، لا يقفون عند الظواهر السطحية للغة؛ أي عند الواقع المحسوس ،وإنما يفترضون وجود أبنية مجردة يفسرون في ضوئها ظواهر اللغة .فعلى الرغم أنهم لم يستعملوا (العميق، والسطحي) فإن ذلك لا ينفي حضورهما الذهني الواضح في معالجة القدماء للتراكيب، فقد كان التعبير عنها ضمنيا وبطرائق مختلفة، تصب كلها في قضية أخذت بعدا كبيرا عندهم وهي مسألة التقدير والتأويل.
- ✓ إن اللغة العربية شأنها شأن اللغات الأخرى لها وسائلها المتنوعة في بناء الكلمة وتنويع دلالتها، إذ تعتمد في تشكيل الأبنية المزيدة على الإلصاق، بزيادة حرف أو حرفين أو ثلاثة أحرف، ويشكل هذا الجانب من الدرس اللغوي محور اهتمام علم الصرف ،الذي كان للسلف فيه جهد معروف ومشهود عليه.
- ✓ تناول النحاة العرب بإسهاب موضوع الإعراب والإبانة وميزوا بين الوظيفة النحوية وحالات الإعراب، وهي مفاهيم أسهب التوليديون في دراستها في إطار نظرية (الحالات الإعرابية)، كما ميزوا بين الوظيفة النحوية الشكلية والوظيفة الدلالية .
- ✓ تطرق المسدي إلى قضية تعد من أهم القضايا التي تتعلق باللغة العربية وهي قضية دلالة الإعراب على المعنى، فكما أن هناك من ينكر هذه العلاقة وينفيها نجد من اللسانيين البارزين من يثبتها ويؤكدها، والذي نعتقده أن رأي المنكرين لا يستند إلى حقائق وأدلة لغوية صرفة بل من المؤكد أن لاتجاههم الفكري أثر في صياغة موقفهم من هذه القضية.
- ✓ إن المناهج اللغوية الغربية الحديثة ليست غريبة عن علماء اللغة العرب قديما، فقد عرف العرب القدماء هذه المناهج لكنهم خلطوا فيما بينها وهم معذورون في ذلك، فلم تكن لديهم

التقنيات الحديثة ولا المعامل التجريبية المتوفرة في العصر الحديث ،فجاءت دراساتهم معتمدة على الذوق والحس المرهف، وعمق الاستقراء، لذا يجب أن نثمن ما خلفوه من جهد جهيد لا يمكن أن نستغني عنه أو نتغافله على مر الأزمنة.

- ✓ إن المنحى الوظيفي الذي تبنته النظرية الوظيفية كان له حضورا في التراث اللغوي العربي القديم، فالوظائف الستة للغة التي حددها جاكبسون قد اهتدى إليه العرب من قبل، وتمثل ذلك في تراث الجاحظ الفكري
- ✓ وصفوة القول أن التركة اللغوية العربية القديمة غنية جدا وتستحق أن ينفض عنها الغبار، وينظر إليها نظرة اعتزاز وافتخار، ففيه نظريات وآراء ومبادئ لا يمكن للبحث اللساني المعاصر أن يتجاهلها أو أن يستغني عنها .

الملحق الأول : (بطاقة فنية عن عبد السلام المسدي)

الاسم الكامل : عبد السلام بن عبد السلام المسدي.

تاريخ الميلاد ومكانه: ولد في 26 يناير 1945 م في مدينة صفاقس في الجنوب التونسي.

التعليم:

أ عمل مدرسا بالتعليم الابتدائي.

ب عمل أستاذ اللسانيات والنقد الحديث في الجامعة التونسية عام 1972.

المؤهلات العلمية:

- حصل على شهادة ختم الدروس الثانوية عام 1964،وسجل بالجامعة لمواصلة دروسه العليا وتخرج منها.
- نال شهادة دكتوراه الدولة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية سنة 1997.

- نال شهادة الإجازة في اللغة العربية والآداب العربية عام 1969.
- شهادة التبريز في الأدب العربي عام 1972.
- **المسؤوليات الجامعية والثقافية والتربوية:**
- الأمين العام لاتحاد الكتاب التونسيين (1985. 1986).
- عين كاتب دولة للتعليم العالي لعدة أشهر عام 1987.
- اختير وزيرا للتربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي (1987. 1989).
- مندوب تونسي لدى جامعة الدول العربية (1989. 1990).
- أستاذ محاضر في ندوات وملتقيات داخل تونس والدول العربية.
- أستاذ اللسانيات في الجامعة التونسية.
- عضو المجمع العلمي العراقي منذ 1989.
- عضو المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون منذ 1997.
- عضو مجمع اللغة العربية الليبي منذ 1999م.
- عضو مجمع اللغة العربية في دمشق منذ 2002.
- عضو الهيئة الاستشارية الأولى لمؤسسة الفكر العربي.
- الأمين العام للمجلس العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية.
- عضو مجلس أمناء المنظمة العالمية للنهوض باللغة العربية.
- تولي الأمانة العامة لاتحاد الكتاب التونسيين.
- تقلد وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- كان سفيرا لتونس لدى جامعة الدول العربية ثم سفيرا لها بالمملكة العربية السعودية.

الجوائز:

- جائزة الدولة (تونس 1985).
- الجائزة التقديرية من مؤسسة باشراحيل للإبداع الثقافي (بيروت 2008).

- جائزة سلطان العويس في الآداب (الإمارات 2009) .
- الجائزة التكريمية من مؤسسة يماني الثقافية (القاهرة 2010) .
- جائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب (مسقط 2015) .

صدر له:

في اللسانيات:

- التفكير اللساني في الحضارة العربية (1981).
- قاموس اللسانيات (1984) .
- اللسانيات وأسسها المعرفية(1986).
- اللسانيات من خلال النصوص(1986) .
- مراجع اللسانيات(1989).
- قضايا في العلم اللغوي(1994).
- ما وراء اللغة(1994).
- مباحث تأسيسية في اللسانيات (1997).
- العربية والإعراب (2003).
- الشرط في القرآن (مشترك)(1985).
- **في النقد الأدب:**
- الأسلوبية والأسلوب (1977).
- قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون (1981).
- النقد والحداثة(1983).
- مراجع النقد الحديث(1989).
- قضية البنوية(1991).
- مساءلات في الأدب واللغة(1994).

- المصطلح النقدي(1994).
- في آليات النقد الأدبي (1994).
- الخيال الشعري عند العرب(1994).
- أبو القاسم الشابي في ميزان النقد الحديث(1996).
- بين النص وصاحبه(2002).
- الأدب وخطاب النقد (2004).
- النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي (مشترك)(1988).
- محمود المسعدي بين الإبداع والإيقاع (مشترك) (1997).
- صورة الحبيب بين المقدس والدنيوي (مشترك)(2005).
- **في السياسة:**
- السياسة وسلطة اللغة(2007).
- العولمة والعولمة المضادة(1999).
- اتقوا التاريخ أيها العرب (1999).
- العرب والسياسة(2001).
- التضخم أسبابه ومظاهره(ترجمة)(1979).
- تأملات سياسية (2009).
- في الإبداع:
- فتنة الكلمات (1998).
- الأدب العجيب(2000).
- رواية تنتظر من يكتبها (2002).
- مرافىء الأشواق (2007).
- البوح اللطيف(2015).
- فضاء التأويل(2011م).

- تونس وجراح الذاكرة (2011).
-

مقالات الكاتب :

- مدارج التقطيع الصوتي في النظرية اللغوية عند العرب مجلة أفاق عربية ـ يناير 1979م.
- الفكر العربي والألسنية ـ مجلة الأقلام ـ أبريل 1979.
- نظرية العرب في اكتساب اللغة ـ مجلة الأقلام ـ أغسطس 1979.
- هوية اللغة في اللسانيات العربية مجلة الأقلام أبريل 1980.
- في أحضان الرؤى ـ مجلة البحرين الثقافية مارس 2004.
- العلم بين السياسة والأخلاق ـ مجلة البحرين الثقافية سبتمبر 2004.
- مفاعلات الأبنية اللغوية والمقومات الشخصية في شعر المتنبي ـ مجلة البيان الكويتية يناير 1978.
- مراجع اللسانيات مجلة الحياة الثقافية ـ يوليو 1989.
- علم الأدب ومناراته بين العلوم في تراثنا ـ مجلة الحياة الثقافية أكتوبر 1991.
- الترجمة بين كونية المعرفة وخصوصية الثقافة ـ مجلة الحياة الثقافية أبريل 2006.
- البعد النفسي بين التمزق والصراع في ديوان أبي القاسم الشابي ـ مجلة الطليعة الأدبية فبراير 1980.
- حديث العذارى مجلة الفكر ـ مايو 1973.
- بكم ...وما بهم صمم ـ مجلة الفكر ـ مايو 1987.
- الأسس الاختبارية في نظرية المعرفة عند ابن خلدون 2. مجلة الفكر يونيو 1980.
- الفكر والقضية ـ مجلة الفكر. أكتوبر 1985.
- المواضعة والنقد في النظرية اللغوية عند العرب مجلة المورد. فبراير 1985.

- علوم اللسان عند ابن خلدون مجلة المورد. فبراير .1986
- محمود المسعدي وإيقاع اللغة . مجلة ثقافات . يناير 2002.
- المثقف العربي وانفجار الأسئلة . مجلة ثقافات أكتوبر 2002.
- الالتباس المعرفي وتبرئة المصطلح مجلة ثقافات يوليو 2003.
- اللغة العربية والتحديات الجديدة مجلة ثقافات . يناير 2005.
- النقد والمشهد الإنساني مجلة ثقافات . أبريل 2005.
- اللغة والسياسة مجلة ثقافات . يناير 2008.
- المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان والتبيين للجاحظ مجلة حوليات الجامعة التونسية يناير 1976.
- اللغة والبلاغة في فكر أبي حيان التوحيدي مقاربات منهجية مجلة علامات في النقد. ديسمبر 1995.
- مع الشابي بين المقول الشعري والملفوظ النفسي مجلة فصول يناير 1981.
- التضافر الأسلوبي وإبداعية الشعر مجلة فصول ديسمبر 1982.
- عروض كتب : النقد والحداثة ...مع دليل بيليوجرافي . عرض ومناقشة. مجلة فصول . يناير 1984.
- اللسانيات وأسسها المعرفية مجلة فصول يوليو 1995.

الملحق الثاني: (وصف وجيز لبعض مؤلفاته)

1 قاموس اللسانيات عربي فرنسي فرنسي عربي مع مقدمة في علم المصطلح

يعتبر هذا العمل من أروع أعمال **المسدي** ،طبع لأول مرة بالدار العربية للكتاب عام 1984الذي بين فيه خصائص المصطلح وضوابطه العلمية، وأعطى سندا معجميا للمصطلحات اللسانية مترجم باللغتين العربية والفرنسية يقول فيه مبينا أهمية المصطلح:"إذا استبان خطر المصطلح في كل فن توضح أن السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع .فهو له كالسياج العقلي الذي يرسي حرماته رادعا إياه أن يلابس غيره وحاضرا غيره أن يتلبس به"[1] .

2النقد والحداثة:

وهو كتاب تنظيري أكثر منه تطبيقي وقد صدر في طبعته الأولى عن دار الطليعة في بيروت 1983، ثم صدرت الطبعة الثانية عن دار أمية بتونس سنة 1983،تضمن نظرة تعريفية شاملة لجواهر النقد وأساليبه وشاكلته العصرية المتمثلة في الحداثة.

3الأسلوبية والاسلوب:

وهو من أهم كتب الناقد وأقدمها صدورا إذ صدر عن الدار العربية للكتاب في تونس بطبيعته الأولى عام 1977 ثم أعيد طبعه في عام 1982 ثم صدرت له طبعة ثالثة في عام 1988 . وطبعة رابعة عن دار الصباح الكويتية عام 1993 وما ذلك إلا لان الكتاب كان جاذبا لعيون القراء والمهتمين بالنص الأدبي تحليلا ودراسة .. فلا يستغني عنه المحلل والمنظر والمفكر .. لأنه من أوائل الكتب التي روجت للمدرسة الاسلوبية بوصفها علما يهتم بدراسة الأسس الموضوعية لتحليل الأدب وفهمه.

[1]–عبد السلام المسدي ،**قاموس اللسانيات** ،ص:11

4 مباحث تأسيسية في اللسانيات :

ضمّ هذا الكتاب أربعة مقدّمات وعشرة فصول نذكرها لأهميّتها .

مقدّمات وهي أربع: اللّغة والمعرفة العلميّة، اللسانيّات وفلسفة المعرفة، المعرفة اللغويّة والتراث الإنساني، اللسانيّات والتراث العربي. الفصل الأول: في خطاب العلم، المعرفة الموضوعة واللغة المحمولة. الفصل الثاني: في العلوم ومصطلحاتها، اللّغة وآليّة المعرفة. الفصل الثالث: في التوليد اللّغوي، خصائص اللّسان العربي. الفصل الرابع: في علم المصطلح، قانون التجريد الاصطلاحي. الفصل الخامس: في موضوع العلم حدّ اللّغة بين المعيار والاستعمال. الفصل السادس: في بنية العلم، الأنساق الدلاليّة .الفصل السابع: في حدّ العلم: مقوّمات الحدث اللّغوي. الفصل الثامن: في مادّة العلم، مراتب الظّاهرة اللغويّة. الفصل التاسع: في منهج العلم من الزمانيّة إلى الآنيّة. الفصل العاشر: في توظيف العلم، اللسانيّات وتعليم اللّغات .

وأخيراً خاتمة يحضّ فيها المؤلّف على وجوب توفير الثقافة اللسانيّة في جامعتنا العربيّة ومؤسّساتنا العلميّة. أي أن تتحوّل هذه الظاهرة العلميّة إلى معطى ثقافي وواقع معرفي يتقاسمه المتطلّعون فكريّاً مهمّا تباينت شرائح الانتماء لديهم اختصاصا وثقافة.

5مراجع اللسانيات :

وهو يغلب الجانب الببلوغرافي للمصادر الخاصة بعلم اللسانيات وقد صدر عن الدار العربية للكتاب بتونس عام 1989.

6النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص :

وهو يدور في ذات السلسلة النقدية إلا أن الطابع الإجرائي التطبيقي هو الغالب على الطرح النظري إلى جانب الانحياز إلى النصوص التراثية العربية وقد صدر بالاشتراك مع الدكتور عبد القادر المهيري والدكتور حمادي صمود عن الدار التونسية للنشر عام 1988.

7الهوية العربية والأمن اللغوي:

الكتاب هو آخر ما ألف المفكر والباحث الأكاديمي عبد السلام المسدي .وهو عندنا تتويج لما نراه المرحلة الثالثة من مسيرته العلمية، إذ انطلق الرجل من مباشرة النص الأدبي شارحا وناقدا باعتماد المنهج اللغوي الأسلوبي.

وقد عرف الباحث كتابه هذا في المقدمة المختصرة التي خصه بها القول إنه "خلاصة سنوات متتاليات من البحث والنضال دفاعا عن اللغة العربية"[1].وغاية جهده فيه كما رسمها، متواضعا الاستجابة لواجب الفرد المحدود الجهد "في الإنارة يقدم شهادته على تجربته مع الموضوع كما عاشها"[2].

8 الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية:

هذا الكتاب يكمل سابقه (اللسانيات من خلال النصوص) بالاشتراك مع الدكتور محمد الهادي الطرابلسي وصدر عن ا لدار العربية للكتاب تونس عام 1985.

هي عبارة عن دراسة قدمها المسدي كنموذج تحليلي يقوم على مبادئ المنهج الوصفي، فهو في مضمونه كما في منهجه . متنوع الأبعاد يبرهن على نضج البحث اللساني في حقل المعارف العربية ،وليست الدراسات الإنسانية اليوم في حاجة إلى شيء حاجتها إلى استثمار مكتشفات علم اللسان الحديث .وقد جاء "الشرط في القرآن" موفيا حق الدراسة المستحدثة ،جمع بين مقتضيات الوصف وآفاق الاستنتاج في منهج تضافرت فيه دقة الإحصاء وحيرة الشمول.

ولا ريب أن الإقدام على ممارسة منهج اللسانيات في استكشاف النص القرآني انطلاقا من خصائص بناه التركيبية لهو في حد ذاته مدعاة للاعتبار.غير أن الذي زاد البحث دقة وتماسكا هو ما استند إليه من ثقافة نحوية أصيلة تغذت في اتزان وحذر بتفقه حديث يواكب أبعد النظريات جدة وتبلورا .فكان من ذلك عطاء لغوي خصيب.

---

[1] عبد السلام المسدي ،**الهوية العربية والأمن اللغوي** (دراسة وتوثيق) ،ط،1المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات،بيروت 2014،ص:7.

[2] المرجع نفسه،ص:07.

أولا :قائمة المصادر والمراجع العربية

القرآن الكريم برواية ورش.

إبراهيم أنيس

01 – **الأصوات اللغوية** ،مكتبة الأنجلو مصرية ، ط5، 2007م.

02 – **دلالة الألفاظ**،ط5،مكتبة الأنجلو مصري،1984.

03 **من أسرار اللغة** ، ط1، مصر ، مكتبة الأنجلو مصرية ،1978م –

04 – إبراهيم عمر زبيدة، **حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث**، ط1، دار الكتب الوطنية ،بنغازي ،2004م.

05 –إبراهيم مصطفى ،**إحياء النحو**، ط1، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1937م

ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي

06 –**التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية** تح:إحسان عباس،دط ، بيروت ،1959م.

07 –**الإحكام في أصول الإحكام** ، ط2،مطبعة الإمام مصر، دت.

ابن سينا

08 –**أسباب حدوث الحروف**، تح: محي الدين الخطيب، مطبعة :المؤيد ، القاهرة ،1332هـ.

09 -**المقولات**،تح:محي الدين الخطيب،دط ، القاهرة، 1959م.

10 أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، **الكتاب** ، تح : عبد السلام هارون،ط3 مكتبة الخانجي، القاهرة، 1427هـ . 2006م.

11 – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ،تح عبد الحميد الهنداوي،ط1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت،1422هـ -2001م.

12– أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، **المخصص**، تقديم خليل إبراهيم جفال ، ط1، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، 1996م.

13– أبو حيان التوحيدي ومسكاويه، **الهوامل والشوامل** ، نشر: أحمد أمين وسيد أحمد صقر مطبعة :جنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة،دط،دت .

14–أبو حامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق ، ت:أحمد شمس الدين،ط2 –دار الكتب العلمية ،بيروت.

15– أبو عثمان عمر بن الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح: عبد السلام محمد هارون، دط، دار الجيل ،بيروت، 1992.

16– أبو عمر الداني ، **المحكم في نقط المصحف**، تح: عزة حسن، دمشق، 1960.

أبو الفتح عثمان بن جني

17– **الخصائص**، تح: حسن هنداوي، ط2،دار التوفيقية للطباعة القاهرة ،مصر ، 2015.

18– **سر صناعة الإعراب**،تح: حسن هنداوي،ط1،دارالكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،2000م.

19– **المنصف شرح لكتاب التصريف للمازني**، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين،ط1 ناشرون :مصطفى البابي الحلبي،1954م.

20– أبو نصر محمد بن محمد الفارابي ، **شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة**، تقديم ولهام كوتش وستانلي مارو،بيروت ، دار المشرق، 1971م.

21- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، **تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة** ، تقديم : محمد سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، مطبعة دار الكتب، 1987م.

22- أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1974.

23- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن، **الصاحبي في فقه اللغة العربية وسائلها وسنن العرب في كلامها**. تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت ،لبنان ، 1414هـ 1993م.

24- أحمد حساني ، **مباحث في اللسانيات، (مبحث صوتي ، مبحث تركيبي ، مبحث دلالي)** ط2، منشورات كلية الدراسات الإسلامية ، والعربية، 1434هـ .2013م

25- أحمد سليمان ياقوت ، **دراسات نحوية في خصائص ابن جني**،دط ،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، 1410هـ 1990م.

أحمد مختار عمر

26- **البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر**، ط6، عالم الكتب ، القاهرة 1988.

27- **علم الدلالة** ، ط5، عالم الكتب ، القاهرة، 1998م.

28- أحمد مومن ،**اللسانيات النشأة والتطور**، ط5، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015.

29- أحمد عبد العزيز دراج ، **الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسات العلوم اللغوية**،مكتبة الرشد، 2000م.

30- أحمد الحملاوي ، **شذى العرف في فن الصرف**،دط ،قراءة وتعليق :سليمان إبراهيم البلكيمي دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ،2008.

31- التواتي بن التواتي ، **مفاهيم في علم اللسان**، دار الوعي للنشر والتوزيع ،الجزائر.

32- الحسن عبد الله بن سهل العسكري، **كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)** ،ط2، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابيي الحلبي، القاهرة ،1971م.

33- الخفاجي، **سر الفصاحة** ، تح: علي فودة، ط1، القاهرة ،1932م.

34-الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين** ،تح: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي،دط، دار الرشيد للنشر ،العراق ، 1980.

35- السعيد شنوقة، **مدخل إلى المدارس اللسانية** ، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، 2008.

36- السكاكي أبو يعقوب ، **مفتاح العلوم** ، ط1 ، القاهرة، 1937م.

السيوطي ، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمان بن محمد

37- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دط مطبعة عين البابيي الخليلي ،القاهرة.

38- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ، تح: عبد العال سالم مكرم،ط1، دار البحوث العلمية ،1980م.

39- الشريف الجرجاني ، **التعريفات** ، مكتبة لبنان ، بيروت، 1985.

40- الطيب دبة ، **مبادىء اللسانيات البنويةدراسة تحليلية إبستيمولوجية.** جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، دار القصبة للنشر، ط1 ، الجزائر ، 2000م.

41- القاضي عبد الجبار، **المغني في أبواب التوحيد والعدل، الفرق غير الإسلامية** ، تح: محمود محمد الخضيري، القاهرة ، 1965م.

42- الكرملي أنستاس، **نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها**، المطبعة العصرية بالفجالة القاهرة، 1938م.

43- النعيمي حسام سعيد، **ابن جني عالم العربية** ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام ،الجمهورية العراقية، 1990.

44- برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية** ، تعليق :رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي القاهرة ،مصر ،1982.

45- بسام بركة، **علم الأصوات العام**، دط، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، 1988م.

تمام حسان

46- **العربية معناها ومبناها**، ط2، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، 1979م.

47- **اللغة بين المعيارية والوصفية** ، ط1، دار المعرفة ، الإسكندرية، 1989.

48- **مناهج البحث في اللغة**،دط ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء 1986م.

49- جمال الدين بن منظور، **لسان العرب** ، ط3 ، دار صادر ،بيروت ، 1994م.

50- **جرجس ميشال جرجس**، المدخل إلى علم الألسنية الحديث، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس ، لبنان

51- حاتم صالح الضامن، **علم اللغة**،دط،وزارة التعليم العالي ،جامعة بغداد ،بيت الحكمة،1989م.

52- حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، تح: محمد الحبيب بن الخوجة،دار الكتب الشرقية ، تونس ، 1966م.

53- حافظ إسماعيلي علوي، **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ـدراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته** ، ط1، دراسة الكتاب، الجديدة المتحدة، بيروت ، لبنان ، 2009م.

54- حسن خميس سعيد الملخ، **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**، ط1، دار الشرق للنشر والتوزيع، الأردن ، 2000م.

55- حسام البهنساوي ، **التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1425هـ .2004م.

56- حلمي خليل، **العربية وعلم اللغة البنوي** ، دار المعارف الجامعية ،مصر، 1996م.

57- خالد خليل هويدي، **التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث** . **الأصول والاتجاهات** . ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، 1433هـ . 2012م.

58-خليفة بوجادي ، **اللسانيات النظرية ـدروس وتطبيقات** . ط1 ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع 2012م.

59- خليل أحمد عمايرة، **في نحو اللغة العربية وتراكيبها منهج وتطبيق** . ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، ،جدة ، السعودية، 1404هـ . 1984م.

60- خولة طالب الإبراهيمي ، **مبادىء اللسانيات** ، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر 2006م.

61- رابح بوحوش ، **المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني**، دط، دار العلوم للنشر والتوزيع ،عنابة ، الجزائر.

62-رمضان عبد التواب ، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** ، مطبعة الخانجي القاهرة ، 1983م.

63- **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء** ، تأليف مجموعة من العلماء في القرن الرابع الهجري منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت ، لبنان ، 2005م.

64- سلمان عباس عيد ، **تقويم الفكر النحوي عند اللسلنيين العرب**، دار الكتب العلمية لبنان ،بيروت، 1971م.

65- سليمان الخطابي ، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن** ، تح : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، ط1، دار المعارف ،مصر ، 1968.

66- سمير شريف إستيتية ، **اللغة العربية واللسانيات**، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن.

شوقي ضيف

67-**المدارس النحوية** ،ط8،دار المعارف،مصر ،1968م.

68- **مجمع اللغة العربية في خمسين عاما**،ط1، مطبعة المجمع ،مصر،1984م.

69- عبد الحسين موسى ولدي، **البحث اللغوي عند عالم سبيط النيلي** ،ط1 ،دار المحجة البيضاء ،1432هـ . 2001م.

70- عبد الحميد السيد ، **دراسات في اللسانيات العربية بنية الجملة العربية ،التراكيب النحوية والتداوليةعلم النحو،وعلم المعاني** ،ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 1424هـ . 2004م.

عبده الراجحي

71- **التطبيق الصرفي** ،دط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت.

72- **فقه اللغة في الكتب العربية** ، دط، دار المعرفة الجامعية ،بيروت، لبنان 1998م.

73- **النحو العربي والدرس الحديث بحث المنهج** . دط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ،1979م.

74- عبد الرحمان بن خلدون ،**مقدمة** ، دار العودة ، بيروت ،1988.

75- عبدالرحمان محمد أيوب ،**دراسات نقدية في النحو العربي**،دط ،الكويت ،مؤسسة الصباح.

عبد الرحمان الحاج صالح

76- **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية** ،منشورات المجمع للغة العربية ،موفم للنشر الجزائر، 2007.

77- **منطق العرب في علوم اللسان** ، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2012م.

78-عبد الرحمان العبيدي ، **مباحث في علم اللغة واللسانيات** ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ،2002م.

عبد السلام المسدي

79- **الأدب وخطاب النقد** ، ط1، دار الكتاب المتحدة ، بنغازي، ليبيا 2004م.

80- **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، الدار العربية للكتاب ، ليبيا تونس ،1981م.

81- **العربية والإعراب**،ط1 ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ،2010م.

82- **قضية البنيوية. دراسة ونماذج** . ط1، منشورات دار أمية ، تونس، 1991م.

83- **اللسانيات وأسسها المعرفية** ، الدار التونسية للنشر، 1986م.

84- **اللسانيات من خلال النصوص**، ط2، الدار التونسية للنشر،1986م.

85- **مباحث تأسيسية في اللسانيات** ، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2010م .

86- **مساءلات في الأدب واللغة**، ط1، الرياض،1994م.

87- **مراجع في اللسانيات** ،دط، الدار العربية للكتاب ، القاهرة، مصر 1989م.

88- **المصطلح النقدي وآليات صياغته** ،علامات(كتاب نقدي يصدر عن عن نادي جدة الأدبي الثقافي) ،المملكة العربية السعودية ،المجلد الثاني ، الجزء الثامن 1993.

89- عبد العال سالم مكرم، **الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي** ، مؤسسة الوحدة للنشر الكويت ، 1999.

90- عبد العزيز العماري، **أدوات الوصف والتفسير اللسانية ، سلسلة من النحو إلى اللسانيات** ،ط2، 2015م.

91- عبد القادر حسين، **أثر النحاة في النحو البلاغي** ، دط، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر.

92- عبد الغفار حامد هلال، **علم اللغة بين القديم والحديث**، ط4، 1423هـ 2002م.

عبد القادر عبد الجليل

93- **اللسانيات الحديثة**، ط1، دار الصفاء ، الأردن، 2002م.

94- **اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة**، ط1 ، دار الصفاء، سلسلة الدراسات اللغوية عمان ، الأردن، 1417هـ . 1997م.

عبد القادر الفاسي الفهري

95- **اللسانيات واللغة العربية . نماذج تركيبية ودلالية** . دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء 1986.

96-**المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية** ، دار توبقال ، المغرب 1986م.

97-عبد الله الجهاد ، **النحو العربي واللسانيات ـتقاطع أم تواز** . ط1، 2016م.

98- عدنان بن رذيل ، **اللغة والدلالةآراء ونظريات** . منشورا الاتحد الكتاب العرب ، دمشق 1981م.

99- عطا محمد موسى ، **مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين**، ط1 دار الإسراء للنشر والتوزيع، 2002م.

100-علي زوين، **منهج البحث بين التراث وعلم اللغة الحديث**، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد، 1986.

101- علي عبد الواحد وافي، **علم اللغة** ، ط7، دار النهضة ، 1973م.

102- عمر الدقاق ، **مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم**، ط5، منشورات جامعية ، حلب ،سوريا 1988م.

103- عواطف كنوش المصطفى ، **الدلالة السياقية عند اللغويين** ،دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، لندن،ط1، 2007م.

104- غازي مختار الطليمات ، **في علم اللغة**، ط2، دار طلاس للدراسات والنشر والترجمة،دمشق،2000م.

105- فاطمة الطبال بركة ، **النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص)** ،ط1 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ،1413ه 1994م.

106- فاطمة الهاشمي بكوش، **نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ـ دراسة في النشاط اللساني العربي** ،ط1، إيترال للنشر والتوزيع ،مصر الجديدة، 2004م.

107- فريحة أنيس ، **نحو عربية ميسرة** ، دار الثقافة، بيروت، 1955م.

فوزي الشايب

108- **محاضرات في اللسانيات** ،ط1، منشورات وزارة الثقافة ،1999م.

109- **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية**، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد ، الأردن، 1425هـ . 2004م.

110- كريم زكي حسام الدين ، **أصول تراثية في علم اللغة**، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية 1985.

111- كريم عبيد علوي، **كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات** ط1، دار الأمان ، الرباط، 1434هـ . 2013م.

112- كمال بشر، **التفكير اللغوي بين القديم والجديد**، دط، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة 2005م.

مازن الوعر

113- **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث**ة ، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1988م.

114-**نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية** ،دط، دار طلاس ،دمشق، 1987.

115- **دراسات لسانية تطبيقية**،ط1، دار طلاس ، 1989م.

116- مبارك حنون ، **مدخل للسانيات سوسير**، ط1 ،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،المغرب.

117-محمد بوعمامة ،**قضايا لغوية تراث ومعاصرة**.ط1، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1438هـ 2017م.

118- محمد حسين آل ياسين، **الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث**، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت ،1980.

119- محمد رشاد الحمزاوي، **المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة. مصطلحاتها ومفاهيمها.** مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2004م.

120- محمد سبيلا ، **الحداثة وما بعد الحداثة**، سلسلة دفاتر فلسفية، ط2، دار توبقال للنشر الدار البيضاء ،المغرب،2007.

121- محمد سلامة ،وآخرون ،**الاتصال ووسائله بين النظرية والتطبيق**،دط ،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندر 1991.

122- محمد عابد الجابري ، **الخطاب العربي المعاصر**، ط1، دار طليعة ،بيروت ، 1982م.

123- محمد عبد الكريم الرديني، **فصول في علم اللغةالعام** ، ط1، عالم الكتب ، بيروت لبنان 2002م

124- محمد علي الخولي، **الأصوات اللغوية** ، ط1، مكتبة الخريجي ، الرياض، السعودية 1407هـ . 1987م.

125- محمد عيد ، **الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون** ، عالم الكتب ، القاهرة، دط،دت.

126- محمد محمد يونس علي ، **مدخل إلى اللسانيات** ،ط1، دار الكتاب الجديدة ، بيروت لبنان، 2004.

127 محمد محمد داوود، **العربية وعلم اللغة الحديث**، دار غريب ،القاهرة، 2001م.

128- محمد محمد حسين ، **مقالات في اللغة والأدب** ، ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1986م.

محمد الأوراغي

129-**نظرية اللسانيات النسبيةدواعي النشأة.** ط1، دار الأمان ،الرباط 1431هـ . 2010م.

130- **اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم** ، ط2، دار الأمان ،الرباط 1435هـ . 2014م.

131- محمد الصغير بناني ، **النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين**،دط ، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون ،الجزائر ،1994م.

132- محمود سليمان ياقوت ، **منهج البحث اللغوي**،دط، دار المعرفة الجامعية، مصر 2011م.

133- محمود السعران ، **علم اللغة مقدمة للقارىء العربي**، ط2، دار الفكر العربي ،القاهرة مصر، 1997م.

134- مختار درقاوي ، **مباحث في اللسانيات العربية** ،ط1، 2017م.

135- مصطفى حركات ، **اللسانيات العامة وقضايا العربية** ،ط1،المكتبة العصرية، صيدا بيروت1998م .

136- مصطفى حميدة، **نظام الارتباط والربط في تركيب العربية** ، مكتبة لبنان ،ناشرون الشركة المصرية العالمية لونجمان، ط1، 1997م.

137- مصطفى غلفان ، **اللسانيات العربية الحديثة، دراسات نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية** ، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 04، جامعة الحسن الثاني ، عين الشق الدار البيضاء ،دت،1991.

ميشال زكريا

138- **الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)** المؤسسة الجامعية بيروت، 1982م.

139- **الألسنية(علم اللغة الحديث) ،مبادؤها وأعلامها**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ،1980م.

140- **قضايا ألسنية تطبيقية**، ط1، دار العلم للملاين، 1993م.

141- نايف خرما ، **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، عالم المعرفة ،الكويت، 1990م.

142- نعمان بوقرة ، **اللسانيات . اتجاهاتها وقضاياها الراهنة.** ،ط1، عالم الكتب الحديث إربد 2009م.

143- نعمة رحيم الغراوي، **مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة** ، منشورات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع ،1421هـ . 2001م.

نهاد الموسى

144- **الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة** ط1، دار الشروق، الأردن ، 2003م.

145-**نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث** ، ط1 ، مكتبة وسام الأردن 1987م.

146-نورية شيخي، **الجملة في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة ـالنص القرآني أنموذجا.**،دط دار المتنبي دمشق، 2013.

147- هاشم الطعان ، **مقدمة المعجم البارع للقالي**،دط ، مكتبة النهضة ،بغداد ،دار الحضارة العربية بيروت ، 1973.1974م ،.

148- هدى صلاح رشيد ، **تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب**،ط1 دار الأمان ، الرباط ، 1436هـ .2015م.

149- يحي عبابنة وآخرون ،**علم اللغة المعاصرة** ،دط،دار الكتاب الثقافي ،الأردن ،2005م

150- يسرى عبد الغني عبد الله ، **معجم المعاجم العربية**، ط1، دار الجيل ، بيروت 1991م.

151- يوسف أبو العدوس، **الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)** ، ط1،دار المسير للنشر والتوزيع عمان ، 1427هـ .2007م.

ثانيا:الكتب المترجمة إلى اللغة العربية

152- إمبرتو إيكو، **سيميائيات الأنساق البصرية** ،تر:محمد التهامي العماري ،محمد أودادا تقديم سعيد بن كراد ،ط1،دار الحوار والتوزيع ،سوريا ،2008م.

153- بريجيتيه بارتشت ، **مناهج علم اللغة من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي** ، تر:سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ،مصر ،2004م.

154- جفري سامسون، **مدارس اللسانيات . التسابق والتطور.** تر: محمد زياد كبة ،جامعة الملك سعود ، 1997م.

155- جورج مونان، **مفاتيح الألسنية** ، ترجمة الطيب البكوش ، تقديم صالح القرمادي منشورات الجديد، تونس ،1981.

156- جون ليينز، **مقدمة في علم اللغة النظري**، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون كلية الآداب ،جامعة البصرة، 1980م.

157-سليفان أورو ، جاك ديشان ،جمال كولوغلي ،**فلسفة اللغة** ،ط1، تر:بسام بركة،مراجعة ميشال زكريا، بيروت ،تموز ،يوليو،2012م.

158- فرديناند دي سوسير، **علم اللغة العام** ،تر: يوئيل يوسف عزيز،دار الآفاق العربية،بغداد

159- هنري فليش، **العربية الفصحى**، نحو بناء لغوي جديد ،تر: عبد الصبور شاهين، دار الشروق ،بيروت ،1983.

160- كاتريك فوك وبيارلي قوفيك، **مبادىء في قضايا اللسانيات المعاصرة** ،تعريب: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1984م.

161- كارل بروكلمان، **فقه اللغة السامية**، تر: رمضان عبد التواب ،مطبعة جامعة الرياض 1977م.

162- كلاوس هيشن ،القضايا الأساسية في علم اللغة ،تر: سعيد حسن بحيري،ط1 ،مؤسسة المختار ،القاهرة ،1431،هـ -2010م.

163-لايكوف(جورج)،جونس (مارك)،**الاستعارات التي نحيا بها** ،تر:عبد المجيد جحفة،ط1،دار توبقال ،المغرب،1996م.

164- ماريو باي ، **أسس علم اللغة** ، تر: أحمد مختار عمر،عالم الكتب ،القاهرة، 1998.

165- موريس بلانشو، **أسئلة الكتابة** ،تر: نعيمة بن عبد العالي وعبد السلام بن عبد العالي ط1، دار توبقال للنشر ، المغرب ،2004م.

166- ميلكا إيفيتش، **اتجاهات البحث اللساني** ، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح، ووفاء كامل فايد المجلس الأعلى للثقافة، ط2 ، 2000م.

نعوم تشومسكي

167- **البنى النحوية** ،تر:يوئيل يوسف عزيز ،مراجعة :مجيد الماشطة ،ط1،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد 1987م.

168- **جانب من نظرية النحو العربي**، تر:مرتضي جواد بقر،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،جامعة البصرة ،1985.

169- **اللغة ومشكلالت المعرفة (محاضرات مانجوا)**، ترجمة :حمزة بن قبلان الميزيني ،الدار البيضاء ،ط1.

170- **المعرفة اللغوية** ـ طبيعتها وأصولها واستخدامها ،ترجمة وتعليق :محمد فتيح ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،1993.

ثالثا: المجلات والدوريات

171- الأمين ملاوي ، **تيسير النحو العربي بين التنظير والتعليم** ،مجلة العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،العدد 25 ،ماي ،2012 م.

172- الشريف ولد أحمد محمود ، **وسائل نمو اللغة العربية** ،مجلة علوم اللغة ،القاهرة، دار غريب مجلد 11، العدد01.

173- بشير إبرير ، **اللساني التربوي في التراث وإشكلات قراءته**، مجلة المعرفة ، العدد 492 وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ،2004.

174- حافظ إسماعيلي علوي ، **النحو العربي واللسانيات الوصفية** ، مجلة فكر ونقد، ع 72 أكتوبر 2005م.

175- خضر أكبر حسين كصير، **أصالة البحث الدلالي عند العرب من حيث النشأة والتطور والتأليف**، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، المجلد 19، العدد12 ، كانون الأول ،2012.

176-رشيد عبد الرحمان العبيدي، **الألسنية المعاصرة والعربية** ، مجلة الذخائر ، العدد الأول 2000م.

177- زهيرة قروي، **الاصطلاح اللساني بين مرجعية التراث وطموح الحداثة** ،مجلة العلوم الإنسانية مجلد ب ،عدد23، جوان 2015م.

178–سامية راجع، **إشكالات البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين**، مجلة الأثر جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، العدد الخامس ،مارس ،2006م.

179– سعاد بسناني ،**خلاصة التعليل الصوتي كالمستعمل والمهمل في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي** ،مقال في مجلة الصوتيات ،جامعة سعد دحلب ،البليدة ،أعمال الملتقى المغاربي الأول حول الدراسات الصوتية وقضايا المعجمية العربية.

180– سامي عوض،**ظاهرة الإعراب وموقف علماء العربية قدامى ومحدثين** ،مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآ'داب والعلوم الإنسانية ،المجلد 34،العدد2، 2010م.

عبد السلام المسدي

181– **حد اللغة في التراث اللساني العربي**، مقال منشور في وقائع ندوة جهوية بعنوان :تقدم اللسانيات في الأقطار العربية ،ط1،دار الغرب الإسلامي،1991م.

182–**الفكر العربي والألسنية**، ندوة اللسانيات واللغة العربية ، تونس13. 19 ديسمبر 1978،سلسلة اللسانيات رقم 04.

183– عبد الفتاح المصري، **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ، مجلة الموقف الأدبي العددان 135. 136 ،تموز ،أب ،1982م.

184– لبانة مشوح، **اللسانيات في التراث اللغوي العربي**، ندوة اللسانيات الأولى ،نظمها مجمع اللغة العربية ،دمشق، 30 حزيران ، 2010م.

مازن الوعر

185- **النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التوليديةالتحويلية محولة لسبرها وتطبيقها على النحو العربي**، مجلة اللسانيات ، العدد02، مركز البحوث العلمية ، والتقنية لترقية اللغة العربية ، الجزائر، 1982م.

186- **لقاء مع نوام تشومسكي** ،مجلة اللسانيات ،جامعة الجزائر ،العدد6، 1982م.

187- مختار الدرقاوي ،**نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية ـالأسس والمفاهي**م ،الأكاديمية للدراسلت الاجتماعية والإنسانية ،جامعة الشلف ،العدد13،جانفي ،2015م.

188- مها خير بك ناصر، **الأدب العربي بين الأصالة والمعاصرة** ، مقال منشور بمجلة التراث العربي ،دمشق، عدد96، 25 كانون الأول ،2004م.

189- نسيمة قطاف، **اللسانيات العربية ورهانات التموقع الإبستيمي**، مجلة آفاق العلوم الجلفة ،جوان 2018م.

190- مرتضى جواد بقر ،**مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي** مجلة اللسان العربي ،ع34، 1990م.

رابعا: الرسائل والأطروحات

191- حمزة أحمد الخلايفة،**جهود كل من داود عبده وميشال زكرياء في المدرسة التوليدية العربية** رسالة دكتوراه،جامعة مؤتة ،عمادة الدراسات العليا ، الأردن ،2013م.

192- دليلة مزوز ، **الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة** ، رسالة دكتوراه ،قسم الأدب العربي ،بسكرة ، جامعة محمد خيضر ،2008م.

193- فاطمة الزهراء بغداد ، **البحث اللساني في المغرب العربي** ،رسالة دكتوراه ،إشراف أحمد عزوز ،جامعة وهران 01بن بلة. 2016.2017م.

194–عبد الغاني قبايلي، **أثر اللسانيات الغربية على اللسانيات العربية** . التفسيرية عينة. رسالة دكتوراه ،إشراف عز الدين صحراوي،جامعة باتنة01 ،2016 .2017م.

195– مبروك بركات ، **النقد اللساني العربي (دراسة تقويمية للبحوث النحوية النقدية الحديثة)** رسالة دكتوراه ،جامعة قاصدي مرباح،ورقلة ، 2016.2017م

196– مسعود طواهرية ، **جهود محمد الخضر حسين اللغوية دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث** ،رسالة دكتوراه ،جامعة باتنة 01 ،2015 .2016م.

197– نعيمة قدور ،**القرائن اللغوية وغير اللغوية وأثرها في تحليل الخطاب القرآني**،أطروحة الدكتوراه،إشراف مرتاض عبد الجليل ،جامعة تلمسان ،2016م.

خامسا :الكتب الأجنبية :

198**Georges Mounin**

Clefs pour linguistique .Collection Clefs seghers ;Paris ,1er édition ,1968.

199**G.Genette**

Figures I ,Edition du Seuil,paris, 1966.

Chomsky ,N

200- La novelle syntaxe,Tr,Fr :Lélia Pécabia seuille ,1987.

201 - Aspects of the theory syntax,mouton,1965

سادسا:المواقع الإلكترونية

202 عبد السلام المسدي ،الإثنينية (تاريخ الزيارة :2018/02/24):

http://alithnainya.com/files/files/156.pdf

203 عبد السلام المسدي ،السيرة الذاتية (تاريخ الزيارة:2020/01/04) :

https://www.beitalhikma.tn/%D8%A3%D8%B9%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A/

فهرس

الموضوعات

الفهرس

مقدمة.....أـ ط

الفصل الأول :الإطار المعرفي للسانيات العربية الحديثة بين تليد التراث ومعاصرة الدرس اللساني.....1ـ46

المبحث الأول :الدرس اللغوي عند العرب . قضايا أولية . تحديد المصطلح . مناهج الدراسة.....2ـ20

1.علوم اللغة تعريفاتها ومجالاتها..... 2ـ11

توطئة..... 2 ـ4

أ. علم الأصوات..... 4 ـ6

ب. في علمي النحو والصرف..... .6 ـ8

ج في الدلالة.....8 ـ11

2 الدرس اللغوي وتحديد المصطلح.....12ـ14

3 مناهج البحث في دراسة اللغة عند العرب القدامى.....14ـ20

أ المنهج الوصفي..... 15 ـ18

ب المنهج المعياري.....18ـ20

المبحث الثاني:الدرس اللساني المعاصر خصائصه ،ومناهجه ومدارسه.....21ـ32

أ. خصائصه 21

ب مناهجه.....25-21

1. المنهج التاريخي.....22-21

المنهج المقارن ..... 22 -23

منهج إعادة التركيب.....23

المنهج الفيلولوجي.....24

2.المنهج الوصفي.....25-24

ج. مدارسه..... 25

1.مدرسة براغ..... 25-26

2.المدرسة التوزيعية..... ..26-27

3.مدرسة كوبنهاجن اللغوية.....27 -28

4.المدرسة الوظيفية..... 28-29

5.المدرسة التوليدية التحويلية.....29 -32

المبحث الثالث:الحدود التأريخية والمرجعية الفكرية للسانيات العربية الحديثة.....32 -34

المبحث الرابع :أثر تعدد المرجعيات الفكرية في تنوع اتجاهات اللسانية العربية الحديثة.....34-38

أـ الاتجاه التراثي.....35-36

ب الاتجاه الحداثي..... .37 -38

المبحث الخامس:المناهج اللسانية العربية الحديثة 39-45

أ. المنهج الوصفي التقريري.....40-42

ب المنهج التأصيلي .....42 -43

ج المنهج التفسيري العربي.....44-45

خلاصة الفصل.....46

الفصل الثاني:المرجعية المعرفية للفكر اللساني عند المسدي ومباحثه اللسانية.....47-85

المبحث الأول : المرجعية المعرفية للفكر اللساني عند المسدي 48-66

1.اللسانيات علم قيادي من منظور المسدي.....49 -52

2. خصوصية التاركة اللغوية التراثية عند المسدي..... 52-53

3.ما طبيعة موقف المسدي من التراث والحداثة؟.....53-57

4.منهج المسدي في العودة إلى أصول التراث العربي.....57-60

5.منهج المسدي في التأليف.....60

6.خصائص منهجه في البحث اللساني.....61-66

أ الانفتاح على العلوم كالرياضيات والفلسفة الأرسطية.....61-64

ب الانفتاح على المناهج الحديثة 64-66

1.المنهج البنيوي.....64-65

2.المنهج الوصفي والتاريخي.....66
المبحث الثاني:المباحث اللسانية عند المسدي.....67ـ84
1. اللغة والمعرفة العلمية..... 67-69
2. التوليد اللغوي في اللسان العربي.....70-73
3. اللسانيات وتعليم اللغات.....74-78
4 .الزمانية والآنية ..... 78 -80
5.بين المعرفة الموضوعة واللغة المحمولة ..... 80 -82
6.قانون التجريد الاصطلاحي .....82 -84
خلاصة الفصل 84-85
الفصل الثالث: الجهود التأصيلية للمسدي في ضوء كتابه التفكير اللساني في الحضارة العربية 86-132
توطئة .....87 -88
التعريف بالمدونة..... 88 -89
تأصيل قضايا لغوية في ضوء كتابه التفكير اللساني في الحضارة العربية 89-131
1 .اعتباطية الحدث اللساني..... 89 -99
2. المواضعة والعقد.....99 -107
3. اكتساب المواضعة.....107 -114
4 .الكلام والزمن..... 114-123
5. الكلام والشمول 124-131

خلاصة الفصل 131-132

الفصل الرابع :الجهود النحوية للمسدي في ضوء كتابه العربية والإعراب.....133 -205

توطئة.....134 -135

التعريف بالمدونة والهدف منها 135-136

تأصيل قضايا نحوية في ضوء كتابه العربية والإعراب 136-197

1. النحو التوليدي والنحو العربي .....136 -141

أ.البنية العميقة والبنية السطحية.....141 -144

2. النظرية التوليدية واللغات الاشتقاقية.....149-158

3. الإفصاح والوظيفة الانتباهية.....158-160

4.الإفصاح والقرائن النحوية.....160 -169

5.اللغة الإعرابية وإنتاج الدلالة 169-178

6.العربية والمغالاة في الاجتهاد .....178 -185

7.إنكار الإعراب وانتكاس المنهج..... 185-190

8.الكفاية التفسيرية بين النحو والمعجم .....190 -194

9.اللسانيات والمشروع المعرفي 194-195

10.اللغة والتراكب الوظيفي.....195-196

11.النحو وفلسفة اللغة.....196-197

خلاصة الفصل.....197-199

الخاتمة .....200 -205

الملاحق.....206-215

الملحق الأول .....206 -211

الملحق الثاني .....212 .215

قائمة المصادر والمراجع .....216 -235

فهرس الموضوعات ..... 236 -242

.